المنهل

AL MANHAL

مجلة العرب الأدبية

العدد (٥٦٢) المجلد (٦١) العام [٦٥] شعبان/رمضان ١٤٢٠ هـ ـ نوفمبر / ديسمبر ١٩٩٩م



نجم إسلامي

في سماء العولمة الفضائية

الصورة البيانية

في الشعر الاندلسي

تحت الجليد

بحور زاخرة

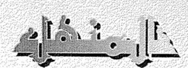
علاقة «الخشخاش»

بامريكا

الزملحة ..

وجهود الدولة

رمضان .. الصوم جُنّة



مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة العربية السعودية - جدة عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

المركز الرئيسي:

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض: ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم - مصر ٢٥٠ قرشا - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

الاشتراكات:

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

- قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال



بمناسبة موقف الغرب من العرب والاسلام في الوقت الراهن

واليوم يقف العرب والمسلمون، من الغرب وذيوله، وقفة المناضل، المدافع عن حقوقه السليبة، واستقلاله المراد له هضما واحتلالا، ويحشد الغرب في قلب البلاد العربية والاسلامية «جرثومة» الفساد الإنساني، ويحاول أن يقيمها دولة اسرائيلية، على حساب بلاد العرب، ومقدرات العرب.. فهل آن للعرب، وهل آن للمسلمين أن يستيقظوا، وأن ينفضوا عن أرواحهم وجسومهم غبار التواكل والتخاذل، والاستهانة بشأن الاعداء الرابضين لهم والمتربصين بهم من وراء عقر ديارهم؟!.. إن الحمل ثقيل، والعدو المتربص متكتل وذو قوة مادية هائلة، فلابد من حشد العزائم واستبسال الهمم، والاستقتال في بث روح التضحية، والجلاد.. والايمان القوى العميق يفعل الغرائب والمدهشات، ويطغى على المادة الهائلة اذا سوعف بمادة ملائمة.. وكل عربي ومسلم مطالب بأن يعمل شيئا من أجل ايمانه ووطنه، وأي شيء يكون هذا الشيء الذى يعمله العربي والمسلم لمصلحة دينهما وبلادهما فهو عظيم وناجع، ليكن علما يتقنانه، أو عملا يتفننان فيه، أو جندية يتمرسان بها على احدث الأصول، أو أدباً يدعوان فيه في حرارة واخلاص الى القوة والاستعداد أو مقاومة سلمية أو اقتصادية، أو استخباراً عن اسرار العدو الرابض واسرار العدو المتربص، للافادة منها، فليس كالاستخبارات أفيد لدحر الاعداء، ولا ننس حادث الصحابي الجليل ابى نعيم في غزوة الخندق، اذ خذَّل الله به عن المسلمين اعداءهم المتجمهرين للقضاء على الاسلام القضاء الاخير.. في تلك الغزوة الهائلة.. ليعمل كل واحد منا ما يستطيع باخلاص، وليعتبر كل واحد من العرب والمسلمين أيا كان ليعتبر نفسه جندياً من جنود الاسلام والعروبة، وليأت كل منا ما يستطيع اتيانه من خير للعرب وضر لاعداء العرب.. فالقليل الى القليل كثير، ورب امر ضئيل وكيد نزر، يقوم به فرد عادى يقلب وجه التاريخ.. لنبعد عن انفسنا داء الغرور وداء الاستخفاف، فما ضرّ أمة من الامم شيء كما يضرها داء الاستخفاف بمقدرات العدو ولله در الاسلاف حينما حذرونا في احد امثالهم الحكيمة البليغة من الركون الى هذا الداء الوبيل، فقالوا لنا فيما قالوا: «اذا كان عدوك نملة فلا تنم له» والسعيد من اتعظ بغيره، ومن افاد من الاحداث ما يقيه شرورها المتطايرة.

«عبدالقدوس الأنصاري»

ذو القعدة ١٣٧٣هـ/ اكتوبر ١٩٥٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب المجلة
رئيس التحرير

نبيه بن عبدالقدوس الأنصاري

مستشار التحرير

أ.د/ عبدالرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام

زهير بن نبيه الأنصاري

عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.

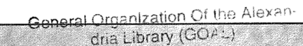
رمضان.. الصوم جنة

غلاف العدد

طبع بمطابع
شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر
جدة . تليفون ٦٣٩٦٠٦٠ . فاكس ٦٣٩١٠٠٣

Shaaban, Ramadan 1420 H -- Nov -- Dec , 1999 C



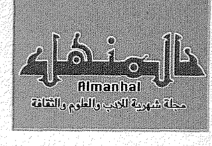


«ربنا تقبَّل منا إنك أنت السميع العليم»

اشارة

● تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

الفهرس



العدد: (٥٦٢)
المجلد: (٦١)
العام: (٦٥)





شعبان/رمضان ١٤٢٠هـ - نوفمبر/ديسمبر ١٩٩٩م

وكلاء التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٦٦٠٠٧٦ ٢٤٤٠٠٧٦ – وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ – الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ – الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ – شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ – دار الثقافة للطباعة/ الدوحة

فقرات مستلة

**** تحت القطبين مئات ملايين الأطنان من المياه .**

مهندس مازن محارب ص ١٢

**** النقد بين المنهج الموضوعي والانطباع الذاتي قضى على كثير من الابداع .**

د. يحى آل عطيف ص ٢٨

**** اخوان الصفا تركوا أبدع الرسائل الفلسفية لو أتيحت لها الدراسات الجادة لاستخرجوا منها تراثاً بديعاً .**

د. محمد رجب البيومي ص ١٧٠

**** كل الاحصاءات المعروفة تؤكد ان عدد الرجال اكثر من عدد الاناث لكل مراحل العمر.**

أبو عواد / ام عمر، ص ١٤٠

**** المعري تلبس نفسية المتنبي ذات التعالي والكبرياء .**

د. خليل أبو ذياب ص ٦٨

**** القصيدة الحديثة ربما طمحت لأن تكون قصة متكاملة لها ما يميزها .**

د. وجدان الصائغ ص ١٢٤

منهليات

مفارقات قرن

حتى منتصف هذا القرن، كانت جيوش المستعمر لا تزال تتجول ـ بكل جبروتها ـ في طرقات وأزقة عالمنا العربي والإسلامي، تنهب ثرواتنا، وتفرض فكرها وثقافتها ولغتها، حتى بات المصلحون فينا يخشون على أمتنا من ضياع ذاتها وهويتها.

ومنذ منتصف القرن، بدأت حركات الاستقلال، والتحرر، وطرد المستعمر، وخرجت جيوشه من ارض العرب والمسلمين، واستبشر الناس خيرا.

هؤلاء حكامهم من بنى جلدتهم.

وما بال الناس وقد علت وجوههم علامات استفهام لا تنقضي عجائبها.. وغدو يرددون مع الشاعر القديم

وظلم ذوي القربى أشد مرارة
على النفس من وقع الحسام المهند

وغداً .. نعم غداً، قرن جديد .. وأمتنا من محيطها الى خليجها على ما ترون!!

وأساطيل الأطلسي تجوب أعالي البحار والمحيطات، بكل قاذفاتها وغواصاتها.. وبكل ما أوتيت من علوم التدمير والدمار.. وتمدها من ورائها سياسات (الاحتواء، والازدواج، والضغط..) وما نعلم من مسميات، وما لم نعلم بعد.

وتتقدم كل ذلك (فضائيات العولمة) و(القرية الكونية) كما أسموها.. إنها (بشائر) ومقدمات الاستعمار (الكوني الجديد).. لعالمنا الجديد.. أليست من المبكيات المضحكات، ان يخرج (عالمنا) من استعمار الى استعمار..!!؟

المحرر

٤١٤١٨٢ – وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ – دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ – الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ – مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

دعوة للترشيح لجائزة مكتب التربية العربي لدول الخليج في مجال البحوث التربوية للدورة المالية ١٤٢٠ و ١٤٢١هـ



يسر مكتب التربية العربي لدول الخليج أن يعلن عن جائزة المكتب للإنتاج العلمي في مجال البحوث التربوية وفقا لما يلي:

أولا: شروط التقدم للجائزة:

١ - أن يكون المرشح من مواطني الدول الأعضاء بالمكتب.

٢ - ألا يكون المرشح قد نال جائزة عن الإنتاج المقدم، أو حصل به على شهادة علمية (ماجستير/ دكتوراه).

٣ - يمكن قبول العمل المشترك من قبل المؤلفين أنفسهم إذا كانوا من مواطني الدول الأعضاء.

٤ - يقبل تقديم البحث للمكتب مباشرة من قبل المؤلف نفسه، أو بترشيح من إحدى المؤسسات العلمية.

٥ - أن يكون البحث المقدم يمثل نظرية تعليمية تربوية، أو مساهمة مبتكرة في مجال البحث التربوي، أو يكون تحقيقاً علمياً مكتوباً باللغة العربية الفصحى لأحد مصادر التراث التربوي العربي الإسلامي.

٦ - في حالة تقديم بحث منشور بغير اللغة العربية يجب أن يرفق معه مستخلص باللغة العربية.

٧ - أن يكون العمل المقدم ملتزماً بالمنهج العلمي.

٨ - أن يكون البحث المقدم منشوراً وفق قواعد النشر العلمي وأصوله أو مقبولا للنشر بتأكيد من مؤسسة أو هيئة علمية معترف بها، ويمكن قبول الأعمال غير المنشورة إذا حظيت بتزكية من مؤسسة أو هيئة علمية متخصصة في مجال العمل المقدم.

٩ - أن يكون العمل المقدم غير ممول من مؤسسات أو هيئات.

١٠ - يمكن قبول الأعمال المترجمة المتميزة التى تخدم الثقافة والتربية والتعليم في منطقة الخليج العربية، مع تقديم دراسة تحليلية وتقويمية للعمل ومدى الاستفادة منه في دول المنطقة، ولم تتجاوز طبعته الأولى في لغته الأصلية خمس سنوات من تاريخ نشر الإعلان.

ثانيا: اجراءات التقد يم:

أن تكون طلبات الترشيح مصحوبة بما يلي:

١ - عشر نسخ من الإنتاج المرشح للجائزة، ولا يعاد الإنتاج سواء أفاز المرشح أو لم يفز، وبالنسبة للإنتاج المترجم فيرفق نسخة من الأصل المترجم عنه.

٢ - بيان تفصيلي عن حياة المرشح العلمية والشخصية ومؤلفاته المنشورة.

٣ - ثلاث صور فوتوغرافية للمرشح.

٤ - العنوان البريدي للمرشح ورقم هاتفه.

٥ - توجه طلبات الترشيح الى:

المدير العام لمكتب التربية العربي لدول الخليج ص.ب (٩٤٦٩٣) - الرياض (١١٦١٤) - المملكة العربية السعودية.

على أن تصل طلبات الترشيح الى المكتب في موعد لا يتجاوز يوم الأربعاء ١٤٢٠/١٢/٣٠هـ، الموافق ٢٠٠٠/٤/٥م.

وقد أسند المكتب مسؤولية اختيار الفائزين الى لجنة من علماء ومفكري المنطقة، تقوم بدراسة الأعمال المقدمة، ودراسة آراء المختصين في موضوعاتها، وتمنح جائزة المكتب وقدرها مائة ألف (١٠٠ر٠٠٠) ريال سعودي، وشهادة منح الجائزة للعمل الفائز، ويمكن منح الجائزة مناصفة لعملين.

جائزة أبها: (الخدمة الوطنية - الثقافة - التعليم الجامعي - التعليم العام)

مقدمة من صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبد العزيز أمير منطقة عسير..

قيمة الجائزة مليون ريال سنويا لأربعة فروع:

فرع جائزة أبها للثقافة (٢٠٠ر٠٠٠ ريال) ١٤٢١هـ

مجالات الجائزة ومقدارها:

١ ـ الشعر الفصيح: شاعر لديه ثلاثة دواوين شعرية فأكثر مطبوعة (٣٥ ألف ريال).

٢ ـ القصة القصيرة: كاتب قصة قصيرة لديه ثلاث مجموعات قصصية فأكثر مطبوعة (٣٥ ألف ريال).

٣ ـ الرواية والمسرح: كاتب روائي أو مسرحي لديه روايتان أو مسرحيتان فأكثر مطبوعتان (٣٥ ألف ريال) (تخصص هذا العام للمسرح).

٤ ـ الدراسات الإنسانية والأدبية والعلمية: باحث أو أديب أو ناقد لديه كتابان فأكثر مطبوعان (٣٥ ألف ريال) (تخصص هذا العام للنقد الأدبي).

٥ ـ الفن التشكيلي: فنان تشكيلي أقام ثلاثة معارض شخصية أو عشرة جماعية مع تقديم ثلاث لوحات لا تقل عن ٨٠ سم ولا تزيد عن ١٢٠ سم من إنتاجه والوثائق المثبتة لذلك (٣٠ ألف ريال).

٦ ـ التصوير الضوئي: مصور ضوئي أقام ثلاثة معارض فأكثر شخصية أو عشرة جماعية مع تقديم ثلاث صور (٦٠ × ٦٠ سم) والوثائق المثبتة لذلك (٣٠ ألف ريال).

شروط وإيضاحات عامة:

١ ـ الجائزة مفتوحة للجنسين من السعوديين وأبناء دول مجلس التعاون الخليجي والعرب المقيمين بالملكة.

٢ ـ يفضل أن تتضمن الأعمال الفنية شيئاً من الجديد الذي لم يسبق عرضه.

٣ ـ تقبل الترشيحات من الجامعات والأندية الأدبية وجمعية الثقافة والفنون وفروعها بالملكة ومن المراكز الثقافية المعترف بها ومن الشخصيات الاعتبارية، ويجوز أن يتقدم الفرد بنفسه للترشيح.

٤ ـ تقدم سيرة ذاتية مفصلة عن المشارك مع صور المستندات والوثائق المثبتة لها.

٥ ـ ترفق ثلاث نسخ من الأعمال المقدمة.

٦ ـ ألا تكون الأعمال المقدمة قد سبق التقدم بها لنيل جائزة أخرى.

٧ ـ الترشيحات والأعمال المقدمة مع عنوان المتسابق كاملا بما في ذلك الهاتف والفاكس ترسل أو تسلم إلى أمانة لجنة التنشيط السياحي (أبها ـ مركز الملك فهد الثقافي (قرية المفتاحة) هاتف: (٠٧٢٣١١٥٠٥) ـ فاكس (٠٧٢٣١١٥٠٤)، في موعد أقصاه نهاية شهر ذي الحجة ١٤٢٠هـ وتتولى الأمانة التنسيق مع أمانة الجائزة فيما يختص بالتحكيم وأي ترتيب آخر ولا تعاد الأعمال المقدمة في حال الفوز أما الأعمال غير الفائزة فبالإمكان استعادتها عن طريق الأمانة.. والله الموفق.

رابطة الأدب الاسلامي العالمية

في الفترة الممتدة من ١١ صفر ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩/٦/٢٥م وحتى ١٤٢٠/٤/٢١هـ/ ١٩٩٩/٨/٣م، عقدت رابطة الادب الاسلامي العالمية ثلاث مؤتمرات لها في مدينة القاهرة.. بحثت هذه المؤتمرات مجموعة من القضايا المتعلقة بحركة الادب الاسلامي وأطروحاته.. وكانت عناوين هذه المؤتمرات الثلاث كالتالي:

ـ الأدب الاسلامي في خدمة الدعوة.

ـ مؤتمر الاديبات المسلمات.

ـ ومؤتمر الهيئة العامة الخامس لرابطة الأدب الاسلامي العالمية.

مؤتمر الادب الاسلامي في خدمة الدعوة:

قُدِّم في هذا المؤتمر اكثر من ثلاثين بحثا عالجت موضوعات التطور التاريخي للادب الاسلامي عبر مختلف العصور في خدمة الدعوة، وقضايا الادب الاسلامي الحديث، وأدب الاطفال، ثم مستقبل الادب الاسلامي.

وجاء ضمن توصيات هذا المؤتمر:

ـ الاهتمام باللغة العربية والادب العربي وبخاصة في مراحل التنشئة وضرورة اختيار نصوص أدبية ذات مستوى رفيع بغرض تحفيز الروح الاسلامية في الناشئة، وتنشئتهم على الفضيلة.

ـ لمَّا كان الادب الاسلامي يخاطب وجدان وعاطفة وعقل هذه الأمة فانه ينبغي ابراز معطياته اعلامياً وتربوياً وثقافياً.

ـ اعادة النظر في مناهج دراسة الأدب بما يكشف

أسرار الادب الاسلامي الجمالية.

- أدب الدعوة له رؤيته المتميزة للكون والانسان والحياة، وفق التصور الاسلامي، مما يحتم الاهتمام به، والنهوض بأمره فكراً وموضوعاً.. والأخذ به في كليات اللغة والادب، وكليات الدعوة وأصول الدين والشريعة الاسلامية، ليكون الرافد الأصيل للعاملين في مجال الدعوة.

- تكريم الرواد الذين حملوا مشاعل هذا الأدب، وتكريم الرموز المتميزة في مجال الادب الاسلامي عبر الاجيال، والأخذ بأيدي الموهبين وتشجيعهم.

- ترجمة نماذج مختارة من الأدب (شعراً ونثراً) من العربية وإليها، للتواصل الادبي والفكري مع الشعوب المسلمة الناطقة بغير العربية.

- ان تكون هموم وآلام وآمال الشعوب المسلمة هي غاية هذا الأدب.

** أما الملتقى الدولى للأديبات المسلمات، فقد جاء في توصياته:

- تكثيف عقد ملتقيات الأديبات الاسلاميات، ذلك للارتقاء بأدب المرأة.

- اعادة كتابة تاريخ أدب المرأة العربية المسلمة وتقويمه من منظور اسلامي.

- اقامة معارض للأدب الاسلامي على هامش المؤتمرات والندوات.

- الاهتمام بتوسيع دائرة النشر للنماذج المختارة من أدبهن، والعناية بأدب الطفل، والمواهب الواعدة من الشباب.

خاص بالمنهل

أول خيمة للشعر العربي بفاس

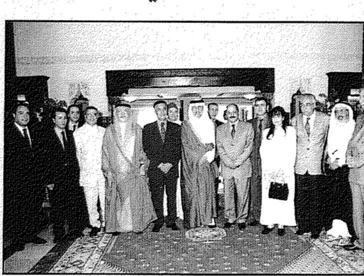
الإعلان عن الاحتفاء بالأمير الشاعر خالد الفيصل في المؤتمر الشعري العربي الثاني:

في أول تجربة من نوعها.. قادتها امرأة مغربية الدكتورة الشاعرة لويزا بولبرس.. من أجل أن تثبت أوتاد خيمة ستظل منتصبة.. تماما كما الشعر العربي الأصيل يمشي منتصبا.. معانقا ألفية ثالثة بنفس السمو والشموخ.

حل بيننا في ليلة أغمض القمر عينيه متلذذا في حلم بديع بصور شعرية بليغة.. شعراء كبار من لبنان ودمشق وسلطنة عمان وتونس.. يتبعهم مئات من الأصوات صدحت من الكويت والسعودية ومصر واليمن والأردن وليبيا.. ومن سائر الأقطار العربية حضرت الأرواح والأجساد في أمسية إطلاق نيزك قد لا تتكرر إلا نادراً.

تغنى الجميع بمفاخر ملك.. أحب الشعر.. فتعلق به الشعراء.. دافع عن الكتاب.. فبايعه الكتاب.. آزر الثقافة.. فأشاد به المثقفون.

قالت الأستاذة الشاعرة لويزا عبد السلام بولبرس وهي



الأمير خالد الفيصل بين اعضاء جمعية فاس للثقافة

تشعل أول شمعة في خيمة التأبين: «نجتمع اليوم بخيمة الشعر هذه، وجلال الموقف يأخذ بالأعطاف ويعبث بالأفئدة، إن المناسبة أليمة فوق التحمل، انها مناسبة تأبين جلالة المغفور له باذن الله تعالى - الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه، ولكن الموت لا يأتي إلا بغتة، والعبد لا يملك إلا الرضى.. انا لله وإنا اليه راجعون.

وبعد أن عبّر الشعراء عن تقديرهم واعترافهم بأفضال

جلالة المغفور له قامت رئيسة الخيمة الشاعرة لويزا بولبرس ، فذكرت بأنشطة الجمعية الثقافية لهذا العام وركزت على المؤتمر الثاني للشعر العربي الذي سينظم في شهر أبريل المقبل والذي سيدور محوره حول الأنماط المتجددة في الوطن العربي، وأولى جلساته النقدية ستتناول بالدرس والتحليل أعمال صاحب السمو الملكى الأمير خالد الفيصل، أمير الشعر الشعبي أو النبطي بمشاركة نخبة من كبار أعلام الفكر والنقد في هذا المجال ، ويمكن ان نذكر هنا: الدكتور علي عقلة من سوريا والدكتور عبد السلام المسدي من تونس والدكتور عباس الجداري والدكتور محمد بنشريفة وعشرات المبدعين سيتم الإعلان عن أسمائهم قريبا ، كما سيشهد المؤتمر أمسيات شعرية من نفس الأنماط. والجدير بالذكر أن صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبد العزيز كان قد زار فاس مؤخرا بدعوة من جمعية فاس - سايس عقب إحيائه لأمسية شعرية بالرباط. وقد نصبه والي جلالة الملك على جهة فاس بولمان، رئيسا شرفيا للجمعية في حفل حضره نخبة من رجال السياسة والفكر بفاس. وكذا عدد من الشخصيات المرافقة لسموه نذكر منهم أصحاب السمو الأمراء: بندر بن خالد الفيصل - سعود بن خالد الفيصل - سلطان بن خالد الفيصل والدكتور عبد الله بن صالح العثيمين أمين عام جائزة الملك فيصل العالمية وعضو مجلس الشورى السعودى وسفير خادم الحرمين الشريفين الدكتور عبد العزيز محي الدين خوجه.

« سعيد بونوار» - المغرب

اصدارات

** «الغربال» قراءة في حياة وآثار الأديب السعودي الراحل محمد سعيد عبد المقصود خوجه» بقلم حسين عاتق الغريبي، الناشر عبد المقصود خوجه/ المملكة العربية السعودية/ جدة.

الكتاب في (٤٠٠) صفحة من الحجم العادي في طباعة فاخرة مجلدة.

الاستاذ الأديب الراحل (محمد سعيد عبد المقصود خوجه) واحد من رواد الحركة الأدبية والفكرية في المملكة العربية السعودية، وكانت له بصماته الواضحة في تشكيل حركة الادب والفكر والتاريخ.

وجاء هذا الكتاب ليسجل الآتي:

- مقدمة موجزة عن العصر الذي عاشه محمد سعيد عبد المقصود خوجه ومتابعة لتطور حياته في مجالات عطائه المتنوعة والمتعددة.
- (الغربال) وهو الاسم المستعار الذي كتب تحته الخوجه، قراءة متأنية في الغربال، تحليلا ودراسة ونقدا.
- معارك الغربال مع خصومه.
- تراجم لبعض من ورد ذكره في هذه الدراسة.
- وفي نهاية هذا الكتاب مجموعة من الصور والرسومات والرسائل النادرة.

** «حلم طفولتي» ديوان شعر للأديب الشاعر الأستاذ سعد البواردي، الناشر عبد المقصود خوجه/ جدة.

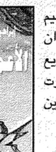
الديوان من الحجم المتوسط، في حوالي مئة صفحة، في طباعة فاخرة ومجلدة، جاء الديوان في (٢٩) قصيدة.

وجاء في كلمة الناشر لهذا الديوان أن هذا (الديوان جاء ليشكل سيمفونية عطاء تأتلق بكل ألوان الطيف، وتتحدث عن كثير من القضايا الجوهرية التى تمس الانسان حاضراً، ومستقبلا).

والاستاذ الشاعر الاديب سعد البواردي، شاعر مسكون بالكلمة الناضرة البهيَّة، والكلمة الناقدة القوية، جمع بين الكلمتين في ابداع واقتدار.

صدور المجموعة الاولى من الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر / ابراهيم العواجي

بعد أن حظيت دواوين الشاعر ابراهيم العواجي بالقبول وحققت أرقاما كبيرة في ميدان النشر والتوزيع آثرت دار المداد للنشر والتوزيع أن تجمع شتاتها في مجموعة شاملة فأصدرت المجموعة الأولى التي تضم بين دفتيها الدواوين التي صدرت بالعناوين التالية:



- المداد .. الصادر عام ١٤١٨هـ.
- نقطة في تضاريس الوطن .. الصادر عام ١٤٠٩هـ
- قصائد راعفة .. الصادر عام ١٤١٩هـ.
- مدّ .. والشاطىء أنت.. الصادر عام ١٤١٤هـ.
- وشوم على جدار الوقت .. الصادر عام ١٤١٥هـ.

وقد افتتح الناشر الأعمال الشعرية بمقدمة أوضح فيها أسلوب الشاعر في تناول القضايا التي يتفاعل فيها مع هموم الإنسانية والوطن وشئون الأمة وشجونها.

وكان هدف الشاعر من طرح هذه المجموعة في سفر واحد التيسير على القارىء والناقد لتناول قصائد الشاعر ومعرفة أسلوبه واهتماماته التعبيرية.

وتتوزع قصائد الشاعر في هذه الأعمال الشعرية بين الرومانسية والوطنية والوجدانية الشفيفه، يتبين ذلك من استعراض عناوين القصائد مثلا:

الرومانسية:

يا رفيق الصحو، انصهار، مساحة العيون، صبابة، لي في هواك، لا يشرى الحب، طفولة عشق، حلم، لا تسألي ما العشق، أشتاق إليك، عاجية الثغر، من أجل عينيك، نجوى في زورق من ديوان (المداد).

وقصيدة: ما أحلى العشق من ديوان (قصائد راعفه) وقصائد: دعها تسافر، الحب أنت، قولي كما تبغين، ليس أحلى من الكتابة فيك من ديوان (مد والشاطىء أنت) وقصائد (مدي شراعك وصمت العيون، لابد أن أغار، حكم الهوى، عيناك والقمر) من ديوان (وشوم على جدار الوقت).

أما المعاناة الوطنية في هاجس الشاعر ابراهيم العواجي فتبين من قراءة قصائد كثيرة متوزعة في الدواوين الخمسة المجموعة في هذه الأعمال الشعرية.. ومن تلك القصائد النابضة بالهواجس الوطنية:

- سناء المحيدلي ص ٧٩.
- رسالة إلى القدس ص ٨٣.
- دمي هو القدس ص ١٢١.
- يا موطني ص ١٢١.
- وتبقى القدس ص ٢٣٩.
- نقطة في تضاريس الوطن ص ٢٦٩.
- يا موطنا وهب الماضي هويته ص ٣٠٧.
- رسالة من فلسطين ص ٣٧٥.
- تحت أنقاض القدس ص ٥١٠.

أما القصائد المكتنزة بالوجد الشفيف فنصيب الدواوين الخمسة في هذه المجموعة منها كبير.. ومنها القصائد التي تحمل العناوين التالية:

- إحساس ص ٥٠.
- أحبك جدًا ص ٧٢.
- اعتراف ص ١١٨.
- مثالية ص ١٦٣.
- خيام القبيلة ص ١٩٨
- سفر ص ٥٨.غربة ص ٦٠
- الجنية والجرة ص ١٠٤.
- حينما يورق الصخر ص ١٤٦.
- زهرة نيسان ص ١٩٧.
- المواكب الصاعدة ص ٢٠٢.
- أسفي على حلم الصغير ص ٣١٨.

أنقاض ليل ص ٤٠.

- أين السفر ص ٤٣٣.
- حديث القلب ص ٥٣٢.
- أمل ص ٥٣٩.
- حنين دار ص ٤٠٣.
- أضيئي ص ٤٢٧.
- رديف العشق ص ٤٨٩.
- توحد ص ٥٣٦.

والوجد في هواجس الشاعر ابراهيم العواجي ليس وجدا أنانيا ذاتيا وإنما هو وجد إنساني ووطني ذو أبعاد رحبية تتفاوت حسب تفاوت المعاناة الشعرية في تعبيره.

قراءة هذه الأعمال الشعرية يؤكد تلك المعاناة الإنسانية في احتمالات شتى تحرض على القراءة المتأنية للخروج بتصور آخر لما طرحه الشاعر العواجي من رؤى وأحاسيس ومشاعر مسكونة بالصدق والتفاؤل وعشق الحضور الأمثل في الميدان الشعري المعاصر.

الماء .. امانة

الزملحة .. وجهود الدولة

- نقول البسملة: أي بسم الله الرحمن الرحيم.
- نقول الحمدله: أي الحمد لله رب العالمين.
- نقول الحوقله: أي لا حول ولا قوة إلا بالله.
- نقول البأباة: أي بأبي أنت وأمي.

هذه الطريقة عند اللغويين تسمى (النحت).

والزملحة هي نحت الجملة (إزالة ملوحة المياه) أو ما اصطلح عليه تحلية مياه البحر المالحة.

وتحلية المياه أو ازالة ملوحتها لتصبح صالحة للشرب وبالكميات المطلوبة لحاجات شعب بأكمله عملية صعبة جدا، وتحتاج الى مجهودات جبارة وإلى أموال طائلة.

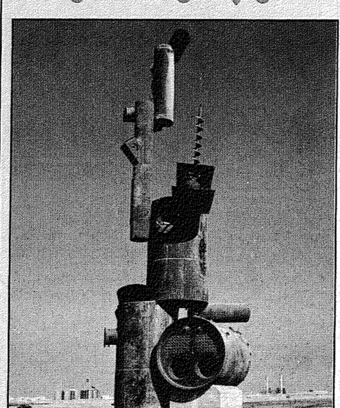
والمعروف أن حكومة خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - لا تدخر وسعا ولا جهدا لتوفر لمواطنيها حياة رغدة كريمة - فما بالك بعصب الحياة وأصل الحياة الماء.

«الماء» الذى ذكره الله سبحانه وتعالى في كتابه المنزل أكثر من ستين مرة، تأكيدا لأهميته.. ففي سورة النحل الآية ٦٥ يقول تعالى: {والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها}، وفي الآية ٩٩ من سورة الأنعام {وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرج به نبات كل شيء}، وفي سورة الأنبياء آية ٣٠ {وجعلنا من الماء كل شيء حي}.

وبالأمس القريب وتحديداً في العاشر من رجب ١٤١٠هـ افتتح صاحب السمو الملكى الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني مشروع محطتى التحلية وتوليد الطاقة الكهربائية ونظام نقل المياه المحلاة الى منطقة المدينة المنورة (المرحلة الثانية). وهذا المشروع الكبير بضخامته يمثل حلقة في منظومة مشاريع تحلية المياه التى أولتها حكومة السعودية كل العناية والرعاية والاهتمام.

والتكلفة الاجمالية لهذا المشروع بلغت ٤٫٨٦٩٫٨٢٦٫٥٦٦ (أربعة بلايين وثمانمائة وتسعة وستين مليونا وثمانمائة وستة وعشرين الفا وخمسمائة وستة وستين ريالا سعوديا).

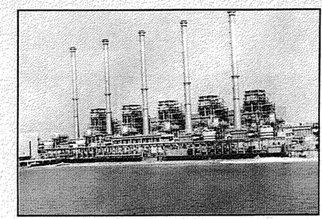
ويتكون المشروع من محطتين لتحلية المياه المالحة احداهما تعمل بطريقة التبخير الوميضي، والأخرى تعمل بطريقة التناضح العكسي بطاقة انتاجية للمحطتين تبلغ ٢٢٧٫٠٠٠ مائتين وسبعة وعشرين الف متر مكعب من المياه المحلاة يومياً.



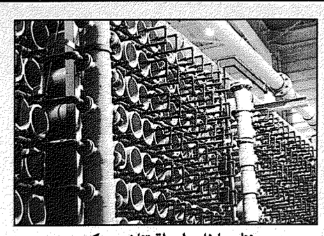
من الكنداسه للتحلية

وعن مشروع نظام نقل المياه الى المدينة المنورة (المرحلة الثانية) فقد تم إنشاء هذا النظام بطاقة تصميمية تصل الى ٣٥٣٫٥٨٥ ثلاثمائة وثلاث وخمسين ألفاً وخمسمائة وخمسة وثمانين مترا مكعبا يوميا. ويتكون من خطوط انابيب ذات ضغط عال ومنخفض يصل مجموع أطوالها حوالى ٣٧٢ ثلاثمائة واثنين وسبعين كيلومتر، ومحطتى ضخ في كل من موقع المحطة بينبع والمسيجيد وثلاثة وعشرين خزانا (تجميعيا وتشغيليا) في مواقع المشروع المختلفة بسعة ٥٠٠٠ خمسة آلاف و١٤٠٫٠٠٠ مائة واربعين ألف متر مكعب لكل خزان وبسعة اجمالية ١٫٢٥٦٫٠٠٠ مليونا ومائتين وستة وخمسين الف متر مكعب لكل من خزانات محطة الضخ الأولى بينبع والمفرحات والحمراء وبدر والمسيجيد والرايس والمدينة المنورة، بالإضافة الى انشاء تسع نقاط توزيع لإيصال المياه الى معظم القرى الواقعة على امتداد خط الأنابيب لتغذية ما يقارب من ٢٠ عشرين بلدة.

كما تم انشاء نظام تحكم عن بُعد، ونظام الحماية



محطة تحلية بالتقطير الوميضي لانتاج الماء والكهرباء



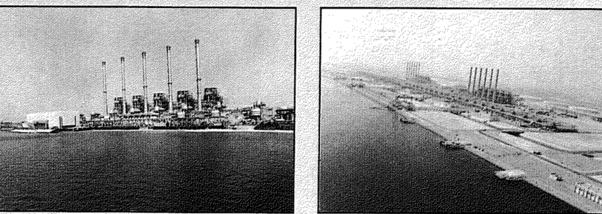
منظر داخلي لمحطة تناضح عكسي

الكاثودية، وانظمة مكافحة الحريق، وصمامات التهوية والتصريف والغلق والتحكم لكامل اجزاء المشروع بتكلفة ٢٫٣٦٢٫٠٠٠٫٠٠٠ بليونين وثلاثمائة واثنين وستين مليون ريال سعودي.

هذه المشروعات (في مجال تحلية المياه) تم افتتاحها بالأمس القريب.. اما ما سبق إنشاؤه من مشروعات ضخمة في كافة مناطق المملكة فقد تكلفت آلاف الملايين من الريالات السعودية انفقتها الحكومة لتوفير المياه الصالحة للشرب وللتنمية الزراعية والصناعية وكل مناحي الحياة التى تعود على المواطن السعودي بالرفاه والخير العميم.

ولمتابعة مسيرة التحلية من الكنداسة حتى الآن نقرأ هذه السطور:

- أنشىء أول جهاز تكثيف لتقطير مياه البحر في جدة عرف باسم الكنداسة في العام ١٣٤٨هـ.
- تم استحداث مكتب بوزارة الزراعة والمياه لدراسة الجدوى الاقتصادية والخطوات التمهيدية لإنشاء محطات التحلية في العام ١٣٨٥هـ.
- تم افتتاح المرحلة الأولى لمحطتى الوجه وضباء في العام ١٣٨٩هـ.
- تم افتتاح محطة جدة (المرحلة الأولى) عام ١٣٩٠هـ.
- أنشئت وكالة الوزارة لشئون تحلية المياه المالحة بوزارة الزراعة والمياه عام ١٣٩٢هـ.
- تم افتتاح محطة الخبر (المرحلة الأولى) عام ١٣٩٣هـ.
- في ١٣٩٤/٨/٢٠هـ صدر المرسوم الملكى الكريم رقم م/٤٩ بإنشاء (المؤسسة العامة لتحلية المياه المالحة) كمؤسسة عامة مستقلة.
- تم افتتاح محطة الخفجي (المرحلة الأولى) عام ١٣٩٤هـ.
- تم افتتاح محطة أملج (المرحلة الأولى) عام ١٣٩٥هـ.
- تم افتتاح محطة جدة (المرحلة الثانية) عام ١٣٩٨هـ.
- وفي العام ١٣٩٩هـ تم افتتاح اربع محطات في كل من الوجه وضباء (المرحلة الثانية) وفرسان (المرحلة الأولى) وجدة (المرحلة الثالثة).
- في العام ١٤٠٠هـ تم افتتاح محطة حقل (المرحلة الأولى).
- في العام ١٤٠١هـ تم افتتاح محطة المدينة/ ينبع (المرحلة الأولى).
- في العام ١٤٠٢هـ تم افتتاح ثلاث محطات في كل من الجبيل (المرحلة الأولى)، رابغ (المرحلة الأولى)، وجدة (المرحلة الرابعة) وفي نفس العام تم افتتاح مركز التدريب بالجبيل وبدأ أولى دوراته.
- في العام ١٤٠٣هـ تم افتتاح محطة البرك (المرحلة الأولى) والمرحلة الثانية لمحطتى الجبيل والخبر.
- في العام ١٤٠٦هـ تم افتتاح (التوسعة الأولى) لمحطة الوجه، و(المرحلة الثانية) لمحطتى الخفجي وأملج.
- في العام ١٤٠٧هـ تم افتتاح (المرحلة الأولى) لمحطة العزيزية، وفي نفس العام تم افتتاح مركز الأبحاث والتطوير في محطة الجبيل.
- في العام ١٤٠٩هـ تم افتتاح خمس محطات هي: ضباء (المرحلة الثالثة)، الوجه (التوسعة الثانية)، جدة بالتناضح العكسي (المرحلة الأولى)، مكة/ الطائف (المرحلة الأولى) وعسير (المرحلة الأولى).
- في العام ١٤١٠هـ تم افتتاح (المرحلة الثانية) لمحطة حقل، كما تم افتتاح التوسعة الأولى لمحطة فرسان.
- في العام ١٤١٤هـ تم افتتاح محطة جدة بالتناضح



إحدى محطات التحلية بالطرق الحرارية

إحدى محطات التحلية بالمملكة

العكسي (المرحلة الثانية).

- وفي العام ١٤٢٠هـ تم افتتاح محطتى التحلية وتوليد الكهرباء ونظام نقل المياه المحلاة الى المدينة المنورة (المرحلة الثانية).

** مشوار طويل وشاق قطعه بكل اقتدار ووطنية كل القائمين عليه ويكفيهم ويكفينا فخرا أن:

- بالمملكة العربية السعودية اكبر محطة تحلية مياه في العالم.

- المملكة العربية السعودية تنتج اكبر كمية مياه محلاه بالعالم.

- حصول المؤسسة العامة لتحلية المياه المالحة (السعودية) على جائزة أحسن بحث علمى مقدم في مجال التحلية الحرارية - في مؤتمر منظمة التحلية العالمية الذى عقد في نهاية شهر اغسطس ١٩٩٩م في الولايات المتحدة الأمريكية.

كيف نشكر حكومتنا:

كل منا يشعر ويلمس ما تقدمه الدولة من خدمات، وكل منا يعلم أن عليه واجب المساهمة في نهضة الوطن الذى يوفر له الأمن والأمان والحماية والحياة الكريمة.. ولكن البعض لا يعرف كيف يساهم .. وطرق المساهمة كثيرة ومن أولاها وأولاها ما نحن بصدده الآن «المياه» ونذكر بقول الله تعالى {كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين} آية ٣١ سورة الأعراف.

فعلينا جميعا أن نعلم ابناءنا (بالاقتداء) الطريقة المثلى لترشيد استخدام المياه، وعدم الاسراف في استهلاكها.

والمنهل .. تدعو إلى أن يضع كل منا في خزان الطرد بحمام منزله قارورة ماء ملآنة ومغلقة.. وهذا يعنى أن الخزان انتقصت منه ماء مزاحة مقدارها لترا واحداً .. فلو فرض أن خزان الطرد يستعمل من قبل الأسرة الواحدة خمس مرات يوميا فهذا يعنى أن كل أسرة وفرت خمس لترات يوميا اي أنه يمكن توفير ٥٠٠٠٠٠٠ر١٨٢ مائة واثنين وثمانين بليونا وخمسة ملايين لترا في العام الواحد (٥ر٠٠٠ر٠٠٠ × ٣٦٥ يوما).

ملحوظة:

هذه الطريقة مجربة ولا تؤثر اطلاقا على كفاءة خزان الطرد ولا على فعاليته.

الطريقة التى يتبعها البعض في التعامل مع المياه:

المسابح - تغيير مياه المسابح على فترات متقاربة جدا

السيارات - دفق كميات كبيرة من الماء لغسل السيارة من الغبار

صنابير المياه - إغفال اصلاح صنبور المياه اذا عطب

الاستعمال الشخصي - ترك الصنبور مفتوحا اثناء السواك أو الحلاقة

** اقتراح المنهل للترشيد:

- باعد بين فترات تغيير المياه مع استخدام المطهرات المعروفة

- استعمل المناشف المبللة والمنظفات مع قليل الماء تؤدى نفس النتيجة

- بادر باصلاح الصنبور فكل دقيقة تهدر كماً كبيرا من الماء

- أغلق الصنبور حتى يتم السواك أو الحلاقة مساهمة منك في توفير المياه.

هذه بعض الأمثلة نسوقها للقياس عليها - واثقين من تعاون كل مواطن ومقيم على هذه الأرض الطاهرة.

واخيرا يجب ألا ننسى ان قطرة ماء تساوى حياة.. وأن الماء أمانة بين أيدينا.

بحر زاخر تحت

لا تفتأ الحياة تنتقل من كوكب لآخر ومن فرضية لأخرى في أذهان الباحثين على الأقل، لقد أسس العلماء في بحثهم المستمر عن الحياة في الكون الواسع فرعا جديدا من العلوم أسموه بـ «الاكسيولوجيا» أي علم الحياة الخارجية ولا يقتصر هذا العلم على دراسة الحياة غير الأرضية وانما يتناول موضوع الحياة بمفهومها الواسع فيدرس كيفية انتظام المادة الحية انطلاقا من المركبات العضوية وتعقدها التدريجي الى بِنًى منظمة بما يتناسب مع البيئة المحيطة بها.

ويختص في البحث بأصولها وتطورها وانتشارها وتحليل الآليات والبِنَى التي تساهم في ذلك كله.

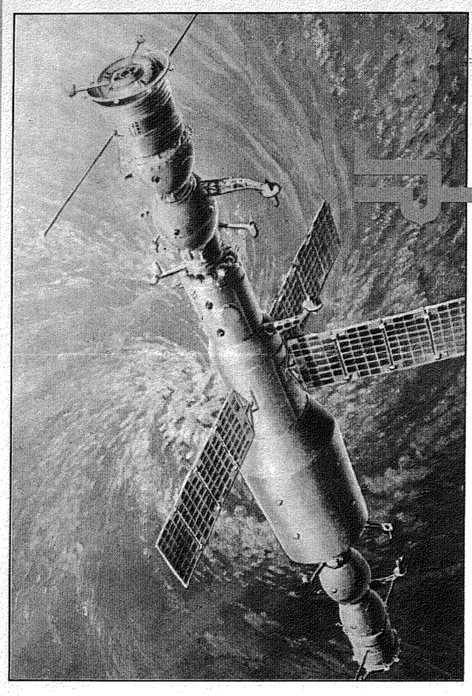
لقد كان العامان المنصرمان حافلين بكل ما هو جديد في هذا العالم من شواهد محسوسة وإكتشافات حقيقية، صحيح أن العلماء لم يتوصلوا بعد الى الدليل القاطع على وجود حياة في مكان ما خارج الأرض مما يضعف هذا الاحتمال، لكن ذلك لا يمنع أن الدلائل التي تشير الى وجودها في مجموعتنا الشمسية تتزايد يوما بعد يوم، وقد انضم آخرها منذ فترة ليست ببعيدة الى رفاقه وكان مصدره «أوروب» أحد أهم أقمار الكوكب العملاق «المشترى» وأحدث ذلك ضجة كبرى اذ أعلنت وكالة الفضاء الامريكية عن اكتشافها وجود جبال من الجليد على سطح «أوروب» وقد ساعدت المعلومات التي جمعها المسبار «فوياجي١» منذ وصوله الى مدار المشترى عام ١٩٧٩ العلماء على صياغة عدة تصورات عن البنية الداخلية لهذا القمر المغطى بالجليد ويقول أحد أكثر هذه التصورات منطقية إن محيطا من الماء السائل يهدر تحت طبقة الجليد المغطية لسطح القمر التي تبلغ سماكتها بضعة كيلومترات وإن هذا المحيط يقبع فوق نواة من السيليكات الصلبة.

بحر تحت الجليد؟:

إذاً لقد غدا «أوروب» محط أنظار رواد هذا الفرع الجديد من العلوم وذلك لاحتوائه على عنصر الماء السائل الذى قلما نجده على كواكب المجموعة الشمسية، ويقودنا احتمال وجود هذا العنصر الذى لابد منه لنشوء الحياة الى عدة تساؤلات: هل يحتضن «أوروب» حياة ما؟ وكيف لنا أن نتعرف الى هذه الحياة في حال وجودها؟ تقدم لنا نماذج الاحياء التي نشأت وتطورت في أعماق المحيطات السحيقة طرف الخيط للاجابة عن هذه التساؤلات اذ تحل عملية التركيب الكيميائى عندها محل عملية التركيب الضوئي نظرا لعدم تمكن الضوء من الوصول الى الاعماق وتتم عملية التركيب الكيميائي هذه بفضل الغازات المنبعثة من الينابيع الحارة وبمساعدة الكبريتات المعدنية لذلك فان وجود ينابيع حارة كتلك التي نتحدث عنها في أعماق بحار «أوروب» المفترضة كاف ليعزز فكرة وجود كيمياء حيوية أولية قادرة على التطور وعلى انتاج متعضيات

بقلم: المهندس/ مازن محارب
- سوريا -

الجليد

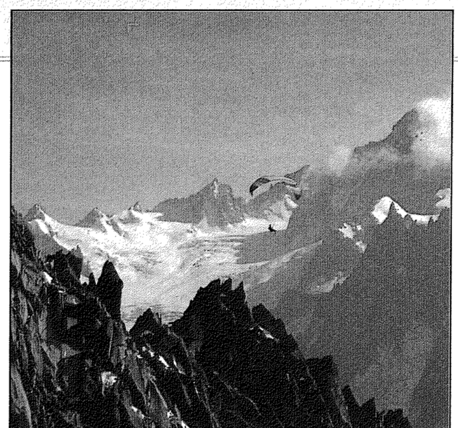


تتعقد قادرة على التطور وعلى نحو يتناسب مع بيئتها لكننا لا نزال في بداية الطريق بعد لأن مجرد وجود بخار على «أوروب» ليس الا افتراضا قائما على تصور نظرى هو الآخر.

في العاشر من ابريل ١٩٩٧م بثت وكالة الفضاء الامريكية ناسا على شبكة الانترنيت صورة ساحرة لسطح «أوروب» كانت قد التقطت في العشرين من شباط الماضي على بعد أقل من (٥٨٠) كم عن سطحه وقد قام بالتقاطها المسبار «جاليلو» الذى اتخذ مدارا له حول المشترى منذ شهر كانون الأول سنة ١٩٩٥ وقد ظهرت في هذه الصورة الجبال الجليدية الضخمة المتوضعة على طبقات من الماء المتجمد بكل وضوح وبدت أشبه ما تكون بكتل المحيطات القطبية الجليدية على كوكبنا ولم تعزز هذه الصورة احتمال وجود طبقة من الماء المتجمد تخفي تحتها خزاناً هائلا من الماء السائل على القمر فحسب وانما قوّت الاعتقاد بوجود نشاط بركاني في قاع هذا الخزان.

شواهد قادمة من السماء:

هل توجد حياة في هذه المحيطات الافتراضية التي تتأكد حقيقة وجودها شيئا فشيئا؟ يتم حاليا التحضير لرحلات فضائية هدفها الاجابة عن هذا التساؤل بيد أنه ينبغي الانتظار حتى بداية القرن المقبل لتتجسد هذه المشاريع على أرض الواقع، وبانتظار ذلك لم يكسل العلماء بل استطاعوا منذ شهر آب ١٩٩٦ دراسة الحياة غير الارضية على الارض نفسها فقد أعلنت ناسا عن اكتشاف آثار حياة بدائية على أحد النيازك الساقطة من المريخ في العام الماضي وقد استغرق العمل على تحليل هذا النيزك النادر المسمى «إس إن سي» بأدق تفاصيله قرابة السنتين وأحيط بالسرية التامة كما شارك فيه عدد كبير من العلماء



الامريكيين ويذكر أن هذا النيزك هو واحد من عدة نيازك لم يكشف النقاب الا عن عشرة منها حتى الآن وهي كلها تحمل دلائل تشير الى أنها تعود للكوكب الاحمر «المريخ» ونظرا لاهمية هذه النيازك، قام دافيد ماكي وفريقه العلمي بدراسة بنية النيزك (ALH) الذى عثر عليه في المنطقة القطبية الشمالية سنة ١٩٨٤ في موقع آلان هيلين، وقد استخدموا لهذا الغرض مجاهر الكترونية ذات قدرة عالية وأجهزة تحليل كيميائي متطورة جدا مكنتهم من اكتشاف عدة آثار مثيرة للجدل كان أهمها بقايا ترسبات كربونية على شكل خطوط متوضعة ضمن السطوح الموجودة على سطح النيزك ويتميز الكربون الموجود فيها بخواص تشير الى أصله المريخي كما لاحظ العلماء وجود هيدروكربورات عطرية متعددة الحلقات وأكسيدات وكبريتات الحديد الى جانب بعض الرسوبات الكربونية.

إن وجود هذا العدد الكبير من العناصر يحمل على الاعتقاد بأن ثمة نشاطا حيويا كيميائيا حدث على سطح المريخ وأدى الى نشوء متعضيات دقيقة جدا مشابهة لبعض أنواع البكتيريا المعروفة لدينا ولكنها تختلف عنها بالحجم اذ أن أبعادها أصغر من أبعاد البكتيريا الارضية بمئة مرة، ان أول ما يتبادر للذهن كتفسير لكل هذه الملاحظات هو ترجيح وجود نشاط حيوى (ويقصد بها البنى التي لا تتجاوز أبعادها الـ ٢٠٠ نانومتر مع الاشارة الى أن (نانومتر = ١٠ ـ ٩م) يعود لبكتيريا مريخية كانت في يوم من الايام متعضيات بدائية مشابهة للاحياء الدقيقة الارضية.

وقد صاغ الباحثون استنادا الى المعلومات التي تم جمعها من دراسة النيزك (ALH) التصور التالي: قبل ٣٫٦ مليار سنة تجمعت الاحياء الدقيقة ضمن الشقوق الموجودة على سطح صخرة النيزك ثم غمرت هذه الصخرة بالماء الذى كان متوفرا على سطح المريخ بكثرة في ذلك الوقت وخلال مليارات السنين اللاحقة فقد الكوكب الاحمر تدريجيا الماء المتواجد على سطحه كما تبدد القسم الاعظم من غلافه الجوى الذى يعتقد أنه كان أكثف مما هو عليه اليوم بكثير اذ أن الضغط الجوى على سطح المريخ حاليا لا يعادل سوى ١٣٠/١ من الضغط الطبيعي الجوى على سطح الارض تقريبا وقد أدت كل التغييرات الانفة الذكر الى انطفاء الحياة تدريجيا على سطح المريخ وبالتالي فقدت المتعضيات الدقيقة، التى تسربت عبر شقوق الصخرة، الحياة لكن بقاياها ظلت شاهدا على وجودها ومنذ حوالي (١٦ مليون) سنة اصطدم جرم سماوى غريب بالمريخ مما أدى الى تحطم جزء من قشرته السطحية وتناثر أشلائها التي ظلت سابحة في الفضاء الخارجي الى أن التقطتها الجاذبية الارضية منذ حوالي ١٣ الف سنة فعبرت الغلاف الجوى الارضي واستقرت في



برادات المنطقة القطبية التي حفظتها كما هي حتى قيض للعلماء اكتشافها.

نظرية براقة بمضمون باهت:

لقد قوبلت التصورات التي صاغها الباحثون انطلاقا من دراسة النيزك المريخي بانتقادات كثيرة في الاشهر القليلة التي تلت نشرها وقد كان أشد هذه الانتقادات يتعلق بالتاريخ الحرارى للنيزك وبالترسبات الكربونية المتوضعة في شقوقه على وجه التحديد ويقول الانتقاد أن هذه النقطة يلفها الغموض اذ أنه يتضح من خلال تركيب الكربونات أنها تشكلت في درجات حرارة عالية جدا تتجاوز الـ ٥٠٠ درجة مئوية مما يتعارض كليا مع وجود أى نشاط حيوى كما أن الـ (HAP) لم تعد تشكل دليلا مقنعا بعدما تم اكتشافها في العديد من النيازك أضف الى ذلك أن مجرد الافتراض بوجود نشاط حيوى على سطح المريخ لا يغني عن تقديم الادلة الدامغة لدعمه وأخيرا فقد بات القول بوجود بنى دقيقة جدا ذات منشأ حيوى موضع شك فمن الممكن أن لا يكون الامر سوى خطأ ارتكبه الباحثون أثناء تحضير العينة للدراسة.

وهكذا تحول التصور من شبه يقين الى فرضية تفتقر الى التماسك في غضون أشهر قليلة لكن المريخ يبقى مع ذلك المرشح الاقوى بين كواكب المجموعة الشمسية لاحتضان حياة على سطحه.

لم يعد هناك شك بأن المريخ كان زاخرا بالماء السائل منذ حوالي (٦ر٣) مليار سنة الامر الذى استدعى وجود غلاف جوى كثيف ونشوء ظروف مواتية لظهور الحياة تماما في الوقت الذى بدأت فيه الاحياء الدقيقة تغزو كوكبنا ويمكن أن نستدل من خلال التقارب الكبير بين الارض والمريخ على أن الكيمياء الحيوية البدائية التي مهدت لظهور الحياة على سطح كوكبنا خطت نفس المسار الذى خطته الكيمياء على سطح المريخ وعلى الرغم من الثغرات التي يعيبها الباحثون على النظريات المؤسسة على المعلومات التي تم جمعها من دراسة النيزك (ALH) الا أنها قدمت خدمات جليلة لعلم مازال في بداية الطريق كعلم الحياة الخارجية اذ يعد اكتشاف الـ (HAP)أي الهيدروكروبورات العطرية المتعددة الحلقات، في حال ثبوت أصلها المريخي دليلا على وجود مركبات كربونية معقدة على سطح الكوكب الاحمر صمدت بقاياها حتى وقتنا الحالي بالرغم من الاشعاعات التي تتعرض لها من الشمس، لكن الحدث الاهم يبقى هبوط المركبة باثنايدر في الرابع من تموز ١٩٩٧ على سطح المريخ واطلاقها للعربة الجوالة سوجرنر، ويعول العلماء على هذه الرحلة الفضائية الكثير اذ أن العربة سوجرنر فاقت التوقعات وقامت بالكثير مما هو مطلوب منها، فجمعت عدة عينات من تربة المريخ والتقطت صورا كثيرة ستفيد في دراسة تضاريسه وتاريخه الجيولوجي لكن للاسف فان رحلة باثنايدر لا تهدف الى دراسة احتمال وجود حياة على المريخ، وينطبق نفس الكلام على الرحلات الفضائية اليابانية بلاني والامريكية سورفاير المريخ ٩٨، بالمقابل فان بداية القرن العشرين ستشهد دفعا قويا لعلم الحياة الخارجية المريخية وذلك بفضل عدة رحلات فضائية تم البدء بعدد منها ولا يزال عدد آخر قيد الدراسة في حالتي الفضاء الامريكية ناسا والاروبية ايسا ومن المقرر أن تقوم بجلب عينات منها الى الارض أو بدراستها على ارض الواقع كما يعول علماء الحياة الخارجية على دراسة «تيتان» التابع لكوكب زحل الكبير مع أن وجود حياة على سطحه أمر مستبعد.

في الحقيقة لقد دخل المسبار (فوياجي١) ضمن نطاق جاذبية الكوكب الساحر ذى الاساور «زحل» ومكن العلماء من اكتشاف اهم اقماره (تيتان) الذى غدا منذئذ محط انظار علماء الحياة الخارجية كلهم.

يعد تيتان أكبر أقمار زحل وثاني أقمار المجموعة الشمسية من حيث الحجم بعد «جانيميد» قمر المشترى التابع الوحيد الذى يتمتع بغلاف جوى كثيف في المجموعة الشمسية، وقد تبين من خلال المعلومات التي جمعها (فوياجي١) ان كثافة هذا الغلاف المكون في معظمه من الآزوت ونسبة كبيرة من الميتان تفوق كثافة

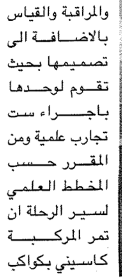
الغلاف الجوى الارضي بأربع مرات اذ يبلغ الضغط الجوى على سطحه (٥ر١) بار وتصل درجة الحرارة الى (١٨٠) درجة مئوية تحت الصفر، وقد بينت التجارب المخبرية ان العناصر التي يتكون منها غلاف تيتان الجوى تؤلف وسطا يعتبر من اكثر الاوساط ملاءمة لتشكل المركبات الكربونية الاولية، وقد تم ايضا بمساعدة المسبار (فوياجي١) اكتشاف عدة مركبات عضوية كالهيدروكربون وبعض المركبات الازوتية العضوية وحمض السيانديك والسيانوجين والسيانوسيتلين وتلعب كلها دورا مهما جدا في النشاط الكيميائي الحيوي الاول.

يتبين لنا من خلال ما تقدم ان تيتان يشكل ملتقى لعدة مركبات عضوية معقدة لا توجد في غلافه الجوى فحسب وانما في قشرته الصلبة ايضا وفي الرذاذ المنتشر في غلافه الجوى والذى يوشي سطحه بهالة ضبابية جميلة.

لقد شهد تيتان منذ حوالي (٥ر٤) مليار سنة مجموعة تأثيرات متبادلة بين عناصر ما يسمى «الجيوفلود» والتي هي : الغاز والرذاذ والمسطحات السائلة المفترضة الموجودة على السطح أو تحته مع الاشارة الى أن هذه المسطحات لا تحتوى على الماء السائل لأن درجات الحرارة المنخفضة جدا لا تسمح بوجود الماء في الحالة السائلة، ويرجح العلماء أن هذه المسطحات هي بحيرات أو بحار صغيرة من الميتان والايتان السائلين وهي تقع فوق سطح القمر أو تحته لذلك نرى أنه من المستبعد أن تكون الحياة قد نشأت وتطورت على سطح تيتان، يعد تيتان أحد أهم أقمار المجموعة الشمسية بالنسبة لعلماء الحياة الخارجية نظرا لما يتمتع به من قواسم مشتركة مع كوكبنا الارض بالاضافة الى أنه يشكل مفاعلا كيميائيا حيويا حقيقيا في المجموعة الشمسية لوفرة المركبات العضوية فيه وقد تم جمع الكثير من المعلومات عنه بعد تحليق المسبارين «فوياجي١» و«فوياجي٢» في عامي ٨٠ و١٩٨١م فوقه سواء من الارض عن طريق التلسكوبات أو من الفضاء، كما تم اجراء العديد من التجارب ووضع عدة نظريات وبالرغم من ذلك كله بقيت تساؤلات كثيرة معلقة يدور أهمها حول الطبيعة الكيميائية الحقيقية للرذاذ المنتشر في غلافه الجوى وتعقيد الكيمياء الحيوية على سطحه وفي تربوسفيره ويبدو أن الرحلات الفضائية التي تسمح بالمراقبة عن قرب هي وحدها القادرة على تقديم اجابات شافية عن هذه التساؤلات لذلك يعتزم الامريكيون القيام بالرحلة الفضائية الاستكشافية «كاسيني - هيوجين» التى يأتي في مقدمة الاهداف المقررة لها تبديد الغموض المحيط بالقمر تيتان، وستقوم وكالة الفضاء الأمريكية ناسا في هذه الرحلة باطلاق أضخم مسبار عرفته الرحلات الاستكشافية الفضائية حتى يومنا هذا.

أما المركبة «كاسيني» فيبلغ ارتفاعها سبعة أمتار ووزنها الاجمالي ٦ أطنان ويخرج منها هوائي بطول (٤)م وسوف يتم اطلاقها الى الفضاء الخارجي بواسطة صاروخ هائل كما أنها ستحتوى على «١٢»





جهاز للرصد والمراقبة والقياس بالاضافة الى تصميمها بحيث تقوم لوحدها باجراء ست تجارب علمية ومن المقرر حسب المخطط العلمي لسير الرحلة ان تمر المركبة كاسيني بكواكب



الزهرة والارض والمشترى لدراسة التأثيرات المتبادلة بين حقول جاذبيتها ثم تصل الى كوكب زحل في عام (٢٠٠٤) وتتخذ مداراتها حوله في غضون أربع سنوات مما يمكنها بمساعدة الاجهزة التي تحملها من مراقبة الكوكب والاقمار التابعة له وستقوم المركبة كاسيني في أول دورة لها حول زحل بوضع المسبار «هيوجين» في مدار له حول الكوكب ثم يخترق هذا المسبار الغلاف الجوى لتيتان بعد عدة أسابيع ويقوم أثناء عملية هبوطه على سطح هذا القمر باجراء عدة تحاليل علمية وستتم عملية الهبوط التي يتوقع أن تستمر ساعتين ونصف الساعة على النحو التالي: ستفتح أولا مظلة مهمتها تخفيف سرعة هبوط المسبار تحت تأثير جاذبية القمر وسوف يحميه من الحرارة الناتجة عن الاحتكاك مع الغلاف الجوى درع حرارى مخصص لهذا الغرض، ثم تفتح مظلة أخرى رئيسية لتمكنه من القيام بمهمته المقررة في حال نجاح هذه العملية ـ وهذا المتوقع ـ ستتابع أجهزة المراقبة والرصد جميع المعلومات خلال عدة دقائق لاحقة للهبوط ويتوقع علماء الاحياء الخارجية أن تساعدهم المعلومات التى سيتم جمعها من هذه الرحلة كثيرا في أبحاثهم.

هل تحمل المذنبات حياة؟:

تقف المذنبات التي يسميها الفلكيون بـ «متسكعي المجموعة الشمسية» في آخر طابور الاجرام السماوية المرشحة لاحتضان مركبات حيوية أولية على سطحها مع أن غنى نواها بالمركبات العضوية والدور الذى يفترض أنها لعبته في كيمياء كوكبنا الحيوية الاولية يؤهلانها لتحتل مكانا مرموقا بين مواضيع علم الحياة الخارجية لقد تحدثت وسائل الاعلام باسهاب عن اصطدام مذنب «شوميكر ـ لفي» المثير بالمشترى سنة ١٩٩٤ وعن اكتشاف مذنب هوكي بوب سنة ١٩٩٥ هذا المذنب الذى ستبقى ذكرى تجواله في سماء الارض في سنة ١٩٩٧ حدثا مميزا كما تحدثت أيضا عن اكتشاف المذنب هياكوتاك سنة ١٩٩٦ مطولا فيما لم تأخذ الرحلة الاستكشافية «روزيتا» حقها من التغطية الاعلامية مع أنه ينتظر من هذه الرحلة تقديم معلومات قيمة جدا عن التركيب الكيميائي لنوى المذنبات وعن طبيعة المركبات العضوية المعقدة الموجودة فيها، وتقوم وكالة الفضاء الاوروبية «ايسا» باعداد برنامج لهذه الرحلة التي ستجرى مراحلها على النحو التالي: في سنة (٢٠٠٣) ستنطلق المركبة روزيتا باتجاه مذنب «ويرتانين» وسوف تلاحقه لمدة عدة سنوات وفي سنة (٢٠١١) تطلق المركبة جهازا للرصد ليحط على سطح المذنب سنة (٢٠١٣) ويحتمل أن يكون الباحثون قد توصلوا الى اكتشاف حياة على كواكب أقمار أخرى من المجموعة الشمسية حتى ذلك الوقت.

من مظاهر إعجاز الآيات الكونية في سورة البقرة



بقلم : أ.د. حسن محمد باجوده
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

الآية الكريمة ميدان الدراسة ذات علاقة ببني اسرائيل الذين كثرت عللهم فكثر رسل الله تعالى إليهم وكثرت آيات أولئك الرسل كي يسير بنو اسرائيل في الطريق المستقيم ولكنهم لا يكادون يستقيمون على الطريق وقتاً من الأوقات حتى يسلكوا الطرق المعوجة والسبل المتفرقة.

والآية الكريمة ذات علاقة على نحو من الأنحاء بقصة البقرة التى أمر الله تعالى بنى اسرائيل على لسان نبيه موسى عليه السلام أن يذبحوها وكان يجزئهم أن يذبحوا أي بقرة ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله تعالى عليهم وكلما ضيقوا على أنفسهم السبل بالسؤال عن أوصاف البقرة ضيق الله عليهم.

وقد شاءت إرادة الله تعالى أن يقتل بنو إسرائيل نفساً حرّم الله تعالى قتلها إلا بالحق فتخالفوا وتنازعوا بشأنها كل يدفع عن نفسه تهمة القتل التي يطرحها عليه الطرف الآخر. وقد أوحي الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام أن يأمر قومه بأن يضربوا القتيل ببعض البقرة التى أمروا بذبحها فضربوه بذنبها فيما يقال فأعاد الله تعالى الحياة الى القتيل[١]، وأخبر بقاتله ثمّ عاد ميتاً كما كان[٢] وإلى حادثة القتيل أشارت الآيتان الكريمتان من سورة البقرة[٣]: **{وإذ قَتَلْتُم نفساً فادّارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون. فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون}** ثم تأتى الآية الكريمة ميدان الدراسة.

قال تعالى: **{ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشدّ قسوة. وإنَّ من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار. وإنَّ منها لما يَشقّق فيخرج منه الماء. وإنَّ منها لما يهبط من خشية الله. وما الله بغافل عمّا تعملون}**.

إن أول ما يلاحظ بشأن الآية الكريمة أنها تستعمل ضمير المخاطبين: «ثمّ قست قلوبكم من بعد ذلك» وذلك على غرار استعمال ضمير المخاطبين من بنى اسرائيل في القول: «وإذ قتلتم نفسا فادّارأتم فيها» ومعروف أن حادثة البقرة والقتيل كانت في عهد موسى عليه السلام فما الحكمة من استعمال ضمير المخاطبين؟ الحكمة هو التنبيه الى أن ذراري بنى اسرائيل راضون عن أخطاء أسلافهم وقبيح أفعالهم مستعدون في حالة الظروف المشابهة أن يقوموا بقبيح الأفعال ذاتها ومما تشابهت فيه بنو إسرائيل قسوة القلوب على النحو الذى قررته الآية الكريمة.

وبشأن القول: «ثم قست قلوبكم من بعد ذلك» نستطيع أن نفهم منه استبعاد قسوة قلوب القوم بعد أن أراهم الله سبحانه وتعالى على يد رسوله موسى عليه السلام الكثير من المعجزات والآيات البينات، وفي مقدمة هذه الآيات إحياء القتيل الذى أمروا بضربه ببعض البقرة وذكر اسم

من قـتله ثم مـات مـرة أخـرى بإذن الله تعـالى. إن المنتظر من بنى اسرائيل تجاه هذه الآيات البينات أن تكون قلوبهم رقيقة لينة، بل أن تسيل رقة وتذوب لينا. والعجيب أن العكس هو الذى حدث فقد قست قلوب القوم، بل غدت في القسوة كالحجارة، بل أشد من الحجارة قسوة كالحديد وصلب الحديد. قال تعالى: **{ثم قسَتْ قلوبُكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة}**.

ويلاحظ أن الحجارة تجيء في صيغة الجمع وذلك على غرار القلوب التي جاءت هي الأخرى فى صيغة الجمع. وحينما تكون القلوب في القسوة كالحجارة فذلك معناه أنها جميعاً قاسية قسوة الحجارة، وحينما تكون القلوب أشد قسوة من الحجارة فذلك معناه أن أقل القلوب قسوة هي في مستوى قسوة الحجارة، وليس أي حجارة، بل هي الحجارة القاسية وحدها لأن جملة قست من القول: «ثم قست قلوبكم من بعد ذلك» صرفت الكلام إلى الحجارة القاسية وحدها فخرجت بذلك الحجارة غير القاسية، اللينة والرخوة وما اليهما.

ويجتهد الذهن في البحث عن أشد الحجارة قسوة كي يشبه بها تلك القلوب، بل كي يشبه بها أقل القلوب قسوة، كما يجتهد الذهن في البحث عن المشبه به الذى يفوق الحجارة قسوة والذى شبهت به القلوب الأخرى. وربما وجد المرء جواباً لبحثه في الحديد أو في صلب الحديد وما إليهما.

ولا يكاد ينقضى عجب المتأمل للآية الكريمة من بنى اسرائيل الذين انتهت بهم آيات الله تعالى الى عكس المقصود منها تماماً فبدلا من أن تلين تلك القلوب وترق، وبدلا من أن تمتلىء حناناً وتتدفق إحسانا تحوّلت كالحجارة قسوة أو أشد من الحجارة قسوة.

وكي تعمق الآية الكريمة من خلوّ قلوب بنى اسرائيل من الرحمة، وتبين مثلا بالقسوة وتفجرها - تبعاً لذلك - بالحقد والبغضاء قارنت الآية الكريمة بين قلوب بني اسرائيل العقلاء المكلفين الذين نسوا الله تعالى فأنساهم أنفسهم وبين تلك الحجارة القاسية.

إن قلوب بني اسرائيل الخالية من أي رحمة الفارغة من أي عطف ولين تخالفها الحجارة القاسية الصلبة الصلدة في الصفات، إذ يتفجر من بعض تلك الحجارة القاسية الصلبة الصلدة الأنهار، ويشقق بعضها الآخر طولا وعرضاً فيخرج منه الماء الأقل كمية من سابقه الذى يتدفق جدولا رقراقاً أو عيناً ثرة، بينما يهبط البعض الآخر من الحجارة من خشية الله تعالى، ولعل لذلك الهبوط الذي تدركه العينان علاقة بالماء الباطن أو الظاهر. قال تعالى: **{وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء. وإن منها لما يهبط من خشية الله. وما الله بغافل عما تعملون}**.

وإن كلا من الجزئيات الكريمات بحاجة منا الى أن نقف عنده على حده، فمع هذه الجزئية الكريمة ابتداء: «وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار» وأول ما يلفت الانتباه النص على التفجر الذى يغرى بالمقارنة بينه وبين الانفجار والانبجاس إن التفجر هو التفتح بالسعة والكثرة[٤] والانفجار دونه[٥] والتفجر والانفجار يقترن بهما اتساع المسارب أو الشقوق أما الانبجاس فيقترن به ضيق الشقوق ابتداء. يقول الراغب[٦]: «لكن الانبجاس أكثر ما يقال فيما يخرج من شيء ضيق، والانفجار يستعمل فيه وفيما يخرج من شيء واسع».

ونستطيع أن نفهم من القول: «إن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار» بأن انفعال الحجارة أشد ما يكون الانفعال وأقواه، ولهذا نتبين أن الماء هو الذى يتفجر من الحجارة بالمعنى الذى يفيده التفجر من غزارة الماء وقوة اندفاعه مع اتساع في الشقوق. ونستطيع أن نتبين أن تجاوب الحجارة مع الماء مساو لغزارته بل مجار لتلك الغزارة والجيشان، بمعنى أن اتساع شقوق الحجارة قابل للزيادة تبعاً لزيادة كمية المياه التى جرت أنهاراً. ومما هو مقوّ لكثرة الماء واتساع انسياحه لفظة الأنهار التى يعود أصلها اللغوي «نهر» إلى معنى

السعة لأن النهر هو مجرى الماء الفائض وجمعه أنهار[٧].

ومن البين أننا بصدد مقارنة ملحوظة بين قلوب بني اسرائيل التى عليها أقفالها وبين الحجارة القاسية التى تتفجر أنهارها. والعجيب في الأمر أن هذا السائل العذب الفرات يتفجر أنهاراً من صدور الحجارة القاسية التي لا تعقل أمّا قلوب بنى اسرائيل فلا يأتى منها خشية ولا إنابة، ولا يلجها نور ولا هدى.

حقّنا بشأن هذه الجزئية الكريمة: «وإنّ منها لما يهبط من خشية الله» أن نفهم بأن العلاقة لازالت هنا بين الحجارة وبين الماء وأن الانفعال والتجاوب لازالا بين الحجارة وبين الماء ولكن بما أن الماء هنا في أضعف حالاته وأقل كمياته وبما أن الانفعال والتجاوب من الحجارة مساو لحاجة الماء وكان الماء غير قادر على التفجر أنهاراً أو الانبجاس عيوناً أو الترقرق جداول فقد كان هذه المرة التفاعل من الحجارة والتجاوب منها مساويين لحاجة الماء ورغبته وقد تمثل كل ذلك فيما طرأ على الحجارة من هبوط، وكأن هذا النوع من الحجارة قد طرأ على مستواه بعض انخفاض وعلى صدره بعض تطامن انفعالا بالماء المنطوي عليه وتجاوباً مع هذا السائل الذى تلبي الحجارة دائماً رغائبه وتحقق مطالبه. وبما أن الماء هنا يغمغم ويجمجم فإن الحجارة تكتفي في انفعالها وتجاوبها في انخفاض مستواها وتطامنها تضامناً مع الماء وتعاطفاً.

ويصح أن تتسع دائرة الهبوط كي تعني السقوط من أعلى والانحدار على سبيل القهر[٨] ويصح أن يكون هذا الانحدار بفعل الماء وبفعل غير الماء وإنما كانت نظرتنا الأولى إلى هبوط الحجارة بمعنى انخفاض مستواها بفعل الماء في باطنها لأن هذه النظرة تتمشى مع الحالين الأولين للحجارة وللماء في باطن الحجارة ولاتجاه الماء من القوّة إلى الضعف. إن الماء حينما كان غزيراً تفجر أنهاراً وحينما كان أقل غزارة انبجس من شقوق الحجارة عيوناً. أما حينما كان الماء في أضعف قواه وأقل كمياته فإنه ظل مضمراً في باطن الحجارة فكان من تلك الحجارة هبوط.

على أن الآية الكريمة تقرر أن الهبوط في حقيقته من خشية الله تعالى وبسبب الخوف الذى يشوبه التعظيم والمعروف أن ذلك أكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه[٩] والمعنى أن هبوط الحجارة وانحدارها وإن كان فى ظاهره بفعل الماء الباطن إن كان الهبوط بمعنى انخفاض مستوى الحجارة وبفعل الماء الظاهر إن كان الهبوط بمعنى سقوط الحجارة من المرتفعات والصخور من رءوس الجبال إلى السفوح، فإن الهبوط في حقيقته بسبب خشية الحجارة الله تعالى. «وإن منها لما يهبط من خشية الله».

وإن من العلماء من ذهب الى أن الخشية هنا على الحقيقة ومنهم من ذهب إلى ذلك من المجاز[١٠] ونحن نميل إلى أن خشية الحجارة هنا على الحقيقة وليس على المجاز ونبادر إلى تسجيل الأدلة من القرآن الكريم على ذلك. جاء في خشية الجبال من الله تعالى قوله عزّ من قائل في سورة الحشر[١١] {لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون} وجاء في إباء السماوات والأرض والجبال حمل الأمانة والإشفاق منها قوله تعالى في سورة الأحزاب[١٢] **{إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا}** وجاء في تسبيح السماوات السبع والأرض ومن فيهن وما فيهن الله تعالى قوله عزّ من قائل في سورة الإسراء[١٣]: **{تسبّح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن. وإن من شيء إلا يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم. إنه كان حليماً غفورا}** والسماوات والأرض تأتيان الله سبحانه وتعالى طائعتين على نحو ما بينت سورة فُصّلت. قال تعالى[١٤]: {ثم استوى إلى السماء وهي دُخَان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين} وما أكثر الآيات القرآنية الكريمة التى تقرر سجود السماوات والأرض وما فيهن

لله تعالى. جاء مثلا في سورة الرعد[١٥] قوله تعالى: {ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدوّ والآصال} وجاء في سورة الحج[١٦] قوله تعالى: {ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يُهن الله فما له من مُكرِم. إن الله يفعل ما يشاء}.

والحقيقة أن لفظة خشية ذات المعانى العميقة والمرامى البعيدة حينما تثبتها الآية الكريمة للحجارة الصماء ويفهم منها عظيم خشية الحجارة لله تعالى وذلك في معرض المقارنة بين قلوب بنى اسرائيل القاسية كالحجارة أو أشد قسوة وبين الحجارة التى تخشى كلها الله تعالى، وقد قال السيوطي[١٧] في معنى الخشية: «الخوف والخشية لا يكاد اللغوي يفرق بينهما، ولا شك أن الخشية أعلى منه وهي أشد الخوف.. ويدل لذلك أن الخاء والشين والياء في تقاليبها تدل على العظمة نحو: شيخ للسيد الكبير، وخيش لما غلظ من اللباس، ولذا وردت الخشية غالبا في حق الله تعالى» الحقيقة أن لفظة خشية وصفة الخشية التى تثبتها الآية الكريمة للحجارة تبين أبعاد قسوة قلوب بنى اسرائيل في القول: «ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة».

والحقيقة كذلك أنّا حينما نتبين أن صفة الخشية خلعتها الآية الكريمة على الحجارة التى انفعلت بالماء انفعالا يسيراً بينما انفعلت الحجارة الأخرى انفعالا أكبر فأكبر، فذلك معناه ضمناً أن الحجارة الأخرى التى انفعلت بالماء امتثالا لأوامر الله تعالى انفعالا كبيراً فتفجرت المياه أنهاراً أو انبجست عيوناً، فذلك معناه ضمنا أن الحجارة الأخرى قد حلّ بها ما بالحجارة الأولى من خشية الله تعالى. والمعروف أن الخشية ثمرة طاعة الله تعالى.

إن كل هذه المعانى حينما نتبينها والنعوت حينما نتمثلها في حق الحجارة الصماء في مقابل قسوة قلوب بنى اسرائيل التى عليها أقفالها فلا الشر خارج منها ولا الخير داخل فيها، نستطيع أن نفهم أبعاد التهديد الموجه في تذييل الآية الكريمة إلى بنى اسرائيل القساة القلوب الغلاظ الأكباد: «وما الله بغافل عما تعملون».

إن الله سبحانه وتعالى سيجازى بنى اسرائيل بما اقترفته أيديهم وقد جاء في حق بنى اسرائيل عبدة العجل المعتدين في السَّبت قوله عزّ من قائل في سورة الأعراف[١٨]: «وإذ تأذّن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب. إن ربَّك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم».

الهوامش:

(١) الكشاف ٢٢٢/١.
(٢) تفسير القرطبي ٣٨٨.
(٣) الآية ٧٢، ٧٣.
(٤) الكشاف ٢٢٣/١ والبحر المحيط ٢٦٥/١.
(٥) البحر المحيط ٢٦٥/١.
(٦) مفردات الراغب الأصفهاني ٣٧.
(٧) مفردات الراغب الأصفهاني ٥٠٦.
(٨) مفردات الراغب الأصفهاني ٥٣٦.
(٩) مفردات الراغب الأصفهاني ١٤٩ وانظر البحر المحيط ٢٤٩/١.
(١٠) انظر هنا الكلام العظيم لأبى حيّان في البحر المحيط ٢٦٦/١.
(١١) الآية ٢١.
(١٢) الآية ٧٢.
(١٣) الآية ٤٤.
(١٤) سورة فصّلت ١١.
(١٥) الآية ١٥.
(١٦) الآية ١٨.
(١٧) الإتقان ٣٦٣/٢.
(١٨) الآية ١٦٧.

قصص النبوة والأدب العربي

من غير شك أن الأدب العربي تأثر تأثرا كبيرا بالقصص النبوي، ولا نريد أن نستطرد في هذا الموضوع غير أننا نشير - في هذا الصدد - إلى رسالة الغفران التى رد فيها أبو العلاء المعرى على ابن القارح، وفيها من وقائع ومشاهدات تشبه ما جاء في القصص النبوي عن الجنة والنار، وبصفة خاصة عن الشعراء من أمثال امرىء القيس بن حجر، وعلقمة وطرفة والحطيئة والأخطل وغيرهم. وقد جاء ذكر بعض هؤلاء في كتب السنة تحكي مصير بعضهم، ففى منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال[١] عن أبي هريرة عن النبي {صلى الله عليه وسلم} (امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار) و(امرؤ القيس قائد الشعراء إلى النار؛ لأنه أول من أحكم قوافيها) وغير ذلك كثير. لذلك وضح تأثر أبى العلاء بذلك وبما جاء في قصة الإسراء والمعراج، وانتقلت رسالة الغفران إلى أوربا فأثرت في الآداب الغربية مع غيرها من الثقافة الإسلامية ومصادرها المختلفة[٢]: (هذا هو الشاعر الأعمى أبو العلاء المعرى الذى لا يزال شهيرا في العالم الإسلامي، بل فى أوربا أيضا، وهو سوري الأصل عاش في القرنين العاشر والحادى عشر من الميلاد، وهو الملقب بفيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة ألّف رسالة الغفران، وهى في حقيقة الأمر، محاكاة بارعة، لتلك الروايات البسيطة التى دارت أحداثها حول قصة الإسراء فحسب.. ورسالة الغفران رد على أحد أصدقاء أبى العلاء الشاعر الحلبي ابن القارح..).

وعلى كل حال يزخر تراث العرب الأدبي، وبصفة خاصة بعد الإسلام بالكثير والكثير، من القصص التى استلهمها العالم في القديم والحديث، من قصص فنى، يخترق عالم الغيب، أو يجري على لسان الجن والشياطين، والطير والحيوان، وتقع أحداثها في ممالك الأرض والبحار، والسموات والفضاء، مثل رسالة الغفران، وكليلة ودمنة، وألف ليلة وليلة، والمقامات، والتوابع والزوابع، وحي بن يقظان وغيرها. وهذا التراث يستلهم ويستمد من مصدرين ثابتين موثقين هما: قصص القرآن الكريم، وقصص النبوة، وهما يشعان بتوجيهات لها القداسة في سلوك المسلم العملي، لتنقية العقيدة، وتصحيح العبادة، وتنظيم المعاملة، ومن هنا تكون مصدر الهام وتجديد القيم النبيلة، ومنها الفنون الأدبية على اختلاف ألوانها. وهذه الفنون تعطى نماذج ومثلا في القديم والحديث، وتؤثر في المسلمين وفيمن يخالطهم، في كل زمان ومكان، فى بلاد الفرس والهند والصين، في الأندلس وأوربا، وفي الحروب الصليبية، وفي السلم، في التجارة والصناعة والزراعة وغيرها.

أثر قصص الجنة في الآداب العالمية:

نشير هنا إلى بعض ما قلناه عن تأثير القصص النبوى في الآداب العالمية، وبصفة خاصة ما يتعلق بالجنة والنار في قصة المعراج، ومدى تأثيرها في أدب كبار الكتاب العالميين، من أمثال دانتي. يقول الدكتور محمد غنيمى هلال في كتابه الأدب



بقلم: أ.د. عبدالباسط أحمد حمودة
- مصر -



المقارن[٣]: (ولقد قضى على كل معارضة في ذلك التأثر، وزالت كل شبهة أمام الباحثين، بفضل عالمين مستشرقين أحدهما: ايطالي وهو (تشيرولي) في بحثه الطويل الذي عنوانه: (كتاب المعراج ومسألة المصدر العربي الأسباني للكوميديا الإلهية).

والمستشرق الثاني أسباني هو (مونيوس سنديتو) في كتابه الذي عنوانه: (معراج محمد). وقد قام هذان العالمان ببحوثهما كل على حدة، ونشرا كتابيهما في وقت واحد تقريبا، عام ١٩٤٩م، واتفقت نتائج بحوثهما على الرغم من أن أحدهما لم يتصل بالآخر، وقد اكتشفا مصدر (دانته) في مخطوطة أصلها عربي، وموضوعها (معراج الرسول). وقد ترجمت هذه المخطوطة الى الأسبانية (في لهجة قشتالة) ثم إلى الفرنسية واللاتينية، بأمر من الملك (ألفونس العاشر ١٢٥٢ - ١٢٧٢) الذي كان ملك (قشتالة)، ثم امبراطور المانيا، ويسمى: (الفونس الحكيم) وفي الكتابين السابقي الذكر نص المخطوطتين اللتين بقيتا في الإسراء والمعراج، إحداهما (وهي باللغة الفرنسية القديمة) في مكتبة (اكسفورد) والثانية (وهي المخطوطة اللاتينية) في المكتبة الأهلية بباريس. وقد كان بلاط (الفونس العاشر) مقصد كثير من عظماء أوربا ومفكريها، هذا إلى أن لدينا معلومات تاريخية، تدل على أن نسخة من هاتين المخطوطتين كانت في مكتبة الفاتيكان، ثم إن سيطرة (ألفونس العاشر) على دول الغرب لعصره - كما هو ثابت تاريخا - قد جعلت كل جهوده العلمية تعم ممالك أوربا جميعا. على أنه من الثابت أن (دانته) كان كثير الاطلاع على ما يتاح له من جميع الثقافات الأخرى.. وفي (الكوميديا الإلهية) نفسها ما يثبت اطلاع (دانته) على الثقافة الإسلامية..).

ويقول ول ديورانت في قصة الحضارة[٤]: (إن تصوير دانتي لله بأنه نور وحب (الحب الذي يحرك الشمس وسائر النجوم) لهو قول ارسطو، انتقل إليه عن طريق الفلسفة العربية وكان يعرف الشيء القليل عن الفارابي، وابن سينا، والغزالي، وابن رشد، ويضع ابن رشد في المحيط الخارجي للجحيم..

وتؤكد الدراسات الحديثة ما استمده دانتي من المصادر الشرقية، وبخاصة المصادر الإسلامية، كقصة: (أردا فيراف) التي تصف الصعود إلى السماء، ووصف الجحيم الوارد في القرآن، وقصة المعراج، ووصف الجنة والنار في رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، وفتوحات ابن عربي).

ويقول الدكتور محمد غنيمي هلال[٥]: (وأما هذا التشابه بين رسالة أبي العلاء و(كوميديا) دانتي فقد يكون راجعا إلى أنهما كليهما قد أفادا من حكاية الإسراء والمعراج، وفي هذه الحالة يكون لأبي العلاء فضل الإفادة أدبيا من التراث الإسلامي قبل دانتي).

ويرى ميجيل آسين[٦] أن دانتي قد (لجأ هو أيضا إلى نفس هذه الوسائل، وإن كان مستوى تصميم الكوميديا الإلهية أكبر كثيراً من مستوى تصميم رسالة الغفران، لقد عمل دانتي بنفس المنهج الذي اتخذه أبو العلاء، ولكنه تخطى مجرد الهدف الأدبي الذي رمى إليه المؤلف الإسلامي).

ويتحدث ميجيل عن الصور المنقولة في كوميديا دانتي عن القصص النبوي للجنّة فيقول: (ومن المشابهات الغريبة إن إحدى القصص الإسلامية قد كررت حادثة الشجرة ثلاث مرات «.. فترفع له وهو على الصراط شجرة، فيقول: أي ربِّ ادنني من هذه الشجرة لأستظل بظلها وأشرب من مائها. فيقول الله - تعالى - : يابن آدم .. (القصة) وعلى الرغم من أن نهاية القصتين مختلفة، فإن الخطوط للحادثة متشابهة جدا في كلتا القصتين).

ويبدو واضحا تأثر دانتي بابن عربي الذي تَصَوَّر الجنة، ووضح هذا التصور برسوم هندسية[٧]: (والآن نرى أنه لا يلزمنا أن نبذل مجهودا ذهنيا مفرطا، لنتبين التشابه بين هذا التصور ووردة دانتي، لم يستخدم ابن

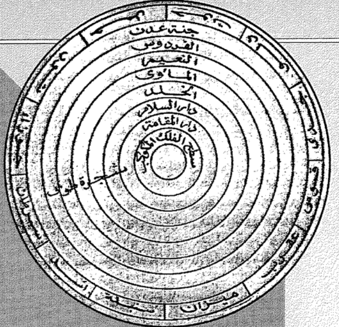
عربى في الحقيقة تشبيه الوردة في نصه، غير أن لمحة واحدة لتصميمه الذى وضعه بنفسه بدقة هندسية كبيرة، من شأنه أن يفصح عن مثل هذا التشبيه.. ونقع على تشابه آخر بين وردة دانتى وقصة إسلامية ظللت فيها الجنة شجرة هائلة، وقد استخدم ابن عربى حديثا شهيرا جدا في الإسلام (يعنى قصة: إن طوبي شجرة في الجنة) وأدخل في تصميمه شجرة هائلة تخرج أصولها من سماء الحرك الأول.. وهذا هو نفس الانطباع الذى يحدثه النظر إلى الوردة).

[انظر الشكل رقم (١)]

ويتحدث ميجيل آسين عن تأثير النماذج الإسلامية في آداب أوربا مثل أيرلندا، واسكنديناوة وفرنسا، وألمانيا، وايطاليا، حيث انتقلت إلى أوربا المسيحية عن طريق الحجاج، والصليبيين والمبشرين والتجار أو عن طريق المغامرين (النورمان) أو الرقيق، أو رجال الأدب والعلم، أو الرحالة العاديين[٨] (والحقيقة أن أسبانيا قد اعتبرت في القرن التاسع الميلادى، موطنا للأحاديث النبوية، وكان طبيعيا أن تكون أحاديث عروجه إلى السماء اكثرها شيوعا، باعتبارها الأحاديث التى تروي فصلا هاما من فصول سيرته - وهى رواية انجازه لمعجزته الكبرى التى أصبحت عقيدة من عقائد الإسلام، التى لا يزال المسلمون في كل أنحاء العالم يحتفلون بذكراها حتى يومنا هذا.

وبعد أن يذكر الكاتب معرفة الأسبان بقصة المعراج، يحدد بعض القديسين ورؤساء الأديرة الذين قرأوا هذه القصص مرارا وتكرارا، وعلى ذلك فلا يستبعد وصول قصة المعراج إلى ايطاليا التى كانت مرتبطة بأسبانيا بروابط اتصال وثيقة ودائمة: (وفي هذا الوقت كان التصميم الذى وضعه دانتى لقصيدته الإلهية، قد تحيز نهائيا في تفكيره، وصور الجحيم، وهو أول أجزائها في سنة ١٣٠٦م).

ويدلل ميجيل آسين في أكثر من موضع بأن دانتى استقى كتابه (الكوميديا الإلهية) إلى جانب المصادر



أثبت ميجيل آسين هذا الشكل وقال إن ابن عربى وضعه فى كتاب الفتوحات المكية ونقله دانتى فى الكوميديا الإلهية

السابقة - من ابن عربى ومؤلفاته عموما، وعلى الأخص كتابه الفتوحات المكية، حيث أخذ الفكرة العامة لقصيدته[٩] (والأرجح أن دانتى وقع في هذا الكتاب أيضا على التصميمات الهندسية لبناء الجحيم والفردوس، وعلى الملامح العامة للمناظر التى وضعت على أساسها الكوميديا الرائعة، وعلى الصورة الزاهية لحياة النعيم التى يحياها المتعمون في الجنة، وعلى تجلى النور الإلهى، وعلى اللذة التى يحصل عليها من يراه).

وما وجدناه في الثقافة الاسلامية وتأثيرها في العالم الغربي، وبصفة خاصة تأثير القصص النبوي، نجده في الآداب الشرقية التى كانت على جانب كبير من الحضارة قبل الاسلام: (ولكن أبرز المؤثرات الدينية بلا مراء، هى تلك المؤثرات الإسلامية، ويرجع هذا الى اعتناق الكثرة العظمى من الايرانيين للإسلام بعد الفتح العربي، وكان من نتيجة ذلك أن اصطبغت (الشاهنامة) نفسها، حين جمعها ونظمها بهذه الصبغة الإسلامية، فنرى كل ملوكها وأبطالها - تقريبا - موحدين، يؤمنون بالله واليوم الآخر، وقضائه وقدره، خيره وشره..)

وأثرت الثقافة الإسلامية في القارة الهندية، فما يزال أهل السند الهندوس ينطقون بكلمات عربية

ويسمون يوم الخميس خميسا، والحصير حصيرا، والثوم ثوما، ومازال خطهم عربيا إلى انتشار الدعوة الطائفية ومثل ذلك وأكثر في اندونيسيا وماليزيا[١١]. ويقول اين، سي، مهتا في كتابه (الحضارة الهندية والإسلام): (إن الإسلام قد حمل إلى الهند مشعلا من نور، قد انجلت به الظلمات التى كانت تغشى الحياة الإنسانية في عصر مالت فيه المدنيات القديمة الى الانحطاط والتدنى، وأصبحت الغايات الفاضلة معتقدات فكرية، لقد كانت فتوح الإسلام في عالم الأفكار أوسع وأعظم منها في حقل السياسة).

تراث العرب والمسلمين:

القصص النبوى هو تراث خالد للعرب والمسلمين، تهوى إليه أفئدة المسلمين في كل مكان وزمان يقول أحد المسلمين من غير العرب[١٢]: (فكتب الحديث النبوي، تسد هذا الفراغ الواقع في تاريخ الأدب العربي، وتنقل إلينا الذخر الأدبي الذى أعتقد أنه قد ضاع، وتمتاز أنها قد اتصل سندها وصحت روايتها، فهى أوثق مصدر للغة العربية البليغة التى كانت سائدة في عهدها الذهبي الأول، وللأدب العربي الذى كان منتشرا في جزيرة العرب.

إن هذه الكتب تشتمل على روايات قصيرة وطويلة، وكلها أمثلة جميلة للغة العرب العرباء، التى كانوا يتكلمون بها، ويعبرون فيها عن ضمائرهم وخواطرهم، ويجد دارس الأدب العربي فيها من البلاغة العربية، والقدرة البيانية، والوصف الدقيق، والتعبير الرقيق، وعدم التكلف والصناعة ما يقف أمامه خاشعا معترفا للرواة بالبلاغة والتحرى في صحة النقل والرواية، واللغة العربية بالسعة والجمال).

لذا عمل أعداء الإسلام من الغرب والشرق، ومنذ زمن بعيد ـ في جد ونشاط، وتنظيم دقيق على غلبة ونشر ثقافتهم العلمانية، المعزولة عن الأديان في الظاهر، والمعادية للإسلام في الباطن، والماحقة لتراثه، فعملوا بكل الوسائل السياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية والاجتماعية، وسخروا كل الامكانات: كالاستشراق، والتبشير، والاستعمار واعداد القادة في مختلف التخصصات من أبناء المسلمين المبعوثين أو المتعلمين في مدارسهم وجامعاتهم في بلاد الإسلام، أو عن طريق الإعلام الموجه، أو بتصدير الآراء والأفكار فى صور علمية أو مذهبية متقدمة.

ونجح أعداء الاسلام في تحقيق الأهداف التى لم يحققوها في الحروب الصليبية ولا غيرها، وذلك عن طريق تغيير المفاهيم التراثية، والثقافية، والدينية، حيث[١٣] سادت نزعة التغريب، وتسللت من مجرد الدعوة إلى التبعية الثقافية للغرب، لتصل إلى إذاعة الآراء المنحرفة، وذلك عندما سيطرت الروح العلمانية، وبالذات في مجال التعليم وعندما ظهرت الدعوة التى قادها سلامة موسى لإحياء العامية وكتابة العربية بالحروف اللاتينية، وعندما ظهر كتاب الدكتور طه حسين (في الشعر الجاهلى) ثم تلاه كتابه الآخر (مستقبل الثقافة في مصر). وكذا كتاب على عبد الرازق (الإسلام وأصول الحكم) وما كتبه قاسم أمين (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة) ونجد الانحراف قد تركز بصورة أكيدة فيما دعا إليه الدكتور أحمد زكى أبو شادى من مهاجمة الإسلام، باسم مهاجمة الأديان وذهب أيضا إلى ضرورة اغلاق الأزهر ليحيا المصريون حياة مدنية، وروج لتيار العلمانية بحجة الإيمان بقداسة البحث، وفى مواضع أخرى تغنى بآراء (فرويد) عالم النفس اليهودي، وخاصة فيما يتعلق بالغريزة الجنسية، على اعتبار أنه رسول جديد لم يستند إلى ديانة تقليدية ـ على حد قوله ـ كبقية الرسل، إنما استند إلى العلم وحده.

ودعا أذناب الغرب وعملاء أعداء الإسلام إلى دعوات اقليمية وقومية وعرقية، وقامت مدارس لترسيخ الثقافات والآداب الواردة لتغيير مفاهيمنا التراثية والأدبية كمدارس المهجر، والديوان، وأبولو، التى ألقت

في روع الجيل الماضي والحاضر، بأن علاج القصور الذى لحق بأدبنا منذ الجاهلية إلى اليوم، يمكن تداركه عن طريق الأخذ بالمذاهب الغربية، وبخاصة الرومانتيكية.

واتضح الآن على أرض الواقع الإسلامي، طغيان الثقافات التغريبية على تراثنا العربي الإسلامي، فزلزل كيان اللغة العربية، مما نراه من مظاهر التحقير والسخرية والاستخفاف بها وبأهلها، والعمل المتواصل للتنكر من قواعدها، بدعوى صعوبتها، وتنحية بلاغتها، بحجة تكلفها وبعدها عن روح العصر، وفي مجال أدبها توجيه ضربات قاصمة للشعر وموسيقاه العربية، القائمة على تفاعيله وقوافيه وبحوره، وفي جانب آخر الترويج للشعر المنثور أو النثر المشعور الذى لا يقوم على رابطة فنية ثابتة.

وفي تاريخ الأدب ونقده أخرجوا الأدب الذى يفيض بالاخلاص والصدق، اللذين يهبان الأدب روحا وقوة وحيوية، من حظيرة الأدب، وهو فن الخطابة الدينية والكتابة كالمقالة والوصايا الدينية، وكذا القصص العربي قبل العصر الحديث، بدعوة خلوه من عناصر القصة الحديثة، ووضوح الجانب الخطابي بالدعوة إلى القيم والأخلاق، مما يتعارض مع (الأدب للأدب).. وغير هذا وذاك مما هو قائم في مفاهيم الأدب والنقد الغربي[١٤]: (إن المتأمل في عامة النتاجات الفنية والأدبية للإنسان العربى المعاصر، ليجدها - إلا قليلا - تتحرك من جذور أوربية، إغريقية، مسيحية، وتعبر عن وجدان أوربي في همومها، وخيالاتها، وحسها الفنى كذلك، تحت ستار ما يسمى بالحداثة.

ولقد سأل صحفى جزائرى المستشرق الفرنسى المعاصر (شارل بيلا) ماذا تقرأ، الأدب العربي القديم أم الحديث؟ فأجابه على الفور: بل أقرأ الأدب العربي القديم وحده، فسأله الصحفى فزعا: ولم لا تقرأ الأدب العربي الحديث؟ فأجاب (شارل بيلا): لأنه أدب أوربي مكتوب باللغة العربية).

هكذا نجح الأعداء في ابعادنا عن التراث الإسلامي، حتى لا تكون لنا عودة إلى قيمنا وأخلاقنا وديننا[١٥] (فإن المقصود الأول بالتبشير عن طريق التعليم هم المسلمون، وخصوصا بعد أن تبدلت الأحوال والعقليات بعد الحرب العالمية الأولى، وهكذا كان تاريخ الأعمال التنصيرية في البلاد الإسلامية، إلى حد كبير، تاريخا للتعليم الأجنبي).

(ومن رأي المنصرين أن تؤسس الكليات في المراكز الإسلامية، ولذلك لم يكتفوا ببيروت، بل أرادوا أن يكون ثمة كلية في القاهرة نفسها إلى جانب الجامع الأزهر، وهكذا اصبح للمنصّرين الأمريكيين الكلية الأمريكية في القاهرة، بعد كلية روبرت في استانبول أيضا، ولم يكن رأى المنصّرين الفرنسيين مخالفا لذلك، فانشأوا كلية لهم في مدينة لاهور، وهى مدينة من المدن الإسلامية الكبرى في الهند(وعاصمة مقاطعة في باكستان اليوم).

وأمام هذه الحقائق الواضحة، والتى لا يجادل فيها مخلص لدينه ولقومه، وأمام اشتداد حملات أعداء الإسلام وأتباعهم - ممن أشربنا إليهم - لمحو شخصية المسلم وتفريغه من كل قيمه وأخلاقه نقول أمام ذلك كله، من الواجب والمحتم على الأمة وفي مقدمتها دعاة الإصلاح والغيورين على بناء وتربية الأجيال تصحيح هذا الخلل والمرض العضال الذى سيقضى على البقية الباقية من الأمة، وذلك بوضع خطة على مستوى العالم الإسلامى، يلتزم بها المسئولون وأفراد الأمة وتنفذ في أجهزة المعارف والتربية والتعليم والتوجيه والثقافة، لتدارك الخلل الذى دخل في الثقافة والتراث العربى والإسلامى، وتنقيته من كل ما أثر ويؤثر أو يتعارض معه، وأن تبنى المناهج على الاحتكام والاستلهام لديننا وتقاليدنا ومعالم حضارتنا.

وفي هذا المقام نذكر على سبيل المثال ما يجب النظر إليه في تراثنا وهى السنة النبوية التي ينظر اليها البعض بأنها قاصرة على الدين فقط، نقول إنها مثال حي وصورة صادقة للتربية والنشأة في ظلال الأدب العربي والإسلامى، فهى مصدر موثق لا يبلغ درجته مصدر في عالم الأمس أو اليوم، ولذا يجب أن

تقتحم مجال الأدب العربي، وتكون لها الصدارة على كل المستويات، في التعليم العام والعالي، وتقرر منها مواد أدبية مختلفة تمثل جيل صدر الإسلام والأجيال التالية له ومالها من تأثير في العصور التالية، فالنثر في صدر الإسلام يكشف عن ذلك، ويعوض عما يقال من ضياع أكثر النثر الجاهلي، ففي السنة الأمثال والحكم والمواعظ، وفيها الخطابة والمناظرات، على نحو ما نرى بين الوفود بخطبائها وشعرائها وبين خطباء وشعراء رسول الله [صلى الله عليه وسلم]، وفيها أيضا نماذج القصص الموجز، والوسيط، والطويل؛ وأن يشار في هذا المجال الى الحقائق العلمية من تأثيرها في الآداب العالمية؛ لزرع الثقة في ناشئي الأمة، وهذا إن صحت النيات، وصدقت العزائم أمر ميسر، حيث نجحت رابطة العالم الإسلامي في إدخال مادة الأدب الإسلامي في كثير من الجامعات الإسلامية. ويمكن أن يكون هذا الأدب في مواد دراسية في المدارس الابتدائية والثانوية كالمطالعة والمحفوظات والقراءة والنصوص والبلاغة والتعبير والنقد وغيره، وفي المرحلة الجامعية تكون بصورة أوسع في الكليات الأدبية والنظرية في مواد تاريخ الأدب والنصوص والنقد، وفي صور أخرى لمواد قواعد النحو والبلاغة، ففي السنة أقوى وأبلغ ما في الأدب العربي وتاريخه من نماذج ونصوص بشهادة أهل البيان من العرب، فقد ذكر ابن هشام[١٦] أن السنة التاسعة للهجرة تسمى سنة الوفود، حيث قدم وفد بني تميم، وكان فيما قالوه: يا محمد جئنا نفاخرك فأذن لشاعرنا وخطيبنا، قال: (قد أذنت لخطيبكم فليقل) فقام عطارد بن حاجب فقال خطبة، ثم قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم]، لثابت بن قيس بن الشماس، أخي بني الحارث بن الخزرج: (قم فأجب الرجل في خطبته) فقام ثابت فقال خطبته، ثم قال الأقرع - من وفد بني تميم: وأبي، إن هذا الرجل لمؤتى له، لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، ولأصواتهم أحلى من أصواتنا. ثم أسلم القوم وجوزهم رسول الله [صلى الله عليه وسلم] فأحسن جوائزهم.

وبمثل هذا المسلك في وضع الخطط والمناهج نصل حاضرنا بماضينا، ونشعر بواقعنا ينهل من تراثنا ويبني شخصيتنا، ونعيد أمجادنا، ونبني حضارة على هدى من كتابنا وسنة نبينا [صلى الله عليه وسلم].

وبمثل هذا أيضا تتوحد مناهل الأمة، وتلتقي على كلمة سواء، ومفاهيم موحدة لبها ومدارها مأدبة القرآن الكريم، والسنة المطهرة، والشعر العربي الذى هو ديوان العرب، وكذا النثر الذى يضم الأعراف والتقاليد، وبذلك تتحقق رابطة اللغة العربية في بناء الأمة، عن طريق توحيد الروح، والحس، والشعور؛ فتصير كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تجاوبت معه سائر الأعضاء.

- للحديث صلة -

الهوامش:

(١) جـ٥ ص ٣٠٠.

(٢) ميجيل آسين: أثر الإسلام في الكوميديا الإلهية ص ٦٦.

(٣) ص ١٤٦.

(٤) ترجمة محمد بدران ص ٣٢٤ جـ١٧.

(٥) الأدب المقارن ص ٢١٧.

(٦) أثر الإسلام في الكوميديا الإلهية ص ٧٤، ١٢٦.

(٧) المرجع السابق ص ١٥١ وما بعدها.

(٨) المرجع السابق ص ٢٣٧ - ٢٤٢.

(٩) ص ٢٦٢.

(١٠) د. أمين عبد المجيد: القصة في الأدب الفارسي ص ٣٨٦.

(١١) أبو الحسن الندوي: أحاديث صريحة ص٦٧.

(١٢) أبو الحسن على الحسني الندوى: نظرات في الأدب ص ٢٣.

(١٣) محمد جاد البنا: المعارك الأدبية ص ١٦٧.

(١٤) جمال سلطان: الغارة على التراث الإسلامى ص ٢٣.

(١٥) التبشير والاستعمار ص ٦٩، ٧٩.

(١٦) سيرة ابن هشام جـ٤ ص ٢٠٥ - ٢١٠.

في الموازنة بين البديعيات المبكرة

الموازنة فن من فنون النقد الأدبي، ووسيلة من وسائله، ظهرت مبكرة في تاريخ النقد العربي، وأخذت تسايره على مر العصور، وفي رحلتها هذه وضعت أصولها وأوضاعها وشروطها اللازمة لعقدها، بعضها يتصل بالناقد الموازن، وبعضها يتعلق بطرفي الموازنة، منها اتحادهما في الموضوع أو المضمون[١].

والموازنات من حيث كونها أداة من أدوات النقد تتنوع وتتباين بين موازنة عامة واستحسان مطلق، وبين مفاضلة مشروحة معللة، فقد يعتمد الناقد أو الموازن بين نصين أو شاعرين على ذوقه الخاص دون أن يوضح أسباب التفضيل وعلله، وذلك ما كان عليه النقد العربي منذ العصر الجاهلي حتى العصر العباسي. وقد يحتكم الناقد إلى منهج موضوعي يعمد فيه الى الشرح والتحليل والتعليل على النحو الذي نجده عند صاحب «الموازنة بين الطائيين» تلك الموازنة التي «تعد فريدة من نوعها في تاريخ النقد العربي»[٢].

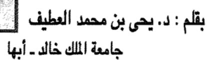
ومن الموازنات في تراثنا الأدبي والنقدي تلك الموازنة التي عقدها ابن حجة الحموي في كتابه «خزانة الأدب أو التقديم» بين بديعيته والقصائد البديعية المبكرة في مدح الرسول [صلى الله عليه وسلم] أعنى بديعية صفي الدين الحلي وعز الدين الموصلي وابن جابر الأندلسي، مستهدفا إبراز محاسن بديعيته، وتأكيد قوة شاعريته، وإظهار تقدمه في ميدان البديعيات على من سبقه.

وليس بغريب أن يستخدم ناقد كابن حجة هذه الوسيلة النقدية لتحقيق ما يهدف إليه، لكن الغريب حقاً أن يكون المباشر للعملية النقدية طرفاً في هذه القضية - أعني المفاضلة والموازنة بين هذه البديعيات - وتلك ظاهرة نادرة في تاريخ النقد العربي. لذلك سنسير مع صاحب الخزانة بحذر فيما يبديه من آراء، وسنكتفي في الحديث عن هذا الموضوع بما يوضح طبيعة هذه الموازنة، وأسسها ومقاييسها التي استخدمها «ابن حجة».

لعل أبرز سمات هذه البديعيات هي التي حددت المقاييس التي استخدمها صاحب الخزانة ونعني ما تضمنته من الفنون البلاغية أو البديعية، فقد وازن على أساس هذه الفنون ومدى مطابقة بيت البديعية لمفهوم الفن الذي تضمنه، وصحة الاستشهاد به، اتبع ذلك في جل أبيات البديعيات المذكورة.

يقول في «براعة





بقلم : د. يحى بن محمد العطيف
جامعة الملك خالد - أبها

الاستهلال»: «وبراعة الحلي من أحسن البراعات وأحشمها وهي:

إن جئت سلعا فسل عن جيرة العلم

واقـر السـلام على عـرب بذي سلم

فقد شبب بذكر سلع، والسؤال عن جيرة العلم، والسلام على عرب بذي سلم، ولا يشكل على من عنده أدنى ذوق أن هذه البراعة صدرت لمديح نبوي.

وبعد أن يورد مطلع بديعية «ابن جابر» وهو:

بطيبـة أنزل ويمم سـيـد الأمم

وانثـر له المدح وانشـر أطيب الكلم

يقول: «هذه البراعة ليس فيها إشارة تشعر بغرض الناظم وقصده بل أطلق التصريح، ونشر المدح، ونشر طيب الكلم، فإن قال قائل: إنها براعة استهلال قلت: إن البديعية لابد لها من براعة وحسن مخلص وحسن ختام فإذا كان مطلع القصيدة مبنياً على تصريح المدح لم يبق لحسن التخلص محل ولا موضع»[٣].

ويقول عن مطلع بديعيته وهو:

لي في ابتدا مـدحكم يا عـرب ذي

براعـة تسـتـهل الدمع في العلم

«وأما براعة بديعيتي فإنها ببركة ممدوحها {صلى الله عليه وسلم} نور هذه المطالع، وقبلة هذا الكلام الجامع، فإني جمعت فيها بين براعة الاستهلال وحسن الابتداء بالشرط المقرر لكل منهما، وأبرزت تسمية نوعها البديعي في أحسن قوالب التورية، وشنفت بأقراط غزلها الأسماع مع حشمة الألفاظ، وعذوبتها، وعدم تجافي جنوبها عن مضاجع الرقة»[٤].

مما سبق نرى المؤلف يبين في موازنته خصائص كل مطلع، ومدى استيفائه الشروط المقررة لهذا الفن عند علماء البديع، ولذلك استحسن بيت بديعيته وبيت بديعية الحلي، أما مطلع «ابن جابر» فلم يستوف مقاييس هذا الفن ـ في نظر ابن حجة ـ لأنه صرح فيه بغرضه، وذلك إخلال بشرط من شروط براعة الاستهلال لأنه اشترط في المطلع أن يكون مشعراً بغرض الناظم مشيراً إليه من غير تصريح. وابن حجة محق فيما ذهب إليه. أما إذا عرضنا مطلع بديعية «ابن جابر» على مفهوم ناظمها لبراعة الاستهلال فإننا نجده مطابقاً له يقول ابن جابر في تعريفه: «هو أن يبين الشاعر في المطلع غرضه»[٥] ولقد جاء هذا المطلع مبيناً لغرض ناظمها وهو مدح الرسول الأمين {صلى الله عليه وسلم} وسهولة هذا المطلع ورقته وسلاسته، واضحة ظاهرة.

أما مطلع بديعية «الموصلي» فلم يذكره «ابن حجة» كعادته ولعل علة ذلك أنه أخذ الشطر الأول من بديعية الموصلي وضمّنه بيت براعة استهلال بديعيته، وكان الأولى وهو بصدد الموازنة أن يشير الى ذلك لا سيما وأن التضمين مباح في قانون الشعر والاعتراف بالحق فضيلة.

وبيت بديعيته على شرطه المقرر كما ذكر لكنه ارتكب فيه ضرورة لغوية هي قصر الممدود في قوله: «لي في ابتدا» على حين تخلو مطالع البديعيات الأخرى من مثل تلك الضرورة وأود أن أشير إلى أن ابن حجة لم يتناول الجانب اللغوي في موازنته.

وهو يسلك سبيل الموازنة التفضيلية كثيراً

فيصرح برأيه وحكمه مفضلا أبيات بديعيته غالباً كما في «التتميم والاستعارة والتشريع، والاستثناء والاطراد والمناسبة والنوادر والاعتراض والتطريز».

وقد يصيب في حكمه كما في قوله في الاستعارة[٦]: «فبيت الشيخ صفي الدين ـ رحمه الله ـ في بديعيته وهو الشاهد على نوع الاستعارة:

إن لم أحث مطايا العزم مثقلة

من القوافي تؤم المجد عن أمم

وبيت العميان:

يقول صحبي وسفن العيس خائضة

بحر السراب وعين القيظ لم تنم

بيت الشيخ صفي الدين وبيت العميان لم يحسن السكوت عليهما، ولا تتم الفائدة بهما، فإن بيت الشيخ صفي الدين متعلق بما قبله، وبيت العميان متعلق بما بعده، وبيت الشيخ عز الدين صالح للتجريد وهو:

دع المعاصي فشيب الرأس مشتعل

بالاستعارة من أزواجها العقم

أقول: ... إن في قوله: «من أزواجها العقم» ما يرعب السامع

وبيت بديعتي:

وكان غرس التمني يانعا فنوى

بالاستعارة من نيران هجرهم

وقد تقدم أن المقدم عند علماء البديع الاستعارة المرشحة فلفظة «غرس» رشحت بيانع وأما قولي: «بالاستعارة من نيران هجرهم» بعد «نوى» فما أعده إلا من المنح الإلهامية فإن اسم النوع الذي هو الاستعارة جمع بين التورية والاستعارة والترشيح مع عدم الحشو، وصحة التركيب، والمشي على جادة الرقة، والالتزام بتسمية هذا النوع موري به من جنس الغزل».

والحق أني لم أجد مطعنا في بيت ابن حجة سوى أن التورية فيه باسم النوع مستعارة من بيت شيخه الموصلي الآنف.

وقد يجانب صاحب الخزانة الصواب في حكمه كما في نوع «الطاعة والعصيان»[٧]. وقد يكون تفضيله لبيته مشفوعاً بروح الزهو والإعجاب كقوله في النزاهة: «والذي أقوله إن بيتى في هذا الباب جر أذيال البلاغة مع جرير وشاركه في العذوبة والتباري، ولكن له نبأ في التسمية صدر عن خبير»[٨] وهذه الروح نجدها كثيراً في مؤلفات ابن حجة ولا سيما في «خزانة الأدب»[٩]، وابن حجة معجب بالحلي وبديعيته لذلك نجده يثني عليها كثيراً ويسمها بالرقة والانسجام ويفضل أبياتها على بديعيتي الموصلي والأندلسي في كثير من الأحيان نجد ذلك في مواطن متعددة منها قوله في تجاهل العارف[١٠]: «وبيت الشيخ صفي الدين غاية في هذا الباب وهو:

يا ليت شعري أسحراً كان حبكم

أزال عقلي أم ضرب من اللمم

وكما استهجن بعض أبيات بديعية الموصلي أستحسنها كثيراً، وفضله بها على من سبقه نجد ذلك في «الاستطراد والمناقضة والاكتفاء والتكميل والتفريق وائتلاف اللفظ مع المعنى، والغلو الذي يقول فيه ـ بعد أن تناول بالنقد بيتي الحلي والعميان وهما:

عـزيز جـارلو الليل اسـتـجـاريه

من الصـباح لعاش الناس في الظلم

تكـاد تشـــهـــد أن الله أرسـلـه

إلى الورى نطف الأبناء في الرحم

«وبيت الشيخ عز الدين في بديعيته يقول فيه عن النبي {صلى الله عليه وسلم}:

في مـــدحـــه نفـحـات لا غلوّ بهـا

يكـاد يحي شـــذاها بالي الرمم

نفـحـات هذا البـيت عطّرت الوجـود بالمديح النبـوي، وغلوها فيه ملحوظ بعين القبـول، وتقريبـها بكاد أحرز قصبات السبق ولا أقول كاد، وهذا عندي مقدم على بيت بديعيـة الشيـخ صـفي الدين، وبيت العميان، لالتزامه بتسمية النوع البديعي مورى به من جنس المديح مع إنسجامه ورقته»[١١].

وابن حجة عندما يصرح بتفضيل بيت من أبيات البديعيات الأخرى إما أن يضم بيت بديعيته إلى البيت المفضل غـالباً ويسـاويه به، وإما أن يكتفي بتبيان محاسنه، وإما أن يحيله إلى أصحاب الذوق السليم، ولا يقر لغيره بالفضل إلا نادراً وجدنا ذلك في موضع يتيم من موازنته يقول ـ بعد أن ذكر أبيات بديعـيات الحلي والموصلي وابن حـجة في التكرار ـ «كاد بيت الشيخ صفي الدين وبيت الشيخ عز الدين وبيت بديعتي أن تكون بيتاً واحداً لمنا سبة التركيب، وإن كان بيت الشيخ الحلي مميزاً بزيادة واحدة في التكرار فـقد جـاء مـوضـعـها التورية في تسـمـيـة النوع.. والذي يظهر أن مكرر بيتي حلاوته ظاهرة على بيت الشـيخ عـز الدين فـإن مكرره ناقص الحلاوة»[١٢].

ومما سـبق يتضـح لنا أن «ابن حـجـة» يصـرح بحكمـه ونتـيـجـة مـوازنتـه، لكن ذلك لا يطرد في موازناته، فنجده يكتفي في مواضع منها بالجانب الوصفي، فيبين المحاسن والمساويء دون أن يصرح بالافضل، نجد ذلك في «إرسال المثل، والتوشيح، والمبالغة والإغراق، ونفي الشيء بايجابه، والترتيب والفرائد، وغيرها.

يقول في الفرائد: «وبيت الشيخ صفي الدين:

ومن له حـاور الجـذع اليـبيس ومن

بكفـــه أورقت عـــجـــراء من سلم

الفريدة في بيت الحلي هي «العجراء» والعجراء هي العصا المعقدة وبيت الشيخ عز الدين:

كم حصحص الحق إذا وافت فرائده

وفي الوطيس بدا ثبـتـا بلا برم

الفـريدة في بيت الشـيخ عـز الدين هـي لفظة «الوطيس» وأما «برم» فما أبرم فيها أمراً.

وبيت بديعتي أقول فيه:

وشم ومـيض بروق من فـرائده

وانظم حنانيك عـقدا غـيـر منفـصم

الفرائد في هذا البيت ثلاثة وهي «شم وحنانيك ومنفصم..»[١٣].

ولقـد تجـافى قلم ابن حـجـة في مـوازنتـه عن الخـوض في المعـاني من حـيث الصـحـة والفسـاد، والابتداع والاتباع والوضوح والغموض إلا ما جاء نادراً في ثنايا مـقـاييـسـه السـابقـة في نوع «الاسـتـخدام، والهجو في معرض الذم، والتوشيح، والالغاز» يقول في الهجر في معرض المدح «وبيت الحلي:

من معشر يرخصُ الأعراض جوهرهم

ويحملون الأذى من كل مهتضم

فقوله ويحملون الأذى .. ينظر إلى قول الحماسي «يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة»..

وبيت عز الدين:

في معرض المدح تُهْجَى من قبيلته

أعراضهم بين معمور ومنهدم

الذي أقوله: إن الشيخ عز الدين قفل مصراعي بيته، ومنع الافهام من الدخول اليه، فإني لم أجد فيه ما يدل على مجرد المدح، ولا اقترن به ما يصرفه إلى صيغة الهجو بل أقول - وأنا أستغفر الله - إن هذا البيت أجاد ألفاظه ما دب فيها من المعاني روح وليس له بهذا النوع إلمام»[١٤].

وحقا إن البيت لا يخلو من غموض إلا أننا نرى أن ابن حجة قد بالغ في وصفه بذلك، ومعنى البيت أن العاذل الذي ذكره الناظم فيما سبق من أبيات أعراض قبيلته بين معمور ومنهدم. والشاهد في «أعراضهم»: «وأعراضهم يحتمل معنيين: أحدهما جمع عرض بفتح العين والراء وهو المال. والثاني جمع عرض بكسر العين وسكون الراء وهو محل الهجاء والمدح من الإنسان. فإذا نويت أن العرض المفتوح العين معمور وأن العرض المكسور العين منهدم كان هجاء في معرض مدح وإن عكسته كان مدحا»[١٥]. ومعنى قوله: «وإن عكسته كان مدحا..» أن القارىء إذا نوى أن العرض المفتوح العين منهدم وأن العرض المكسور العين معمور كان مدحاً في معرض الهجاء. والذي أراه أن هذا البيت لا يحتمل المدح، لأن الشاعر صرح في البيت بالهجاء في قوله: «تهجى» فكيف يكون محتملا للمدح بعد هذا التصريح؟.

وأشار ابن حجة الى روح الرفض في بديعية الحلي، وفضل بيته بهذا المعيار، وعدَّه الوحيد الذي يجب أن يستشهد به كما في نوع «جمع المؤتلف والمختلف» وبيت الحلي في هذا النوع هو قوله في وصف الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين:

هم هم في جميع الفضل ما عدموا

سوى الاخاء ونص الذكر والرحم

ومعنى هذا البيت: «أن الصحابة جميعهم مستوون في الفضل، وما عدموا في استوائهم غير الإخاء مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وغير نص الذكر أي ورود القرآن والقرابة للنبي {صلى الله عليه وسلم}. ومراد (الشاعر) بذلك أن هذه الثلاثة مختصة بالإمام علي - رضي الله عنه - وبقية الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - متساوون في الفضيلة»[١٦]. يقول ابن حجة معلقاً على هذا البيت:

«الحلي أساء الأدب في نظم هذا البيت، وكان يجب أن يؤدب على نظمه، فإنه بخس فيه حق صحابة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وكذب في الثلاثة التي استثناها وقال: إن الصحابة رضي الله عنهم عدموها، وقوله «هم هم في جميع الفضل» لا يفهم منه مدح لأنه سلبهم الفضل في الشطر الثاني من البيت ولهذا قال الشيخ عز الدين في بديعيته مشيراً إلى هذا البيت:

هم هم في جميع الفضل ما عدموا

ما قاله الرافضي النذل في الكلم

وعلى هذا الترتيب الفاسد فما اجتمع في البيت غير المختلف لأن المؤتلف عنه بمعزل»[١٧].

هذا وقد رد الشيخ الموصلي في شرح بديعيته على هذه الروح الرافضة في بيت الحلي بالأدلة الثابتة الواضحة منتصراً لمذهب أهل السنة والجماعة في هذه القضية[١٨].

تلك أبرز ملامح هذه الموازنة في خزانة الأدب، ومن خلالها تبدو طبيعتها فهي تفضيلية في اكثرها تقوم غالباً على ذوق صاحبها ومقاييس البديع وخصائصه التي تمثل الاتجاه الغالب على النقد في عصر ابن حجة. وقد وصل من تلك الموازنة إلى نتائج لم نسلم له ببعض مقدماتها، وقد أجملها في خاتمة الخزانة فقال: «إن العميان اختصروا جانباً كبيراً من البديع، وما أجادوا النظم فيما وقع اختيارهم عليه. والشيخ صفي الدين الحلي أجاد في الغالب لخلاصه من التورية في تسمية النوع، ولكنه قصر في مواضع نبهت عليها في مظانها. والشيخ عز الدين - رحمه الله - قصر في غالب بديعيته لالتزامه بتسمية النوع البديعي ومراعاة التورية»[١٩].

وواضح من هذا ومما سبق أنه يفضل بديعيته على سائر البديعيات الأخر، ويجعل بديعية العميان في الدرجة الأخيرة بين هذه القصائد.

ونحن نعتقد أن «ابن حجة» لو لم يكن طرفاً في هذه القضية، ولو تجرد عن روح الإعجاب والزهو، وتحرر قليلا من فنون البديع، ووسع دائرة مقاييسه لوفق كثيرا، ولكان لموازنته شأن في تاريخ النقد العربي.

الهوامش:

(١) انظر: أصول النقد العربي: الأستاذ احمد الشايب - الطبعة الثامنة سنة ١٩٧٣م مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ص ٢٩٠.

(٢) النقد المنهجي عند العرب: الدكتور محمد مندور - طبعة مكتبة النهضة المصرية ص ٣٥٦.

(٣) خزانة الأدب: طبعة بولاق سنة (١٢٩١هـ) ص ١٤، ١٥.

(٤) الخزانة/ ١٦.

(٥) شرح «ابن جابر» على بديعيته مخطوط ورقة٢.

(٦) الخزانة/ ٦٤.

(٧) انظر: الخزانة/ ٥١١.

(٨) الخزانة/ ٩٦.

(٩) انظر: الخزانة/ ١١، ١٦، ١١٧.

(١٠) الخزانة/ ١٥٧.

(١١) الخزانة/ ٢٨٥، ٢٨٦.

(١٢) الخزانة / ٢٠٦.

(١٣) الخزانة/ ٤٥٥.

(١٤) الخزانة/ ١٨٥.

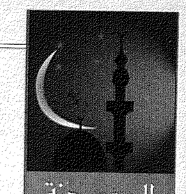
(١٥) التوصل بالبديع: ورقة/ ١١٩.

(١٦) نفحات الأزهار/ ١٥٤.

(١٧) الخزانة/ ٥١٤.

(١٨) التوصل بالبديع ورقة ١١٩.

(١٩) الخزانة/ ٥٧٠.



أتاكم رمضان شهر البركة

عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال يوما - وقد حضر رمضان - «أتاكم رمضان شهر بركة، يغشاكم الله فيه؛ فينزل الرحمة، ويحط الخطايا، ويستجيب فيه الدعاء، وينظر الله تعالى الى تنافسكم فيه، ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيرا، فإن الشقي من حُرِم فيه رحمة الله».

لا يكاد المرء يتأمل طبيعة شهر رمضان، إلا وتمتلىء نفسه بحمد الله سبحانه، واليقين برحمته وشفقته بعباده، فها هو شهر رمضان يمثل موسما من مواسم رحمة الله، يتفضل فيه الله سبحانه بالمنح والعطايا، فيملأ حياة العباد بالخير والبركة، وينزل رحمته عليهم ويغفر ذنوبهم، ويتجاوز عن خطاياهم، ويستجيب فيه دعاءهم، ويباهي بالصائمين القائمين من عباده ملائكته الأبرار. ولهذا فإن أيام رمضان ملأى بأوجه الخير في الدنيا والآخرة، فالسعداء المفلحون من جدوا في العبادة وتعرضوا لعطايا الله، والأشقياء المحرومون من فاتهم هذا الخير العميم؛ وهم المقصرون في الطاعات فيحرمون لذلك من رحمة الله.

والحديث في مجموعه كشف عن فضل رمضان، وحفز لهمم المؤمنين للاجتهاد في العبادة، وهو ما يتضح بدءا من الكلمة الأولى في الحديث «أتاكم رمضان» إذ أصبح الشهر الفضيل في صورة الزائر الكريم الذى يأتي؛ وهو ما يوضح العلاقة الحميمة النبيلة التي تربط المؤمنين بشهر رمضان، وتثير هذه الجملة تساؤلا لدى السامعين؛ وكأنهم يقولون: وماذا في رمضان؟ وهنا ترد الجملة التالية: «شهر بركة» موضحة فضل رمضان توضيحا مطلقا عاما، يستقى منه السامعون أوجه الخير كلها في الدنيا والآخرة، وسائر جمل الحديث تفصيل لأبعاد هذه البركة المرتجاة؛ إذ تتأكد فيه صلة العباد بخالقهم، وقد قربهم الصيام والقيام إليه سبحانه، فأنزل عليهم رحمته، واستجاب دعاءهم، ويعبر الحديث الشريف عن هذه الصلة تعبيرات موحية تمس القلب؛ «يغشاكم الله فيه»، «ينظر الله تعالى الى تنافسكم فيه»، «يباهي بكم ملائكته».

ويقرب البيان النبوي مظاهر فضل الله الى الأذهان من خلال التصوير؛ فرحمة الله تصبح كالغيث المنزل؛ «فينزل رحمته» وخطايا العباد تصبح كالأثقال شديدة الوطأة التى يحطها فضل الله عن العباد في رمضان «ويحط الخطايا» وتعتمد الصورتان على الفعل المضارع الدال بدوره على تجدد إنزال الرحمة، وعلى استمرار غفران الذنوب، وهو ما يدفع المؤمنين الى اليقين بفضل الله، والاجتهاد في التعرض له عبر أوقات الشهر الكريم كلها.

وينتقل الحديث بعد ذلك الى أحوال العبودية، والاجتهاد في الطاعات، وعلى رأسها «الدعاء» الذي يبلور يقين العبد بقدرة الخالق التي لا تحد، بالافتقار الى عطائه سبحانه ورحمته؛ ففي رمضان يتأكد فضل الله باستجابة الدعاء استجابة دائمة متصلة على نحو ما يفهم من مجيء «يستجيب» مضارعا.

ويعبر الحديث عن الاجتهاد في الطاعات تعبيرا دالا على ما امتلأت به نفوس المؤمنين من عزم على أداء القربات؛ حتى لتعد أوقات رمضان ميدانا يتنافس المسلمون في تمضيتها في الطاعة، وهم إن فعلوا ذلك ظفروا بسمو المنزلة عند الله؛ على نحو ما يدل قوله عليه السلام: «يباهي بكم ملائكته» وفي الفعل «يباهي» بمعناه وصيغته - ما يشير الى ارتفاع مكانة العابدين المجتهدين

بقلم: د. طارق سعد شلبي
كلية الآداب - جامعة عين شمس

في الطاعة في أوقات رمضان وهو ما أكده تقديم «بكم» المرتبطة بالمؤمنين العابدين على «ملائكته».

ويحرص الرسول [صلى الله عليه وسلم] على إيقاظ بعض القلوب من غفلتها، وأي حفز يحرك القلوب أعظم من أن يذكر المسلم أن الله مطلع عليه؟! «ينظر الله إلى تنافسكم فيه» وهو ما يوجب على المرء أن يستجيب للتوجيه النبوي الكريم: «فأروا الله من أنفسكم خيرا» ويعبر الحديث الشريف عن الغافل عن فضل رمضان، المفرط في عبادة الله، الظالم نفسه تعبيرا يكشف عن مدى الخسران المبين الذي يحيق بهذا الغافل؛ فهو «شقي»! ويهب هذا اللفظ آفاقا دلالية رحبة تجتهد الأذهان في إدراك مداها خاصة حين يقترن هذا الشقاء بالحرمان، ويكون هذا الحرمان من أمر يمثل الغاية العظمى التي تهفو اليها كل نفس؛ «فإن الشقي من حُرم فيه من رحمة الله».

ولهذه العبارة قدرة لافتة على جذب انتباه السامعين؛ فهي ترد مقابلة لما قبلها، فإذا كان السامعون قد تابعوا فيما مضى أحوال أهل الطاعة الذين يتنافسون في العبادة وتباهى بهم الملائكة، ويلتمسون سبل مرضاة الله، إذ بالسياق ينقل السامعين نقلة مغايرة الى الغافلين عن ذلك الخير كله، وانتقال السامعين بين المقابلات على هذا النحو له أثره في دفع الأذهان الى التأمل في حال كلا الفريقين، وهو ما يكشف عن توجيه نبوي خفي لطيف، قادر على مخاطبة أعماق القلوب.

وتتأكد مزية هذا التوجيه بالكشف عن المصير الوبيل الذي حاق بهذا الشقي، وهو ما أكدته «إن» التي صدرت الحديث عن حاله؛ «فإن الشقي من حُرِمَ فيه رحمة الله» ويرد لفظ «من» ليدل مع «إن» المؤكدة أن لا شقي إلا هذا المحروم من رحمة الله، ويستبقي الرسول الكريم انتباه السامعين منصبا على الشهر الكريم من خلال قوله: «فيه» فهذا الشهر فرصة عظمى لنيل رحمة الله، فمن لم يدرك الرحمة فيه فهو الشقي، ولا شقي سواه!

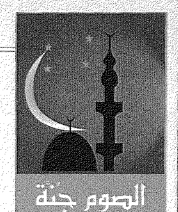
وتتأكد دلالة الحرمان والخسران من خلال بناء الفعل «حُرِمَ» للمجهول، فهو ـ بمعناه وصيغته ـ يؤكد الحرمان المطلق الذي يحيق بالمقصرين في الطاعات.

ومن يتأمل طبيعة الخطاب النبوي يجده منصبا على جماعة المخاطبين، وهو ما يجعل مثل هذا الحديث صالحا لكل زمان ولكل مكان، فما من جماعة مؤمنة تصغي الى هذا الحديث ـ وقد أقبل عليها رمضان ـ إلا وتشعر أنها مخاطبة به «أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه.. ينظر الله الى تنافسكم فيه، ويباهي بكم ملائكته؛ فأروا الله من أنفسكم خيرا» ومثل هذا الخطاب يجعل النفوس أقرب الى الاستجابة والطاعة، وهي تجد شفقة الرسول بها، وحرصه عليها؛ في توجيهها الى ما ينفعها.

ويجمع الحديث الشريف بين الخبر والإنشاء؛ إذ جاءت معظم عبارات الحديث خبرية تقريرية، وهو ما أسهم في عرض فضائل الشهر الكريم في صورة البدهات القارة التي لا شك فيها، مما يؤكد في النهاية المعنى في الأذهان، أما الإنشاء فقد ورد من أساليبه أسلوب الأمر «فأروا الله من أنفسكم خيرا»، وقد ورد هذا الأسلوب تاليا للأساليب الخبرية التي أشرنا اليها، مترتبا عليها؛ ففضائل رمضان توجب الأمر بالاجتهاد في العبادة «أتاكم رمضان شهر بركة، يغشاكم الله فيه، فينزل الرحمة، ويحط الخطايا، ويستجيب فيه الدعاء، ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه، ويباهي بكم ملائكته فأروا الله من أنفسكم خيرا»، والنظر في علاقة أسلوب الأمر هنا بما قبله يؤكد ترابط وحدات الحديث، وتسلسلها؛ إذ تؤدي كل وحدة منها الى تاليتها، فالتنافس في العبادة يصل بالعباد الى منزلة عظمى؛ تتمثل في مباهاة الله بهم ملائكته، وهي مكانة لا سبيل إلى نيلها إلا بالعمل الصالح الموصول، ويرتبط الأمر النبوي «فأروا الله من أنفسكم خيرا» بقوله عليه السلام «ينظر الله تعالى الى تنافسكم فيه». ومثل هذا الترابط المحكم يجعل النفوس أقرب الى الاقتناع بالفكرة، والاستجابة للتوجيه.

وفي هذه المواضع من الحديث عموم يلائم حفز النفوس على تحري أبواب الخير، فلم يقيد الرسول الكريم طاعة بعينها يتنافس المؤمنون في أدائها، كما بقي لفظ «خيرا» بتنكيره شاملا كل ما يمكن أن يرد في الذهن من قربي يتقرب بها العباد الى خالقهم المطلع عليهم.

وبعد فنسأل الله أن يجعلنا من عباده المقبولين في رمضان، فينزل علينا رحمته، ويحط عنا خطايانا، ويباهي بنا ملائكته، وألا يجعلنا من الأشقياء المحرومين من فضل رمضان.



الصيام وتربية النفوس

الصوم أعظم مدرسة لتربية النفوس المسلمة، إنه مدرسة تختلف كثيراً عن المدارس التربوية الأخرى التى تعتمد في التربية على الإلقاء البحت للمواعظ والحكم التى تحرك القلوب ثم ما تلبث أن يذهب ما فيها من خشوع بمرور بعض الوقت دون أن تؤثر في السلوك الشخصي للفرد بفعل أو عمل جديد يقوّم النفس ويهذبها ويصير لها عادة ملازمة في طريق الحياة.

أما في مدرسة الصوم فتتم التربية الإيمانية بممارسة عملية للصائمين أنفسهم طيلة شهر بكامله يتدربون فيها على الايمان والمثل علماً وعملا ويجدون في الصوم دروساً غالية يتعلمون منها الكثير.

وفي هذا الشهر الكريم نستعرض بعض هذه الدروس العظيمة التى نجدها في مدرسة الصوم حيث يظهر لنا روعة هذه العبادة، فسبحان العلي القدير الذي شرع لنا كل هذا الخير الذي فيه صلاح نفوسنا وحياتنا.

الإخلاص:

فالإخلاص من الدروس الغالية التي تتعلمها النفوس بالصوم فما سمعنا أنه صام مُراء أو منافق قط، ذاك أن غاية الرياء وهدفه الحقيقي هو مدح المادحين أو طلب المنزلة في أعين الخلق بما يمارسه المرائي من وجوه الطاعات والبر وهذا الأمر غير حاصل له بالصوم لأن الصوم سر بين العبد وربه جل وعلا. لذلك كان الإمام أحمد يقول (الصوم لا رياء فيه) فلا يصوم إلا المخلصون التاركون لطعامهم وشرابهم وشهوتهم من أجل طاعة ورضا الله وحده دون سواه ولما كان الصوم كله خالصاً لله لا تشبه شائبة الرياء نسبه الله تعالى الى نفسه وتكفل بالجزاء عليه. فقال تعالى في الحديث القدسي (كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزى به) رواه مسلم.

وتكفله سبحانه بالجزاء عليه يعنى أنه تعالى قد كشف مقادير ثواب غيره من الأعمال الصالحة والطاعات وأنها تضاعف من حسنة إلى عشرة إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله إلا الصيام فإنه سبحانه وتعالى يثيب عليه بغير تقدير فهو جل شأنه الذي انفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته وكل هذا من ثمرة الإخلاص في تلك العبادة الجليلة.

وحاجة النفس للإخلاص أشد من حاجة الجسد للطعام والشراب والهواء فالإخلاص من أهم أسباب تزكية النفوس وطهارتها ونجاتها يوم القيامة فكل طاعة أو عمل نرجوا جزاءه عند الله تعالى لابد له من إخلاص يبعده عن النظر للمخلوقين ويوجهه للخالق جل وعلا وبذلك يكون له عند الله القبول والمثوبة فهو

بقلم : د. خالد سعد النجار
- مصــر -

ركن من أركان العمل وشرط من شروطه قال تعالى {فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحـــــــدا} (الكهف/١١٠).

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول (قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) رواه مسلم.

فالإخلاص روح أى عباده عليه تقوم وبه تقبل عند الله وشواهد هذه القاعدة عديدة نجدها في أكثر من حديث من أحاديث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كقوله (ما قال عبد لا إله إلا الله قط مخلصاً إلا فتحت له أبواب السماء حتى تفضي الى العرش ما اجتنبت الكبائر) رواه الترمذي.

وقوله (ما منكم من أحد يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يقوم فيركع ركعتين يقبل عليهما بقلبه ووجهه وجبت له الجنه وغفر له) رواه أبو داود. وقوله (صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفىء غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر) رواه الطبراني. وقوله (من سأل القتل في سبيل الله صادقاً من قلبه أعطاه الله أجر شهيد وإن مات على فراشه) رواه الترمذي.

وثمرة الإخلاص الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة.

- فالأمة المسلمة لا تنصر إلا بإخلاص أفرادها. قال {صلى الله عليه وسلم} «إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم» رواه النسائي. وقال (بشر هذه الأمة بالسناء والدين والرفعه والتمكين في الأرض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب) رواه احمد.

- والود والحب والألفة بين المسلمين لا تكون إلا بالإخلاص قال {صلى الله عليه وسلم} (ثلاث لا يغل عليهن قلب امرىء مؤمن: إخلاص العمل لله والمناصحة لأئمة المسلمين ولزوم جماعتهم فإن دعاءهم يحيط مَنْ وراءهم) رواه البزار. فلا يجتمع غل مع إخلاص في قلب المسلم أبدا.

- والرفعة والمنزلة في الآخرة لا تكون إلا

بالإخلاص حيث يقول تعالى في شأن طائفة من المخلصين.

ـ (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيما وأسيرا إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريرا فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا) الإنسان/٨ ـ ١٢.

إن الإخلاص خلاص من كل ما يكره المرء ومن كل قيد ومن هنا تأتى فضيلة الصوم أعظم مدرب للنفوس على الإخلاص الذي هو من أشق الأمور على النفس حيث يقول أحد الحكماء (إخلاص ساعة نجاة الأبد ولكن الإخلاص عزيز).

التقوى:

قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون} (البقرة/ ١٨٣)، قال الزجاج: لتتقوا المعاصي فإن الصيام وصلة إلى التقى لأنه يكف الإنسان عن كثير مما تطلع عليه النفس من المعاصي.

ولا تتم التقوى إلا بأن يعلم العبد ما يتقى ثم يتقى. قال طلق بن حبيب (إذا وقعت الفتنة فاطفئوها بالتقوى قالوا وما التقوى؟ قال: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله).

وفي الصوم يتدرب الإنسان على تقوى الله تعالى وذلك لأن الصوم يكف جماح الشهوات التي هى أكبر دافع على تعدى حدود الله كما أن الصوم الحقيقي هو الذي يقترن بالآداب والفضائل ويجانب كل الرذائل وتلك هى حقيقة التقوى التى هى اجتناب ما يسخط الله والإقبال على ما يرضى الله من الاعتقادات والأقوال والأفعال وفي ذلك يقول رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (الصيام جُنَّه من النار فمن أصبح صائماً فلا يجهل يومئذ وإن امرؤ جهل عليه فلا يشتمه ولا يسبه وليقل إني صائم والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك) رواه النسائي.

ويقول (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجه في أن يدع طعامه وشرابه) رواه ابن ماجه، وقال جابر ـ رضى الله عنه ـ (إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ودع أذى الجار وليكن عليك وقار وسكينه يوم صومك ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء).

ـ إن تقوى الله هي المخرج الحقيقي للمجتمعات المنكوبة التى تتخبط في ظلمات النظريات تتلمس منهجاً يخرجها من الشقاء قال تعالى {ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب} (الطلاق/ ٢ ـ ٣) وقال {ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً} (الطلاق/٤) وقال {ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض} (الأعراف/٩٦).

ـ والتقوى هى الملاذ الآمن الذى يجعل الإنسان في كنف الله وماذا يفقد من وجد الله تعالى {وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط} (آل عمران/ ١٢٠) {واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين} (البقرة/ ١٩٤).

ـ والتقوى مفتاح كل خير ومفتاح قبول أى عمل. قال تعالى: {إنما يتقبل الله من المتقين} (المائدة/٢٧) إنها خير زاد يتزود به الإنسان وخير زينة يتزين بها {وتزودوا فإن خير الزاد التقوى} (البقرة/ ١٩٧)، {ولباس التقوى ذلك خير} (الأعراف/ ٢٦).

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى
تقلب عرياناً وإن كان كاسياً
وخير لباس المرء طاعة ربه
ولا خير فيمن كان لله عاصياً

الصبر:

فالله تعالى جعل الصبر جواداً لا يكبو، وصارماً لا ينبو، وجنداً غالباً لا يهزم، وحصنا حصينا لا يهدم، فهو والنصر أخوان شقيقان وهو أنصر لصاحبه من الرجال بلا عده ولا عدد ومحله من الظفر محل الرأس من الجسد.

والصوم تجتمع فيه معاني الصبر الثلاثة الصبر على ألم الجوع والعطش والصبر على المعاصي والصبر على الطاعات.

فالصوم خير مدرب للإرادة وخير معلم للصبر. والصبر مدرسة يعد فيها الرجال ويجعلهم يألفون الشدائد وتحملها في سبيل كل نجاح وفلاح وما قامت أى حضارة وما أحرز أى تقدم وازدهار إلا بالرجال الصابرين على المحن التي تعترض طريق النهضة.

فالكسل والجزع عند أول عقبه لا ينتج إلا أجساداً مترهلة خاملة خائفة لا تعرف للرفعة سبيلا ولا للرقى طريقاً وصدق الشاعر إذ يقول:

والصبر مثل اسمه مُرٌ مذاقته
لكن عواقبه أحلى من العسل

ولذلك قيل في تعريف الصبر هو تعويد النفس الهجوم على المكاره، وقال علي ـ كرم الله وجهه ـ : الصبر مطيه لا تكبو..

وقال الحجاج في أحد خطبه (اقرعوا هذه النفوس فإنها طلعة الى كل سوء فرحم الله امرءاً جعل لنفسه خطاماً وزماما فقادها بخطامها إلى طاعه الله وصرفها بزمامها عن معاصي الله فإن الصبر على محارم الله أيسر من الصبر على عذابه).

فالصبر كله خير وكله ضياء كما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «ما رزق عبد خيراً له ولا أوسع من الصبر» رواه الحاكم وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (أفضل عيش أدركناه بالصبر).

المراقبة:

فالصيام أمر موكول إلى نفس الصائم لا رقيب عليه منه إلا الله تعالى. فالصائم ترك كل شهوة في قدرته تناولها لولا اطلاع الله تعالى ومراقبته له لما صبر، فلا جرم أنه يحصل له من تكرار هذه الملاحظة المصاحبة للعمل ملكة المراقبة لله تعالى والحياء منه سبحانه أن يراه حيث نهاه ويفتقده حيث أمره.

وفي هذه المراقبة من كمال الإيمان بالله تعالى والاستغراق في تعظيمه وتقديسه أكبر مُعدّ للنفوس ومؤهل لها لضبط النفس ونزاهتها في الدنيا وسعادتها في الآخرة.

إن النفوس المتحلية بالمراقبة لا تقدم على غش ولا خديعة ولا خيانة ولا ظلم ولا استرسال مع أى معصية، وروح الصيام وسره في هذا القصد والملاحظة التي تحدث هذه المراقبة.

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل
خلوت ولكن قُلْ على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة
ولا أن ما يخفى عليه يغيب

فالله بالنسبة للصائم رقيب حى فى قلبه لا يرائيه ولا يجامله ولا يخدع من تأويل ولا يغر بفلسفة ولا تزيين ولا يستهويه ما تسول النفس ولا يزال دائماً يقول للنفس: إن الخطأ أكبر الخطأ أن تنظم الحياة من حولك وتترك الفوضى في قلبك.

إننا لا نخطىء إذا قلنا أن الصوم تربية للمسلم يخرج المسلم منه وقد صفت نفسه وزكا قلبه وتطهرت روحه وسما عقله ثم هو بعد ذلك زاد للعبد في سيره وارتحاله الى ربه.



موائد الإفطار في شهر رمضان

لشهر رمضان العديد من الفضائل التى يتميز بها على غيره من الشهور، ومن ذلك أنه شهر الكرم والجود، فالصيام يهذب النفوس ويسمو بالأرواح الى مدارج الحضور والمراقبة لله، فيتسابق الصائمون إلى فعل كل ألوان الخير، ومساعدة الضعفاء، وإطعام المساكين تقرباً وطاعة لله عز وجل.

ولعل من أبرز المظاهر الرمضانية التى نجدها في كل مكان، موائد الإفطار التي تمد هنا وهناك، ويجد فيها كل محتاج من ألوان الطعام والشراب، ما يسد جوعه ويطفىء ظمأه، ويحرص الناس على إقامتها رغبة منهم في الحصول على الثواب واستمطار رحمة الله تعالى، فلقد قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «إن الصائم تصلى عليه الملائكة إذا أكل عنده حتى يفرغوا» كما قال {صلى الله عليه وسلم} «من فطر صائما كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئا».

موائد الإفطار التي ارتبطت بشهر رمضان ظهرت منذ العصور الإسلامية الأولى وفي مختلف أرجاء العالم الاسلامى، وبلغ الحرص على إعدادها والاهتمام بها مبلغاً فائقاً، ففى العصر الطولونى في مصر (٢٥٧ ـ ٢٩٢هـ/ ٨٦٨ ـ ٩٠٥م) كان الأغنياء والقادرون يعدون موائد إفطار للصائمين ويرسلون خدمهم الى الأسواق والطرق العامة قبل أن يحين موعد الإفطار يبحثون عن الفقراء والمحتاجين ويصحبونهم الى تلك الموائد في بيوت سادتهم، وكانوا يتوسلون إلى كل صائم كي يشاركهم الطعام، ويبدو أن الطعام كان يعد بكميات كبيرة، كما كان سادتهم يكافؤونهم إذا أحضروا أكبر عدد من الناس، لذلك كانوا يجبرون الناس أحياناً على الذهاب معهم أو يحملونهم قسرا إلى بيوت سادتهم للإفطار.

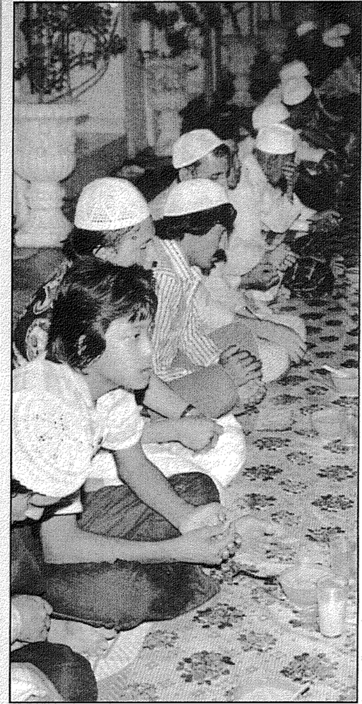
وكان العصر الفاطمى (٣٥٨ ـ ٥٦٧هـ/ ٩٦٩ ـ ١١٧١م) الذى اتسم بالبذخ والإسراف، من أكثر العصور اهتماماً بمثل هذه الموائد، ولعل في ذلك شيء من السياسة إذ حرص الخلفاء الفاطميون على إرضاء الشعب وكسب وده وميله لهم حتى يمكنهم نشر مذهبهم الدينى وهو المذهب الشيعى، وكانوا يجدون في مثل هذه المناسبات ما يمكنهم من بث بعض مبادئهم. وكان احتفال الفاطميين بشهر رمضان يبدأ من أوله ويستمر حتى آخره، فكانوا يعدون في غرة شهر رمضان سماطا كبيراً يدعون إليه الخاصة والعامة، ويستمر ذلك طوال الشهر، وكانت تلك الموائد يخصص لها مكان في قاعة الذهب في القصر الفاطمى، وهى القاعة التى أنشأها الخليفة الفاطمى العزيز بالله (٣٦٥ ـ ٣٨٦هـ/ ٩٧٥ ـ ٩٩٦) ثم جددها الخليفة الفاطمى المستنصر بالله (٤٢٧ ـ ٤٨٧هـ/ ١٠٣٦ ـ ١٠٩٤م)، وكانت تلك الموائد مثالا للإخوة والمساواه بين الناس في

بقلم : د. صلاح أحمد البهنسى
ـ مصر ـ

الإسلام، فكان يحضرها الأمراء والعلماء والفقهاء كما كان يدعى إليها المساكين والفقراء. وكان الاهتمام بإعداد هذه الموائد بالغا كما كان يهتم بإضفاء الصفة الجمالية عليها فكانت الموائد تحلى بالزهور، وتنسق أصناف الطعام والشراب تنسيقا جذاباً، فكانت تنسق على شكل قصور أو على هيئة تماثيل، وتحلى بألوان المكسرات وكأنها الدر المنثور.

ولم يقتصر الأمر على مائدة القصر بل إن الخليفة الفاطمي العزيز بالله (٣٦٥ ـ ٣٨٦هـ/ ٩٧٥ ـ ٩٩٦م) كان أول من عمل مائدة إفطار في جامع عمرو بن العاص في الفسطاط، وفي الجامع الأزهر بالقاهرة، وكانت تلك الموائد مباحة لكل من حضر للطعام دون فرق بين الناس، كما كانت تلك الموائد تبدأ منذ شهر رجب وتستمر خلال شهرى شعبان ورمضان، وقد ذكر المؤرخون أنه كان يعد بالقصر الفاطمى ألف ومائة قدْر يومياً من مختلف ألوان الطعام لهذا الغرض.

وفي العصر الأيوبي (٥٦٧ ـ ٦٤٨هـ/ ١١٧١ ـ ١٢٥٠م) حيث زادت النزعات التصوفية بعد أن تم القضاء على آثار المذهب الشيعى وتدعيم المذهب السنى، وعلى الرغم من ظروف الحروب مع الصليبيين التى لازمت الدولة الأيوبية منذ نشأتها مما جعلها أبعد ما تكون عن الترف، إلا أن ذلك لا يعنى أنهم لم يحيوا الأعياد الدينية، بل إنهم اهتموا بأحيائها مع مراعاة الإقتصاد في ذلك، ولعل من أكثر ما ورد عن مظاهر الاحتفال بشهر رمضان في ذلك العصر، ما ذكر عن القائد البحرى لؤلؤ الحاجب الذى استطاع الانتصار على الجيش الصليبى الذى هاجم ميناء عيذاب على البحر الأحمر سنة (٥٧٨هـ/ ١١٨١م)



وأحرق مراكب العدو وأسر جنودهم، وكان هؤلاء مع فرنج الشوبك يريدون نبش قبر الرسول [صلى الله عليه وسلم] ونقل جسده الشريف إلى بلادهم، فكان هذا القائد يصنع ثلاثة مراكب كبيرة طول كل منها أحد عشر ذراعاً مملوءة طعاماً ويدخل الفقراء أفواجا وهو قائم وفي يده مغرفة يوزع عليهم الطعام.

وكان العصر المملوكى (٩٤٨ ـ ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م) فترة رخاء اقتصادى وانتعاش مادي مما

جعل الترف سمة مميزة لهذا العصر، كما امتازت الحياة الاجتماعية في ذلك العصر بالمبالغة في إحياء الأعياد والمناسبات الدينية والقومية، ومن هذه المناسبات شهر رمضان الذى كان يعتبر موسماً للبر والإحسان، فما أن تثبت رؤية هلال رمضان حتى تعد أحمال من السكر والحبوب واللحم توزع على الفقراء تحت إشراف المحتسب وناظر الدولة، كما تعد موائد لإفطار الفقراء والمساكين بأعداد كبيرة، فلقد ذكر المؤرخ المقريزى وهو من المؤرخين الذين عاشوا في العصر المملوكى (توفي سنة ٨٤٥هـ) أن عدد الفقراء الذين كانوا يفطرون في مطابخ السلطان المملوكى بيبرس (٦٥٨ - ٦٧٦هـ/ ١٢٥٩ - ١٢٧٧م) خمسة آلاف فرد، كما كان السلطان المملوكى برقوق (٧٨٤ - ٨٠١هـ/ ١٣٨٢ - ١٣٩٨م) يأمر بذبح خمس وعشرين بقرة يوميا وتطهى في المطابخ السلطانية وتوزع مع الخبز وغيره من ألوان الطعام على الفقراء والعاملين في المساجد والمتصوفة والطلاب في الخوانق والأربطه والمساجين في السجون حيث كان يعطى كل فرد رطلا من اللحم وثلاثة أرغفة، كما خصص مطابخ يدعى إليها الفقراء والمحتاجون يومياً للإفطار.

وقد حذا السلطان المملوكى المؤيد شيخ (٨١٥ - ٨٢٤هـ/ ١٤١٢ - ١٤٢١م) حذو السلطان الظاهر برقوق، ففى رمضان سنة (٨١٩هـ/ ١٤١٦م) رتب عدة أبقار تذبح وتطبخ وتوزع على المنقطعين في الزوايا، وعلى الفقراء والمساكين، كما كان السلطان قايتباى (٨٧٢ - ٩٠١هـ/ ١٧٦٨ - ١٤٩٦م) يحرص على إقامة موائد الإفطار في عدة أماكن في القاهرة.

ولم يكن العصر العثمانى (٩٢٣ - ١٢٢٠هـ/ ١٥١٧ - ١٨٠٥م) يقل اهتماماً بشهر رمضان عما سبقه من العصور وكان إعداد موائد للإفطار من الأمور التى ارتبطت بشهر رمضان في ذلك العصر، وقد أفاض الرحالة في وصف مثل تلك الموائد التى نالت إعجابهم بما فيها من معان، من ذلك ما ذكره المستشرق الإنجليزى إدوارد لين فقال أن العادة جرت في شهر رمضان أن يوضع في غرفة الاستقبال في منازل الطبقتين العليا والوسطى قبل الغروب كرسى عليه صينية طعام وعليها صحاف (أطباق) عديدة تحوى أصنافاً مختلفة من الطعام، بالإضافة إلى المرطبات والمكسرات والبلح والتين، ويجلسون في انتظار الوافدين عليهم، وهى مباحة لأى شخص دونما دعوة أو تخصيص.

وكان الناس في مدن وقرى مصر يخصصون في كل حى من أحيائهم داراً واسعة تسمى «مضيفة» يجتمع فيها الناس للإفطار لا فرق بينهم.

ويبدو أن إعداد موائد الإفطار كان من الأمور الشائعة في العصر العثمانى ولأن مثل هذا التقليد الذى يعبر عن المودة والتعاطف بين الناس، يعد من أسمى المشاعر الإنسانية، فلقد نال إعجاب وتقدير غير المسلمين وحذوا حذوهم، فلقد ذكر المؤرخ الجبرتى في تاريخه عجائب الآثار في التراجم والأخبار ضمن حديثه عن أحداث سنة (١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م) أن الفرنسيين في القاهره كانوا يعدون موائد خلال شهر رمضان يدعون إليها فئات مختلفة من المصريين من الأعيان والمشايخ والتجار لتناول الإفطار والسحور، وكانوا يوكلون بإعداد الطعام وتقديمه الى طباخين وفراشين من المسلمين تطميناً لخواطر المسلمين، كما كانوا يحرصون على أن يتمتعوا بهذا المظهر الفريد ومعايشته بكل معانيه فكانوا يذهبون الى بيوت المسلمين ويحضرون عندهم هذه الموائد ويتناولون معهم الإفطار.

ولم يكن الأمر قاصراً على مصر دون غيرها من بلدان العالم الإسلامى، بل وجد هذا التقليد في مختلف البلاد وفي مختلف العصور، ولن نقف طويلا عند ذلك بل سنقتصر على بعض الأمثلة، فلقد ورد أنه كانت توجد في مدينة بغداد في العصر العباسى دور يطلق عليها دور المضيف وكانت عشرين داراً على جانبين، وكل دار منها كانت تجهز في شهر رمضان في كل ليلة بخمسمائة قدح، وألف رطل من المطبخ الخاص والخبز والحلوى وغير ذلك من ألوان الطعام ويستمر ذلك طوال شهر رمضان وكانت تفد إليها أعداد كبيرة من الناس من مختلف الطبقات، فلقد ذكر أن أحد هذه الدور وهى دار الصاحب بن عباد كانت لا تخلو في كل ليلة من ليالى شهر رمضان من ألف مفطر.

وذكر الرحاله ابن بطوطة في رحلته لدمشق أنه من فضائل أهلها أن الأمراء والقضاه والكبراء يدعون الفقراء للإفطار عندهم كل ليلة من ليالى شهر رمضان، وكانت موائد الإفطار من المظاهر الرمضانية التى شاعت في طرابلس في ليبيا، وكما تأثر الفرنسيون في مصر بهذا التقليد النبيل فلقد تأثر كذلك الأجانب في طرابلس بذلك وحرصوا على تنفيذه، فلقد ذكرت الآنسة «توللى» في كتابها عشرة أعوام في طرابلس وهى تتحدث عن أحوال هذا الشعب وعاداته في أواخر القرن ١٢هـ/ ١٨م أن قنصليات البلاد الأجنبية في طرابلس كانت تعد موائد إفطار يومياً وتفتح القنصليات لكل من أراد أن يتناول طعام الإفطار.

ومن العادات القديمة التى كانت ومازالت متبعة في جمهوريات وسط آسيا الإسلامية أن تدعو كل أسره مسلمة عشرين مسلماً أو يزيد لتناول الإفطار معها في رمضان ولو لمرة واحدة.

وفي دار الخلافة في استانبول لابد أن يكون الإفطار مختلفا، وفي حضرة السلطان العثمانى يجب أن تتجلى كل مظاهر الجود والكرم، وكان من المألوف في العصر العثمانى في استانبول إقامة موائد افطار يحضرها فئات مختلفه من الناس، يتناولون ما لذ وطاب من ألوان الطعام والحلوى والفاكهة والشراب، فإذا ما انتهى الناس من تناول طعام إفطارهم، وقد نال التعب من أسنانهم حصل كل منهم على مبلغ من المال يطلق عليه «ديش كراسى» أى أجرة تعب الأسنان، وكانت هذه المبالغ تختلف باختلاف الأشخاص فتبدأ من ربع ليره وتصل إلى ألف ليره، ويستمر الحال كذلك في كل ليله من ليالى رمضان، حتى إذا ما كانت الليله الأخيره أعدت مائدة حافلة عامرة بكل أصناف الطعام والشراب والحلوى، وبعد الإفطار يحصل كل فرد من الحاضرين من الموظفين والضباط والجنود على مبلغ يعادل راتبه الشهري.

وإن كانت هذه بعض صور الماضى بكل ما فيها من معان، فإن الحاضر لا يقل إشراقا، وما زالت موائد الإفطار تمد في كل مكان في مصر وفي غيرها من بلدان العالم الإسلامى، ولا يكاد المرء يمر في حي من أحياء القاهره أو أحد ميادينها إلا ويرى العديد من الموائد الممتدة في انتظار الصائمين، ولعل من أهم الميادين التى تنتشر بها هذه الموائد وتضم العديد من السرادقات ميدان جامع الحسين، حين يتوافد الناس إلى هناك من مختلف الطبقات للاستمتاع بهذا المظهر الرمضانى الجميل، فتراهم جنبا الى جنب لا فرق بينهم، وقد أدوا فرض ربهم، وتقربوا إليه بصومهم، وأفطروا على ما رزقهم، فذهب ظمأهم، وابتلت عروقهم، ودعوا الله أن يثبت أجرهم.



الصوم جنّة

مواسم الخير

يا موسم الخير جادت منك أنسامُ
هديّة الله للغافين إنعامُ

في موكب الحق سار الركبُ مُنتشياً
من حاد عنه فللساهين إعلام

شهرٌ به تزخرُ النُعماء وارفة
والخيرُ جمٌّ فلا تحصيه أقلام

هل يدرك الناسُ مافي الصوم من أدب
أم أنه الجوع للأجساد إيلام

صومُ الجوارح قبل الصوم ننشده
من قال زوراً فلا جاءوا ولا صاموا

ما بالُ وسوسة الشيطان قد خفتتْ
في هيكل الصوم .. لا شرك وأصنام

وكلُّ خلق كريم في النفوس سما
هذي شمائله: عفوٌ وإكرام

يا موسم الخير أحيتني بشائره
وجدّد العزم نفحاتٌ وأنسام

هنا تبتُّل فكر وانحسارُ هوى
للمُغريات.. وقومٌ بالعلا هاموا

هنا النفوسُ أفاقت فالزمانُ ضحى
قد أشرقت بضياء الله أقوام

قُل للّذين تولّوْا وابتغوا عوجاً
في طاعة الله روّادُ السنا داموا

ويغفر الله للعاصين ما اقترفوا
من الذنوب، بما صلّوا وما صاموا

يارب حقق لنا بالصوم منزلة
كيلا تزل بيوم العرض أقدام

إني لأطمعُ بـ (الريّان) أسلُكُه
باباً إلى الخلد يسعى فيه صُوّام

ويفرح العبدُ في عفو ومغفرة
والعتقُ عيدٌ لمن صاموا ومن قاموا

دينٌ به تبلغ الأمجادُ غايتها
ودونهُ هُزمَتْ نُصُبٌ وأعلام

شعر : م . أحمد صدوق صافى
ـ الكويت ـ

شعبان/رمضان ١٤٢٠هـ ـ نوفمبر/ديسمبر ١٩٩٩م

بمناسبة حلول هذا الشهر المبارك

« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن »

فإنَّ مجلة المنهل تسوق التهنئة موصولة الى مقام

خادم الحرمين الشريفين

الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود

وصاحب السمو الملكي

الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود

ولي العهد

ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني

وصاحب السمو الملكي

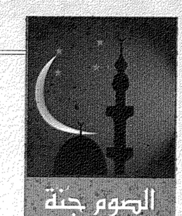
الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود

النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء

ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام

والى الشعب السعودى الكريم

وإلى المسلمين كافة فى انحاء المعمورة



صوموا تصحوا

لقد شرع المولى تبارك وتعالى لعباده أنواعاً من العبادات، ليبلو بها مقدار استجابتهم لدعوته، وجعل في ممارستها منافع دنيوية، وفوزاً وفلاحاً في الدار الآخرة، وفي مقدمة ما شرعه المولى سبحانه: فريضة «الصوم»، كركن بارز وقاعدة أساسية من قواعد الإسلام الخمس التي بُني عليها صرحه العظيم.

ففي السنة الثانية من هجرة خاتم المرسلين {صلى الله عليه وسلم} وفي «المدينة المنورة» ولليلتين خلتا من شهر شعبان فرض صوم شهر رمضان المبارك، ذلك الشهر الذي اختصه الله عزَّ وجل بنزول القرآن الكريم، وليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، وما كان فيه من انتصارات باهرة، ارتفع بها شأن الإسلام، وقوي جانبه.

ولقد جاءت فرضية الصوم متأخرة عن فرضية الصلاة والزكاة، وهذا من التدرج في تشريع العبادات، فقد بدأ الحق جل شأنه بفرض الصلاة، وهي في ظاهرها أعمال بدنية يسهل أداؤها جسديا، ثم ثنى بالزكاة، وهي توجب تنازل الغني عن جزء يسير من ماله لأخيه الفقير، وأخَّر الصوم، لأنه حرمان للنفس من أخص رغباتها، وحرمان للجسم من أهم ضروراته، وذلك يحتاج الى عزم وارادة، ويقين، وصبر وتسليم.

والتدرج في التشريع فيه رفق بالناس ورحمة بهم لأن صوم ثلاثين يوماً متتابعة فيه تكليف شاق، قد لا تقبله النفس التى لا تقبل القيود بسهولة، فكان لابد من تمهيد وتأديب ومران وتهذيب، وهذا لم يغب عن الشارع الحكيم، فبدأ بتوجيهات وعبادات أعقبها صيام يوم واحد، هو يوم «عاشوراء» ليكون مراناً وتدريباً، حتى إذا فُرض شهر الصيام بتمامه لم يكن ذلك مفاجأة أو أمراً لم يسبق له نظير. والصوم بين العبادات ذو طابع منفرد ومزايا خاصة خليقة بأن تجعله وقاية لصاحبه يحفظه من غوائل الانفعالات، والتسرع في الزلل ويصل به الى مراتب الرضوان ويكون بمأمن من عذاب الله عز وجل يوم القيامة.

{وأن تصوموا خيرٌ لكم}:

يقول المولى تبارك وتعالى: {وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون} (البقرة/١٨٤)، فالصيام عبادة وثيقة الصلة بما يرمي إليه الإسلام من النواحي الاجتماعية البعيدة المدى، وعظم تدبيره للحياة، وإن وجدنا صلة الصيام بتلك الأهداف تأتي من ناحية لم يألفها الناس، فلا غرابة في هذا ما دمنا لا نهدف إلا إلى تعاليم القرآن الكريم، نقتدي بهديها، ونتخذها رائداً لنا في هذا الصدد.

فمن حكمة الصيام: قمع النفس وتهذيبها بالجوع والظمأ كي تكون أبعد عن الخضوع لهواها، والانقياد لشهواتها، وفي ذلك يقول المصطفى {صلى الله عليه وسلم} «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم من العروق، فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش».

وفي الصيام ترفع وتسام عن مشتيهات النفس، وتنزه عن الأهواء والغرائز والنزوات. وهذا من شأن الملائكة المقربين الذين لا شهوة عندهم ولا غريزة، فالصائم حينئذ شبيه بالملائكة.

والصيام خير معين للإنسان على تقوى المولى تبارك وتعالى والخشية منه، لأن النفس البشرية حين

بقلم: د. ناول عبد الهادي
- المغرب -

تكف عن الأشياء المباحة خوفاً من الله عزَّ وجل، ورجاء رحمته، وطمعاً في ثوابه، فإن ذلك سيقودها حتماً إلى تجنب الحرام.

والصيام يحثنا على شكر نعم الله عزَّ وجل علينا، لأنه امتناع عن أشياء تعتبر من أكبر النعم وأعظمها، فحين نكُف عنها بعضاً من الوقت ندرك حقيقة قيمتها وعظم شأنها، وهذا هو شأن الإنسان حين يفقد إحدى هذه النعم، فمتى عرف قدرها أدى حق شكرها لمن أسداها إليه وتكرَّم بها عليه.

في الصوم رأفة ورحمة:

ومن مزايا الصيام أنه يغرس في قلوبنا الرأفة بالفقراء، والرحمة بالمحتاجين، فمن تقرب إلى الله عزَّ وجل ساعات معدودة رق قلبه للذين قُدر عليهم أن يجوعوا معظم ساعاتهم وأيامهم فتعود به ذاكرته إلى قول المولى تبارك وتعالى: {والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم} (المعارج/ ٢٤ - ٢٥)، والى حديث المصطفى {صلى الله عليه وسلم} الذي رواه عنه الصحابي الجليل سلمان الفارسي - رضي الله عنه -.

خطبنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في آخر يوم من شعبان، قال: «يا أيها الناس: قد أظلكم شهر عظيم مبارك، فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيام نهاره فريضة وقيام ليله تطوعاً، من تقرَّب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدَّى سبعين فريضة، فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزاد فيه رزق المؤمن، من فطر فيه صائما كان مغفرة له من ذنوبه، وعتقاً لرقبته من النار، وكان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء» (الترمذي وقال: حسن صحيح).

قالوا: يارسول الله، ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم عليه.. فقال {صلى الله عليه وسلم}: «يعطي الله هذا الثواب من فطَّر صائماً على تمرة، أو على شربة ماء، أو مذقة لبن.. وهو شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، من خفف عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار، واستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غناء بكم عنهما.

فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم: فشهادة أن لا إله إلا الله، وتستغفرونه.. وأما الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما: فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار.

ومن سقى صائماً سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة».

الصيام تدريب على مراقبة الله عزَّ وجل:

إن في الصيام تدريباً على مراقبة المولى تبارك وتعالى في السر والعلانية، وهذا التدريب يكون أكثر وضوحاً في الصيام أكثر من أي عبادة من العبادات، فهو يغرس في نفس الصائم الصبر على طاعة الله عز وجل، فيصبر على أداء هذه العبادة السرية، التي جعلها الله جل شأنه أمانة في عنقه، ويتعلم قوة الإرادة، وضبط النفس التي تسرف طوال العام في مشتهياتها، ففي كثير من الأحيان يكون الطعام والشراب في متناول يد الصائم وهو بعيد عن أنظار الناس، ومع ذلك يكف عن تناولهما، وما ذلك إلا خشية من الله عز وجل وعلمه بأنه يراه ويسمعه، ومطلع على أفعاله، وعلى سره وجهره، فيزداد إيمانه وخوفه، فلا يخاف غير الله عز وجل، فينال رحمته ورضاه بفضل تأثير هذه العبادة في نفسه، وهذا يفسر قول المولى تبارك وتعالى في الحديث القدسي: [كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي، وأنا أجزي به، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي]، (متفق عليه).

وقد ذكر الإمام الغزالي في حكمة الصوم ونسبته إلى الله عز وجل معنيين:

أحدهما: أن الصوم كفٌّ وترْك، وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد وجميع أفعال الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى من أعينهم والصوم لا يراه إلا الله عز وجل، فإنه في الباطن بالصبر المجرد.

والآخر: أنه قهر لعدو الله عز وجل، فإن وسيلة الشيطان - لعنه الله - الشهوات، وإنما تقوى الشهوات

بالأكل والشرب، ولذلك قال [صلى الله عليه وسلم] «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فضيقوا مجاريه بالجوع»، وقال [صلى الله عليه وسلم] للسيدة عائشة رضي الله تعالى عنها: «داومي على قرع باب الجنة»، قالت: بماذا؟ قال: «بالجوع»، فإذا كان الصوم على الخصوص قمعاً للشيطان، وسداً لمسالكه، وتضييقاً لمجاريه، استحق التخصيص بالنسبة إلى الله عز وجل.

فمن هذه الجوانب وغيرها من مزايا الصيام كانت صلته بأهداف الإسلام العليا في تدبير الحياة، وإن المتأمل في هذه المزايا يلمح ناحيتين متضادتين:

* **الأولى**: تتخذ طابعاً مادياً، فمشتهيات النفس التي يمتنع الصائم عنها هي من أهم ما تفضل به الله عز وجل علينا من الآلاء والنعم، وما أجدر الإنسان أن يدرك قيمتها، ويقوم بحق شكرها للمنعم عز وجل، لأن النعم لا تدرك قيمتها إلا بفقدها فالمريض هو الذي يدرك عظمة الصحة، والأعمى هو الذي يحس بجلال نعمة البصر، والإنسان لا يشعر بلذة الرخاء والرفاهية إلا إذا ذاق مرارة الحرمان والشدة، ولا يتذوق حلاوة النصر إلا من صدم بقسوة الهزيمة.

وهذه هي طبيعة الأشياء وسنتها، فالأشياء لا تتميز إلا بأضدادها والصائم لا يعرف قيمة الطعام والشراب إلا عندما يذوق مرارة الجوع، وحرارة العطش فيدرك نعم الله عز وجل عليه، فيجيء شكره على هذه النعم صادقاً خالصاً من القلب، ولعل ذلك هو الذي جعل المصطفى [صلى الله عليه وسلم] يرفض أن تصير بطحاء «مكة» له ذهباً ويقول: «لا يارب، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت شكرتك وحمدتك»».

* **الثانية**: تتخذ طابعاً روحياً معنوياً ويتجلى ذلك في تشبيه الصائم بملائكة الرحمن المقربين، لأن الإنسان مكون من روح وجسد، فإذا استجاب الإنسان لغرائزه وانغمس في شهواته مهملا الجانب الروحي، كان إلى الحيوان الأعجم أقرب، أما إذا ارتقت نفسه وعلت روحه، وسما بتصرفاته إلى كل ما يحقق غذاء روحه، بتحكمه في عواطفه، وقهر غرائزه أمام سلطان عقله وروحه، كان إلى الملائكة أقرب.

الصوم يربي العقول والأرواح:

إن الصيام عبادة تلتقي في هدفها مع أهداف القرآن الكريم، في تربية العقول والأرواح وتنظيم الحياة، ويوحد بين المسلمين في أوقات الفراغ والعمل وأوقات الطعام والشراب، ويصبغهم جميعاً بصبغة الإنابة والرجوع الى الله عز وجل، ويرطب ألسنتهم بالتسبيح والتقديس، ويعفها عن الإيذاء وعن التجريح ويسد على الناس باب التفكير فيه، ويملأ قلوبهم بمحبة الله عز وجل، ومحبة الخير والبر، ويُنشيء قلوبهم على خلق الصبر الذي هو عدّة الحياة وهكذا يريد الله عز وجل للإنسان أن يكون.

إننا في أمس الحاجة الى أن نستمد من هذا الضوء الذي نسير على هديه ونسبح في اجواء النور الإلهي، ونتصفح كتاب الله عز وجل لنرى حكمته في فريضة الصيام، وهذا الضوء الذي نسير على هديه في فهم حكمة الصوم هو: نظرة القرآن الكريم للإنسان على أنه بشر يعيش على ظهر هذه الأرض.

إن هذا النور المضيء من هدْي القرآن الكريم في بشرية الإنسان، وتعريفه بقدره حتى لا يتعداه إلا بالعمل والجد، هذا النور يزخر بالمعاني أمام الناس ليتدبروا القرآن الكريم، ويدركوا تدبيره لشؤون الدنيا، وتهذيبه للنفس البشرية، يقول الله تبارك وتعالى: [أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها] (محمد/٢٤).

على ضوء هذا الهدي يجب علينا فهم القرآن الكريم وإدراك ما فيه، وأن ما عرف من سنن الحياة النفسية وقوانينها هو من توجيه القرآن الكريم، لأنه الأداة التي لا يمكن أن نصل بغيرها الى حقائق مطمئنة عن معاني الحياة التي نعيشها، فهو الهادي الى سواء السبيل والى الصراط المستقيم.

الصوم مدرسة اخلاقية:

لقد جعل المولى تبارك وتعالى من الصوم مدرسة أخلاقية، يتلقّى فيها المسلمون المبادىء الهادية

ويتعلمون الدروس النافعة.

وقد نجحت هذه المدرسة النجاح كله، وآتت ثمارها، وذلك عندما طبّق المتعلمون ما تعلموه كله، وتعاونوا على البر والتقوى، ولم يتعاونوا على الإثم والعدوان، فكانوا في الأمة الإسلامية هداة مرشدين، يعلمون الناس مبادىء الإسلام نظرياً وعملياً، فيشع الإيمان من قلوبهم، وتنطق به حواسهم ومشاعرهم، إخلاصا نادراً، وخلقا نقيا، واستقامة فائقة المثال، والحياة عندهم ليست غاية حتى تنفق في المتاع القليل الفاني، والعرض الهزيل الضئيل، فهم يزهدون في الدنيا ويحتقرون لذّاتها، ولا يجرون وراء شهواتها، وغالباً ما كان بعضهم يفطر الأيام المتتابعة على التمر والماء فإن ظفر في يوم من الأيام باللبن الى جانب التمر اعتبر ذلك فضلا عظيما، وأشفق على نفسه أن يسأله المولى تبارك وتعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم عن هذا البر وهذا النعيم.

أثر الصوم في المجتمع:

للصوم أثر جليل وعظيم في المجتمع، بيد أن هذا الأثر لا يتم ولا يكتمل إلا إذا فهم المسلمون حقيقة الصوم وأدركوها كما فعل أسلافهم، فإذا فعلوا ذلك صار للصوم أثره الفعال في إصلاح المجتمع الإسلامي، وضمان نجاح تقدمه نحو الازدهار.

إننا لمحتاجون أشد الاحتياج إلى فهم واع لحكمة الصيام، بل وللعبادات كلها، وفي أشد الاحتياج - أيضا - إلى تربية نفسية لتطبيق تشريعات الإسلام، حتى تؤتي ثمرتها المرجوة في تهذيب النفس وسمو السلوك الإنساني ورقي المجتمع الإسلامي، ولمَّا كانت النفس البشرية تواقة الى معرفة ثمرة عملها، متلهفة الى إدراك جزاء كفاحها وجهدها فقد أوضح المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ما أعد الله عز وجل للصائمين الذين جاهدوا أنفسهم وحاربوا نزواتهم فألجموا أطماعهم، وخاضوا أشرس معركة أمام أهوائهم ونزعاتهم، فقال [صلى الله عليه وسلم] إن في الجنة باباً يقال له: الريان.. يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال أين الصائمون؟.. فيقومون، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق، فلم يدخل منه أحد» (متفق عليه).

ويبين لنا المصطفى [صلى الله عليه وسلم] في حديث آخر ما اختص به المولى تبارك وتعالى أمة الإسلام في شهر رمضان دون غيرها من الأمم، فيقول [صلى الله عليه وسلم] «أعطيت أمتي في شهر رمضان خمساً لم يعطهن نبي قبلي:

أما الأولى: فإنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان ينظر الله إليهم، ومن ينظر الله إليه لا يعذبه أبداً.

وأما الثانية: فإن الملائكة تستغفر لهم كل يوم وليلة.

وأما الثالثة: فإن الله يأمر جنته، يقول لها: «تزيني لعبادي الصائمين، يوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا الى داري وكرامتي».

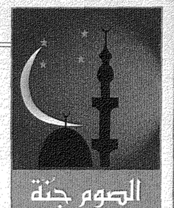
وأما الرابعة: فإن رائحة أفواههم حين يمسون تكون أطيب من ريح المسك.

وأما الخامسة: فإنه إذا كان آخر ليلة منه غفر الله لهم جميعاً، فإن العمَّال يعملون، فإذا فرغوا من أعمالهم وفّوا أجورهم».

ولقد كان المصطفي [صلى الله عليه وسلم] يستقبل هذا الشهر الكريم بالفرح والسرور، ويهنىء أصحابه - رضوان الله تعالى عنهم أجمعين - بمقدمه، ويحثهم على الطاعة والإنابة، وكان [صلى الله عليه وسلم] يقول: «لو يعلم العباد ما في رمضان لتمنت أمتي أن تكون السنة كلها رمضان».

فلنكن كرماء أخياراً حتى يكرمنا الله عز وجل، ويضاعف لنا في الأجر والمثوبة، ولنتذكر على الدوام قول المصطفى [صلى الله عليه وسلم] أيما مؤمن أطعم مؤمناً على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، وأيما مؤمن سقى مؤمناً على عطش سقاه الله من الرحيق المختوم، وأيما مؤمن كسا مؤمناً على عري كساه الله من حلل الجنة».

اللهم وفقنا الى ما تحبه وترضاه وطهر قلوبنا، وأرشدنا الى طريق الخير، واهدنا سواء السبيل، وحقق لنا كل ما نصبوا إليه ونرجوه، وانصرنا فأنت خير الناصرين، وأنت نعم المولى ونعم النصير.



المريض في رمضان هل يمكنه الصيام ؟

مع إطلالة كل رمضان تتكاثر الأسئلة من المرضى، أو من ذويهم، فيما إذا كان المريض يستطيع الصوم أم لا، والبعض يقع فريسة أوهام ينسجها لهم أناس لا دراية لهم بالطب ولا خبرة، بل لعل البعض يسمع قولا من جاهل، فيصوم أو يفطر دون الرجوع الى طبيب، ولا شك أن مثل تلك القضايا تحتاج الى خبرة طبيب مسلم ثقة، يقدر شدة المرض الذي يعيق المسلم عن أداء عبادته.

ولابد من الاسترشاد برأي طبيب مسلم مختص يعطي مريضه النصيحة المثلى والرأي الرشيد.

وهناك من الأمراض ما تتحسن في شهر الصيام، ومنها ما يصوم بها المريض دون أدنى تأثير. ولكن هناك أمراضاً تزداد سوءا بالصيام. وقد رخص الله تعالى الفطر للمريض مرضاً شديداً، يزيده الصوم سوءاً أو يخشى تأخر شفائه. فإذا أخبر الطبيب المسلم المختص مريضه بأن مرضه يسوء إن هو صام وجب على المريض أن يفطر.

ولابد للطبيب من أن يسترشد بأحدث الدراسات العلمية التي أجريت على الصائمين في شهر رمضان. فقد عقد قبل سنوات في الرياض مؤتمر خصص لدراسة تأثير الصيام على عدد من الأمراض، كما أن مؤتمراً آخر عقد عام ١٩٩٤ في الرباط لهذا الغرض، وسنستعرض بعضاً من حديث الآراء بشأن الصيام.

الأمراض الهضمية في رمضان:

يعتبر شهر رمضان بحق شهر إجازة للجهاز الهضمي، ولكن المؤسف حقا أن يتخم الكثير منا نفسه عند الإفطار بشتى فنون الطعام والشراب، فيحول سعادة المعدة والأمعاء إلى مشقة وعناء.

وقد يستطيع المصاب بالقرحة المعدية الصيام إذا كان يتناول أدويته بانتظام ولا يشكو من أية أعراض ولكن على مريض القرحة الإفطار إن كان أصيب بقرحة حادة، وهو حينئذ يشكو من الألم عند الجوع، أو ألم يوقظه من النوم، أو في حال حدوث انتكاسة حادة في القرحة المزمنة، وكذلك الأمر عند الذين تستمر أعراض القرحة عندهم رغم تناول العلاج بانتظام.

كما يوصى بالإفطار عند حدوث مضاعفات

بقلم : د. حسان شمسي باشا
- جدة -

القرحة كالنزيف الهضمي وغيره. وكثير من الناس من يشكو «عسر الهضم» وهي كلمة شائعة تشمل عددا من الأعراض التي تعقب تناول الطعام، وتشمل الألم البطني وغازات البطن، والتجشؤ والغثيان، وحس عدم ارتياح في أعلى البطن، وخاصة عقب تناول وجبة كبيرة، أو بعد تناولها بسرعة، أو عقب تناول طعام غني بالدسم أو البهارات.

وعادة ما تتحسن أعراض هؤلاء بصيام رمضان شريطة ألا تكون لديهم قرحة حادة في المعدة، أو التهاب في المريء، وشريطة تجنب الإفراط في تناول الطعام عند الإفطار.

وأما من أصيب بالإسهال وهو صائم، فينصح عادة بالإفطار خصوصاً إذا كان الإسهال شديداً، لأن الصائم لا يستطيع تعويض ما ضيعه الجسم من سوائل وأملاح بسبب الإسهال.

أمراض القلب في شهر الصيام:

كثير من مرضى القلب من يصوم في رمضان دون مشاكل تذكر. ولكن ينبغي دوماً استشارة الطبيب - كما في كل الأمراض الأخرى - لتقرير من يصوم ومن لا يصوم. وارتفاع ضغط الدم من أكثر أمراض القلب انتشارا، ويستطيع عادة مريض ارتفاع ضغط الدم الصيام، شريطة أن يتناول دواءه بانتظام، ولحسن الحظ، فإن معظم أدوية الضغط تعطى مرة أو مرتين في اليوم، فيتناولها المريض وقت السحور وعند الإفطار.

وأما المصاب بفشل (هبوط) القلب الحاد فينصح بعدم الصيام لأنه بحاجة إلى تناول مدرات بولية وأدوية أخرى مقوية لعضلة القلب، وكثيرا ما يحتاج المريض في مثل تلك الأحوال إلى دخول المستشفى للعلاج.

أما إذا تحسنت حالته، واستقر وضعه وكان لا يتناول سوى جرعات صغيرة من المدرات البولية فقد يمكنه الصيام، والمصابون بالذبحة الصدرية المستقرة يمكنهم الصيام عادة شريطة تناول الدواء بانتظام، ومعظم أدوية الذبحة الصدرية تعطى مرة أو مرتين في اليوم.



أما الذين

يحتاجون إلى تناول حبوب الذبحة تحت اللسان أثناء النهار فلا ينصحون بالصيام، كما لا ينصح مرضى جلطة القلب في الأسابيع الستة الأولى بالصيام عادة، وهناك مرضى مصابون بأمراض صمامات القلب، فإذا كانت حالة المريض مستقرة، ولا يشكو من أية أعراض أمكنه الصوم.

الأمراض الصدرية في رمضان:

كثيرا ما تأتي أمراض الصدر فجأة على شكل التهاب في القصبات أو التهاب في الرئة، فإذا كانت حالة التهاب القصبات بسيطة، فإن المريض يمكنه تناول علاجه ما بين الإفطار والسحور، إلا إذا احتاج لمضاد حيوى يعطى كل ٦ ـ ٨ ساعات، أو كانت الحالة شديدة فينصح بالإفطار حتى يشفى من الالتهاب.

أما مرضى الربو القصبي فقد لا يحتاجون إلى تناول أدوية عن طريق الفم أثناء النهار إن كانت حالتهم مستقرة. ولكن قد يحتاج مريض الربو إلى تناول بختين أو أكثر من بخاخ الربو المعروف عند الإحساس بضيق في الصدر. ويعود بعدها المريض إلى ممارسة حياته اليومية بشكل طبيعي. ولا ينبقي للمريض عند حدوث الأزمة من متابعة الصيام بل عليه تناول البخاخ فوراً. ومن العلماء الأفاضل من أفتى بأن هذه البخاخات لا تفطر.

ولكن ينبغي الإفطار قطعاً عند حدوث نوبة ربو شديدة، حيث كثيراً ما يحتاج المريض إلى دخول المستشفى لتلقي العلاج المكثف لها.

الأمراض الكلوية .. والصيام:

لابد لمريض الكلى من استشارة طبية قبل دخول رمضان للتحقق من إمكانية صومه أم لا. فالصيام قد يكون عبئاً على المريض المصاب بالفشل الكلوي، وخصوصا في المناطق الحارة، مما قد يؤدي الى ارتفاع نسبة البولة الدموية والكرياتينين في الدم. ولهذا ينصح مرضى الفشل الكلوي المزمن بعدم الصوم.

ويستحسن في مرضى الحصيات الكلوية بالذات الامتناع عن الصيام في الأيام شديدة الحرارة، حيث تقل كمية البول بدرجة ملحوظة، وعموماً ينصح مرضى الحصيات بوجوب تناول كمية وافرة من السوائل ما بين الإفطار والسحور، وتجنب تعرضهم للمجهود المضني أثناء النهار أو للحر الشديد.

مرض السكر.. ورمضان:

يقسم مرضى السكر الى فئتين: فئة تستطيع الصوم، وأخرى تمنع من الصوم.

أ ـ مريض السكر الذي يستطيع الصوم: ويشمل ذلك المصابين بمرض السكر الكهلي الذي يعالج بالحمية الغذائية والأقراص الخافضة لسكر الدم.

ويتناول المريض القرص الخافض لسكر الدم بعد الإفطار. وأما إن كان يتناول حبتين يومياً مثلا، فيعطى حبة بعد الإفطار، ونصف حبة قبل السحور.

ب - مريض السكر الذي لا يستطيع الصوم: وتشمل هذه الفئة مريض السكر الشبابي، والمصاب بمرض السكر غير المستقر والحامل المصابة بالسكري، ومريض السكر الذي يحقن بكمية كبيرة من الأنسولين، أو الذين يتعاطون الأنسولين مرتين يوميا.

وينبغي التنبيه على وجوب قطع الصيام فوراً عند حدوث أعراض نقص السكر مهما كان قرب موعد المغرب. كما ينصح هؤلاء المرضى بتقسيم وجباتهم إلى ثلاثة أجزاء متساوية: الأول عند الإفطار، والثاني بعد صلاة التراويح، والثالث عند السحور. ويوصى بتأخير السحور إن أمكن. كما ينبغي التحذير من الإفراط في الطعام، وخاصة الحلويات أو السوائل المحلاة وما شابه.

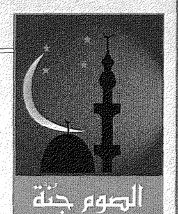
الحامل والمرضع في شهر الصيام:

أوضحت الدراسات العلمية الحديثة أن صيام رمضان يؤدي الى تغيرات فسيولوجية وكيميائية عند الحامل، ولكنها لا تؤثر على الحامل السليمة البدن، والتي لا تشكو من أية أعراض عضوية.

ومع ذلك لا يمكن إطلاق قول حاسم على كل الحوامل والمرضعات بحيث نقول إن هناك حاملا أو مرضعاً تستطيع الصيام، وأخرى لا تقدر عليه. وإذا ما شعرت الحامل أو المرضع بصداع شديد أو إجهاد عام، أو عدم القدرة على القيام بأي نشاط فعليها استشارة الطبيب فقد يكون هناك أمر غير طبيعي. وتنصح الحامل بالإفطار إن أصيبت بالقيء المصاحب للحمل وخاصة خلال الأشهر الثلاثة الأولى، أو بالتسمم الحملي، أو في حالات هبوط ضغط الدم أو سكر الدم.

والخلاصة فإن موضوع صيام الحامل في شهر رمضان يعتمد على حالة الحامل والجنين قبل دخول شهر رمضان، فإن كانت كافة المؤشرات والفحص السريري تشير إلى تمام صحة الحامل والجنين فإن الطبيب على الأغلب سيشير بالاستمرار في الصيام. ويعود تقرير ذلك الى الطبيبة أو الطبيب الأخصائي المسلم.

وخلاصة القول في موضوع الصيام أن تقرير إمكانية الصيام أو عدمه ليس بالأمر السهل، ولا يمكن تقرير قواعد عامة لجميع المرضى، بل ينبغي بحث كل مريض على حدة، ولا يتيسر ذلك إلا للطبيب المسلم المختص، فهو يملك ما يكفيه من المعطيات التي تمكنه من نصح مريضه بإمكانية الصوم أو عدمه. والله الهادي الى سواء السبيل.



النزعة الرمضانية في الشعر السعودي الحديث

من حق معشر الشعر في المملكة العربية السعودية أن تتوهج عواطفهم وتجود قريحتهم بأعذب أساليب الشعر نظراً لما يعيشونه من روحانيات لها طابعها الخاص في هذا الشهر الكريم، خاصة وأن الله عز وجل أكرم هذه البلاد بأطهر الأماكن على وجه البسيطة: المسجد الحرام بمكة المكرمة والحرم النبوي بالمدينة المنورة.

ففي هذه الأماكن يفوح عبق التاريخ الإسلامى ويطلُّ علينا بوقائعه المختلفة وسيرته العطرة، فلا نرى شيئاً أمامنا سوى تخيُّل رحلة الرسول {صلى الله عليه وسلم} وصحابته واتباعه في نشر الدين الإسلامى الحنيف، هذه الرحلة التى مداها الزمنى تعدى الألف وأربعمائة عام نراها في غمضة طرف على أرض هذا البلد الآمن مكة المكرمة.

ومن هنا نقرأ أبدع الشعر وأروع الأساليب في نفحات هذا الشهر الكريم حيث تعوَّد الشعراء على هذه النزعة اللاشعورية التى تتوقد من خلالها العواطف وتنطلق الأساليب مؤثرة جياشة في نفس القارىء المتذوق الواعي، والنزعة الرمضانية في شعر أهل الجزيرة لها مضمونها الموضوعى ودلالاتها الأسلوبية ومصادرها الشعورية التى تتفق وقيمة هذه الأيام الطاهرة، هذه الأيام التى أولها رحمة وأوسطها مغفرة وآخرها عتق من النار.

ومن الملاحظ أن الشعر الرمضاني توحدت فيه النظرة الموضوعية وجوهر المضمون وإن اختلفت أساليب التعبير حسب ما يتمتع به الشعراء من توهج لغوى تجاه الرؤية الخاصة لكل منهم، ومن هنا لا يختلف الشعراء في نظرتهم الى الخير الرمضانى وكأن الكون كله يتزين ويتحلى بأثمن أنواع الزينة بيد العباد من تآلف ومحبة وبركة ورزق ووجوه تعلوها البسمة الصادقة.

وها هو شاعرنا أحمد سالم باعطب يهلل شعراً ويطربنا قصيداً لمقدم أعظم الشهور وسيدها:

رمضان بالحسنات كفك تزخر
والكون في لألاء حسنك مبحر
يا موكباً أعلامه .. قدسيَّة
تتزين الدنيا له .. تتعطر
أقبلت رحمى فالسماء مشاعل
والأرض فجر من جبينك مسفرُ
هتفت لمقدمك النفوس وأسرعت
من حوبها بدموعها .. تستغفرُ
رمضان بالقرآن ليلك عاطرُ
ويطيب يومك بالدعاء ويزهرُ

بقلم : عثمان اسماعيل محمد
- مصر -



إنه عطاء رباني يفوح بين أفراده عبق الإيمان وتحيط به الملائكة مهللين ومكبرين لهذه الأكف الخاشعة الذليلة التي ترتفع إلى السماء ملبية تارة وتطلب الغفران تارة أخرى، فالفخر كل الفخر للمسلم أن تسيل دموعه وهو يطلب أن يغتسل من ذنوبه، إنه ليالي القرآن والدعاء التي لا يملُّ منها القلب ولا تشبع منها النفس.

هذه الصورة الحية الواقعية التي يبهجنا بها الشاعر والتي تجعلنا نشاركه فرحة قدوم شهر الخير هي نفس الصورة التي يرسمها لنا أيضا شاعرنا حسين عرب:

بشرى العوالم أنت يا رمضان
هتفت بك الأرجاء والأكوان
والشعر والأفكار وهي عتية
ينتابها لجلالك الإذعان
لك في السماء كواكب وضاءة
ولك في النفوس المؤمنات مكان

فأسلوبية الشاعر ودقة تصويره جعلتنا وكأننا أمام لوحة فنان يُسخر ريشته كيفما يشاء، وهذا ما يطلق عليه النقاد «صدق العاطفة» فالكون والشعر والشرق والكواكب كلها دلائل البهجة لمقدم رمضان المعظم سيد الشهور وأجلها والمسلمون ينتظرون هذا الشهر، وهم في ظمأ أملا في أن ترتوي أرواحهم من منهل الغفران والتسامح والتصالح مع الله في هذه الأيام والليالي المباركة التي يصقلها الصيام بما فيه من عبادة وتذلل وخضوع لرب العالمين، فبشرى قدومه يجلب معه الخير والبركة والهدى وهذا ما نلمسه مع أبيات الشاعر أحمد عبد الهادي:

رمضان وافي الخلق بالخيرات
فاستبشروا باليمن والبركات
واستقبلوا شهر الهدى بحفاوة
وخذوه بالأحضان والقبلات
فالله جلَّ جلاله قد حفه
بالنور والإيمان والآيات

سبحانه فهو الذى قد خصَّه
دون الشهور بعاطر النفحات

وهكذا أتقن الشعراء في رسم صورة حية يعيشها المسلم بجوارحه ويشاركه فيها قلبه المفعم بحب العبادة وطيب الإيمان، وإن تباينت الأساليب فكان التذوق واحدا ومؤثراً في ذاتية المشاعر الإنسانية على سواء.

ويحاول الشعراء أيضاً أن يشاركونا لحظاتهم الروحانية في شعرهم العذب، فنهيم معهم على أنفسنا في عبق النور الروحانى تارة ونستعذب أساليبهم تارة أخرى، ومنها نستشف القيمة الإنسانية لسيد الشهور وأعظمها في تربية النفس الإنسانية وبناء الشخصية السليمة كما يراها الإسلام هذا الدين القويم، ولكن نرى أن الشعر تغلفه الروحانيات الطاهرة فلنقرأ لشاعرنا محمد حسن فقى أبياته:

وتطلعت نحو السماء نواظر
لهلال شهر نضارة ورواء
تهفو إليه، وفي القلوب وفي النهى
شوق لمقدمه، وحسن رجاء
لم لا نتيه مع الهيام ونزدهى
بجلال أيام ووحي سماء
فلقد كرمت من السماء بما أتى
من وحيها .. وشرفت بالإطراء
سُدْتَ الشهور فأنت سيد عامها
بل أنت سيد دهرها المتنائى

ويتفق هذا المحور الروحانى مع رؤية شاعرنا محمد بن على السنوسى في تأمله الذاتى لشهر الغفران والأمل المرتقب فيقول:

رمضان يا أمل النفوس
الظامئات الى السلام
يا شهر، بل يا نهر ينهلُ
من عذوبته .. الأنام
طافت بك الأرواح سابحة
كأسراب الحمام
بيض يجللها التقى
نوراً يصقلها الصيام

فهذا ما يزيد قناعتنا واقتناعنا بأن أيام رمضان فرصة وأمل كل إنسان بأن يرزقه الله الرحمة في غفران الذنوب، فالصوم نفحة إلهية ورحمة ربانية على عباد الله ليصقلوا أنفسهم ويجعلوها لامعة ناصعة البياض كيوم ميلادهم، إنه الشهر الكريم الذى تتنوع فيه أساليب التقرب لرب العالمين من صيام وصلاة وتعبّد وتهجد وتدبر وتأمل وإخلاص للمولى عز وجل.

وأكثر ما يتحلى به هذا الشهر الكريم وتتزين به تلك الليالى العطرة هى «ليلة القدر» التى هي خير من ألف شهر وتجعل العبد المسلم في اصرار على مواصلة ألوان التقرب الى خالقه تضرُّعاً وتذللا وخضوعاً أملا فيما يتمناه وهذا ما نراه متمثلا في مظاهر النزعة الايمانية لدى شاعرنا أحمد عبد الهادى حين ينتابه شعور بالرهبة لهذه الليلة وها هو يقول:

شهر إذا سميته بصفاته
سجلت شهر الصوم والصلوات

بل شـهـر ربى فـيـه قـد نزل الهدى

فـي لـيـلـة جُـلِّـت عـن الـسـنـوات

فـيــهــا الملائكة الكرام لقـدرها

يتنزلون بســابـع الرحــمـــات

وفي هذا المقام يصور لنا شاعرنا محمد حسن فقى روعة هذه الليلة وهى تقع فى أجواء الصيام والتضرع والخشوع ونقرأ له قوله:

أضــرع إليــه لعله من فــضله

يهـدي ويشــفي من عـضــال الداء

فلقــد حظيت بصـوم يوم قــانت

وعـــبـــادة في ليلة.. غـــراء

* وتستمر رحلة الروحانيات في ذاتية شعراء الجزيرة، بل ويحاولون أن يوظفوا أساليبهم الموروثة حتى تخدم صياغة الكلمة والصورة الشعرية بين طيات قصائدهم خاصة موروث المكان الذى تشع منه الروحانيات مثل «مكة» التى ينيرها وينير الكون كله البيت المعمور، وفي هذا نقرأ لشاعرنا محمد حسن فقى يذكرنا بمكة مهبط الوحي والمدينة مستقر الرسول عليه الصلاة والسلام.

رمــضــان هذي مكة وبطاحــهــا

تشــدو بذكــرى طيـبــة وقـبــاء

فـتـصــيح للتطريب منه وتنتـشى

نجــد بغـيـــر تواجــد وبكاء

* وتنتشر ظاهرة الرحمة الآدمية بين بنى البشر متمثلة في الصدقات الظاهرة منها والباطنة حول الحرم المكى وبداخله في منظر يؤرخه التاريخ وتحفظه الذاكرة.

رمــضــان إن البـائسين تطلعـوا

أمــلا إليك فـجُـد علي البـؤسـاء

بالخـيـر تشـملهم به.. وببسـمـة

يشـتـاقـهـا العـانون للتـأسـاء

الـلــه مــنٌ فـكـنـت مــن آلائـه

فــاشكره بالنعــمى على الآلاء

* غير أن هذه النزعة الرمضانية التى سلك محورها الشعراء وراحوا يبدعون فيها عاطفة وأسلوباً وخيالا جعلتهم يتذكرون أن هذه الليالى العطرة هى ليالى البطولات والمعارك والانتصارات، ففى هذه الأيام وبالتحديد في يوم الجمعة السابع عشر من هذا الشهر في السنة الثانية من الهجرة كانت معركة بدر الكبرى التى أعز الله تعالى فيها المسلمين ونصرهم ومنَّ عليهم بالنصر المؤزر وهذا ما نقرأه في أبيات الشاعر أحمد سالم باعطب:

كم للبطولة فــيك من إشــراقــة

بالنصـر تسـحب ذيلها تتبـخـترُ

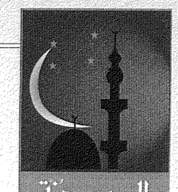
فــجــرت فى بدر ينابيع الفــدا

كـثـبـانهـا مـسك يضـوع وعنبـرُ

وحــملت من حطين أروع لوحــة

مــازلت ذا شــغف بهـا تستـأثر

* هذه رحلة الروحانيات الرمضانية في شعر أهل الجزيرة أرباب الأسلوب المبدع والعاطفة المتوقدة، وهذه هى النزعة الرمضانية كما جادت بها قريحتهم ولغتهم.



ترانيم رمضانية

نَحي يديك ·· وفي يديه دعــينى

الصدقُ فيه·· من الهوى يحمينى

يا نفسُ حسبك ما فعلت بمؤمن

وإلام أنت خطيئتى ويقينى؟

مضت الشهور عليّ والفم يرتوى

بالوهم واليدُ تحتمى بالطين

والبعد عنه، عن الصفاء يردنى

لرُبا، فحيح جحورها يُدْمينى

وأنا عن الألق الطهور مغيبٌ

أكبو وأنهض في دروب ظنونى

مضت الشهور عليَّ منذ رحيله

وهواي يبحر خلف ما يُغوينى

وضراوة الآمال تخترق المدى

بمطيتى ·· ومطيتى تشقينى

* * *

رمضان يا أمل المحب·· وأنت لي

أملا يُجَمِّل بالعطاء سنينى

أبْعد خُطاي عن المروق·· ولا تدع

شططى يجور على مدار سفينى

ها أنت تشرق بالهدى لأحبتى

وتعزّ دنياهم بأكرم دين

صاموا نهارك مؤمنين، وشدهم

لقيامهم بالليل ألف حنين

واستنفروا همم الغناة، وأرخصوا

أموالهم·· جادوا بكل ثمين

وأنا المحب·· إليك أحمل همتى

وأدور·· مصباح الهدى بيمينى

لكن خوفى أن يرد مطيتى

خلل ·· يناقض مسلكى ويقينى

رمضان·· يا أملا يلوحُ ويا مدى

للحب·· يأمل في الغد المأمون

للشاعر : يس الفيل

- مصر -

أيقظ نياما.. يستفز رماحهم

عنتٌ.. يكاد بلؤمه يطويني

قالوا: ورثت المجد.. ليت مورثي

لم يُبق لي إرثا يثير شجوني

هذي هوام الأرض ترتع في دمي

وعواصف الباغي تدك حصوني

والمسلمون على ضفاف مودتي

فرقٌ.. تمد يدي لسفح جنوني

ويكاد يدفع بي خلاف أحبتي

لغد.. تنوء به مرافيء ديني

ويكاد - رغم الحب - يصرعني غدي

وأنا المؤمل في غد يحميني

* * *

رمضان عد أملا يدوم.. وفرحة

تلتف بي.. ومن الضياع تقيني

أنت الذي بك أستمد حقيقة

ضاعفت.. منذ بها رحلتَ - أنيني

ها أنت في ثقة تعود.. مؤكداً

صدقي، وصدق محبتي ويقيني



إن الضياع على يديك يشدني

لِسَني.. يجمل بالعطاء سنيني

مازلت يا رمضان توقظ فطرتي

وتردني لبراءة التكوين

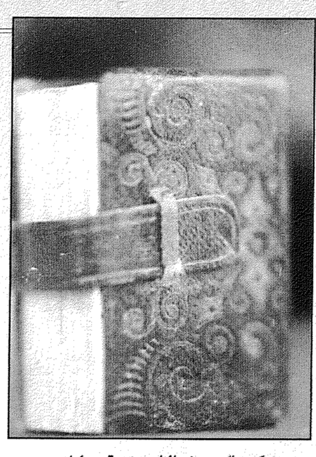
هلا أعدت لي انطلاقة صحوتي

لأعود ممتشقا سهام حنيني؟

إني أنوب.. وقد أتيت - صبابة

يا رحلة الأمل التي تحييني

سر أصغر مصحف في العالم



صورة مكبرة للمصحف النادر بنسبة ٤٠٠ ٪

هذا مصحف نادر صغير الحجم جدا، تمت مراجعته وتصحيحه بمعرفة متخصصين تحت اشراف مشيخة الازهر الجليلة واعتماد صاحب الفضيلة شيخ الجامع الأزهر منذ اكثر من ثلاثة وثمانين عاما.

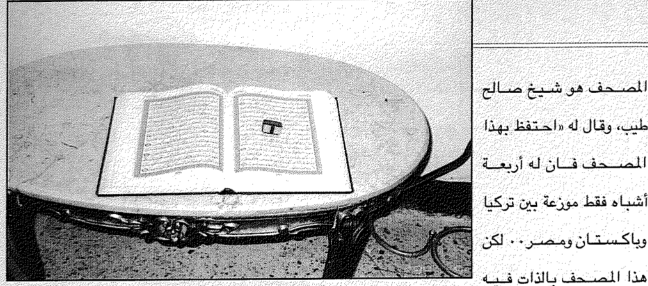
عندما علمت بوجود هذا المصحف النادر لدى مواطن مصري بمدينة المنصورة بجمهورية مصر العربية.. كان علينا أن نتابع هذا الموضوع من بدايته.

بدأنا بلقاء مع السيدة بشرى عبد العال محمد التي روت لنا قصة هذا المصحف النادر.. حيث قالت:

كان والدى يرحمه الله إماما وخطيبا ومتفقها في الدين وكان له الكثير من محبيه الذين يتحلقون حوله أوقاتاً طويلة، يتلقون منه ما يفيدهم في أمور دينهم ودنياهم كما كان - يرحمه الله - كثير التنقل بين المحافظات والبلدان تلبية لرغبة محبيه من المسلمين في هذه البلدان.

وفي إحدى جولاته أهداه أحد محبيه مصحفا صغيرا جدا (٥ر٢ سم طولا × ٥ر١ سم عرضا × ١ سم سمكاً) وعلمت من والدى أن الذي أهداه هذا

اعداد وتصوير :
يعقوب السيد حسنين

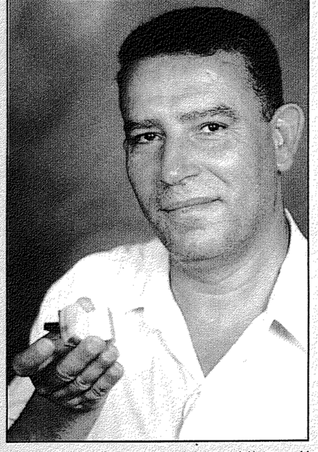

المصحف النادر يشغل مساحة ثلاث كلمات فقط من المصحف العادى

المصحف هو شيخ صالح طيب، وقال له «احتفظ بهذا المصحف فان له أربعة أشباه فقط موزعة بين تركيا وباكستان ومصر.. لكن هذا المصحف بالذات فيه كنز لمن يحمله، وبه أيضا سر قد تكتشفه في يوم من الأيام».

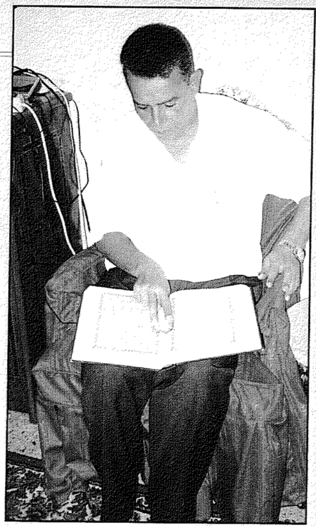
ولما توفى والدي احتفظت بهذا المصحف وقمت بتغليفه ليظل على صورته الجميلة.. إلى أن كان يوم زواج ابنتى من رجل فاضل توسمت فيه التقوى وحسن الخلق فقررت أن أهديه هذا المصحف النادر، وفعلا أهديته إياه، وعرفته بما قيل حول المصحف من كونه فيه كنز لمن يقتنيه، وأن به سراً لم يكتشف بعد، فأخذه فرحاً، وحرص عليه حرصا شديدا إلى حد أنه اودعه أحد البنوك للحفاظ عليه.

وسألناها عن زوج الابنة الذى في حوزته المصحف النادر قالت: إنه الأستاذ/ مصطفى عبد الحميد عمّار، وهو موظف كبير بوزارة الداخلية - وأرشدتنا عن كيفية الاتصال به.

وقد رتبنا معه لقاء - بعد أن طلبنا منه إحضار المصحف الصغير لتصويره.. والتقيناه في الموعد المحدد.. وعند لقائى به لم أر معه المصحف


المصحف النادر بين اصبعي الاخ عمار

موضوع الاستطلاع، فبادرته على الفور بالسؤال عن المصحف، ولماذا لم يحضره معه - كما سبق واتفقنا - فابتسم الرجل بوقار وقال «لا تقلق فانه معى» ثم مد



المصحف بين هامشي المصحف العادي

يده في جيبه وأخرج مغلفا صغيرا، وفتحه بحرص وعناية شديدين، وأخرج المصحف.. وكذلك أحضر معه عدسة مكبرة.. و..

وبنفس الحرص أخذت المصحف في يدي، وهو فعلا تحفة نادرة طباعة وتغليفا علاوة على جودة الورق. وقد قمت بوضع هذا المصحف الصغير جدا على أحد المصاحف ذات الحجم العادى فلم يشغل من الأخير إلا مساحة ثلاث كلمات - وقد بدا المصحف العادى الى جوار المصحف الصغير عملاقا.

وبعد أن قمت بالتصوير سألت ضيفنا الأستاذ/ مصطفى عمار عن إحساسه بامتلاك هذا المصحف النادر، وطلبت منه أن يحكى لنا قصته.. فقال:

اعتقد أن السيدة بشرى قد تحدثت عن كيفية وصول هذا المصحف النفيس لي، وقد كان ذلك ثاني يوم زواجي من ابنتها «في الصباحية» وقد شعرت بسعادة غامرة بهذه الهدية التى لا تقدر بثمن، وعندما اخبرتنى أن به سرا كنت أسائل نفسي يا ترى ما هو سر هذا المصحف؟ وهل سيوفقنى الله - سبحانه وتعالى - لاكتشافه؟ - ومع الوقت أحسست ان كل حياتي العملية والمعيشية اصبحت تسير في هدوء وصفاء - والحمد لله رب العالمين - ففكرت أن ذلك قد يكون هو السر المقصود.. وبعد مرور ثماني سنوات ونصف السنة من حيازتي لهذا المصحف وفي أحد الأيام أحضرته واحضرت «العدسة المكبرة» وأخذت اتفحص المصحف فلاحظت وجود ورقة داخل الغلاف الجلد للمصحف فانتزعتها برفق من الغلاف وقرأت ما فيها «بالعدسة المكبرة» فإذا هى ورقة مصحف بنفس الحجم تحمل آيات من سورة سبأ من الآية ٣٦ {قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون}.

وحتى الآية ٣٩ {قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يُخلفه وهو خير الرازقين}.

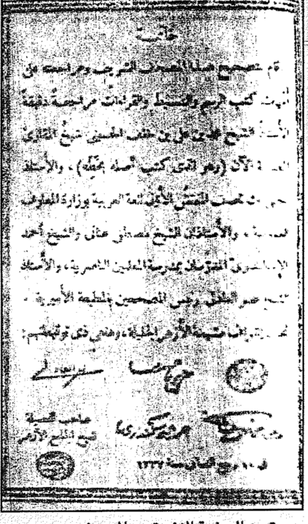
وعندما قرأت هذه الصفحة ظننت أنها منزوعة من نفس المصحف الذي معي، فرجعت إلى سورة سبأ فوجدت أنها غير منزوعة منه، والعجيب أنها طبعة مختلفة حيث تبدأ بالآية ٣٦ على خلاف نفس الصفحة بالمصحف.. فقمت باعادة الصفحة إلى مكانها .. وقلت في نفسي إن الآيات الكريمة التى حوتها هذه الصفحة تتضمن وعد الحق تبارك وتعالى ببسط الرزق لمن يشاء من عباده.. فلعل هذا هو السر المقصود في هذا المصحف.. وقد يكون أيضا ما أشير اليه بأنه «كنز لمن يحمله» وقد تصورت أيضا أن المقصود بالكنز عندما يرغب أحد المتاحف الاسلامية في اقتنائه.

والحقيقة الحقة يعلمها الله وحده - سبحانه وتعالى -

خاتمة:

وهذا نص ما ورد في الصفحة الأخيرة من هذا المصحف:

قام بتصحيح هذا المصحف الشريف ومراجعته على أمهات كتب الرسم والضبط والقراءات مراجعة دقيقة الأستاذ الشيخ محمد بن على بن خلف الحسينى شيخ المقارىء المصرية الآن (وهو الذى كتب أصله بخطه)، والأستاذ حرمي بك ناصف



صورة من الصفحة الاخيرة من المصحف

المفتش الأول للغة العربية بوزارة المعارف العمومية، والأستاذان الشيخ مصطفى عناني، والشيخ أحمد الاسكندري المدرسان بمدرسة المعلمين الناصرية، والأستاذ الشيخ عمر العادلي رئيس المصححين بالمطبعة الأميرية.

تحت إشراف مشيخة الأزهر الجليلة، وها هي ذى توقيعاتهم.

توقيعات:

صاحب الفضيلة شيخ الجامع الأزهر

في ١٠ ربيع الثاني سنة ١٣٣٧هـ

الدكتور عبدالرزاق السنهوري

بعد عام دراسى في مدرسة القضاء الشرعي .. سافر الدكتور عبد الرزاق السنهوري (١٣١٣ - ١٣٩١هـ/ ١٨٩٥ - ١٩٧١م) الى فرنسا في بعثة علمية لدراسة القانون.. فركب السفينة من ميناء الأسكندرية - قاصدا جامعة «ليون» - في ١٢ أغسطس سنة ١٩٢١م أى في صبيحة اليوم التالى لذكرى عيد ميلاده - وهو - يومئذ - في السادسة والعشرين من عمره.

ذهب السنهورى إلى أوربا، إبان علوها الاستعمارى الذى عمت بلواه كل أرجاء الشرق الاسلامى احتلالا وإذلالا واستغلالا.. وفي مناخ فكرى وحضارى ظن فيه الكثيرون أنهم بإزاء نهاية التاريخ.. فالدولة الإسلامية الجامعة قد تفككت.. والاستعمار قد ورث ولايتها.. وتيارات فكرية عريضة ومؤثرة - في الشرق - قد أدارت ظهرها لحضارتها الموروثة ولتراثها الحضاري، يأسا وقنوطا، وأخذت تبشر بالحضارة الغربية المنتصرة، باعتبارها الطريق الوحيد للتقدم، والنموذج الفريد للنهوض.

سافر السنهورى إلى فرنسا - بلد «النور .. والأنوار» فماذا صنع هناك؟

لقد سافر حاملا لهموم أمته في قلبه وعقله.. إلى الحد الذى جعله مستعصيا على الانبهار والاندهاش بالنموذج الحضارى الغربي.. بل إن إيمانه بعظمة المدنية الاسلامية، وارتقاء الشريعة الاسلامية، وخلود الأمة الإسلامية، قد جعلت كفة «النور الشرقى» ترجح في عقل ووجدان الشاب السنهورى على كفة «الأنوار الغربية»، التى أعشت أبصار الكثيرين في ذلك التاريخ.

فبعد شهرين من إقامته بفرنسا، يرى رؤيا - في المنام - تذكرنا عندما نقرأ ما دونه عنها في مذكراته برؤيا يوسف - عليه السلام - رؤيا تحدد البوصلة الفكرية والحضارية للسنهورى، وتعكس إيمانه بالشرق والإسلام، ليس كماض وتراث، وإنما كمستقبل متفوق على النموذج الغربي.. فشمس الشرق - في هذه الرؤيا - هى الأوسع مدى، والأسطع نورا.. والسنهوري - في هذه الرؤيا - هو حامل شمس الشرق، الأكثر بهاء ونورا.. فهى إذن «رؤيا - رسالة» حملها السنهورى منذ ذلك التاريخ.. ولقد حدثنا عنها - فى مذكراته - على استحياء.. وفي تردد - فقال:

«رأيت فيما يرى النائم: أن الغرب تشرق عليه شمس ساطعة، حدقت فيها طويلا، ثم أدرت وجهى نحو الشرق، فخيل لى أننى أنقل شمسا أوسع مدى وأسطع نورا من أرجاء الشرق الواسعة. وحسبت أني أنا الذى أنقل هذه الشمس بيدى. وكأنى سمعت لفظ «العلم» يهمس ثم أفقت من نومى.

قد يكون من الغرور أن أدون هذا الحلم في مذكراتي، ولكن تأثيره فيّ كان عظيما. ولا أزال أرى الشمسين: شمس الغرب الساطعة، وشمس الشرق أبهى وأسطع، وقد تضاءلت أمامها شمس الغرب. اللهم حقق هذا الحلم، فأنت قادر على كل شيء».

هكذا .. ومنذ ذلك التاريخ حسم السنهورى اختياره لنموذج التقدم وصيغة البعث الحضارى للشرق وشعوبه.. فشمس الشرق هى الأوسع مدى، والأسطع نورا - إنها «أسطع نورا من أرجاء الشرق الواسعة»!

أما صاحب الرؤيا، فهو «صاحب رسالة».. إنه «حامل شمس الشرق بيديه».. والعلم - الذى سافر إليه - هو مفتاح هذا النور.. ولقد دعا الرجل ربه أن يحقق هذا الحلم، فهو - سبحانه - على كل شيء قدير.

لذلك، وجدنا السنهورى - في فرنسا - لا يقف - في نشاطه العام وخياراته الفكرية، فقط، عند رفض الانبهار بالمدنية الغربية، وإنما يتخذ الموقف النقدى، الواعى والعميق، للعرب والمسلمين الذين انبهروا بهذه المدنية، وبشروا بنموذجها الحضاري.

لقد انتقد - وهو بباريس - أولئك الذين دعوا ويدعون إلى استبدال المدنية الغربية بالمدنية الإسلامية.. وتحدث عن أن أمتنا ليست الأمة الطفيلية التى تترك مدنيتها العريقة - المؤسسة على شريعتها الإسلامية - لترقع لها ثوبا من فضلات الخياطين.



بقلم المفكر الإسلامي :
أ.د. محمد عمارة - مصر

وانتقد الذين تبنوا مناهج الفكر الغربي والتطور الحضاري الغربي في دراسة تاريخنا وحضارتنا ونظمنا الاجتماعية والسياسية.. انتقد الدكتور منصور فهمي (١٣٠٣ - ١٣٧٨هـ/ ١٨٨٦ - ١٩٥٩م) الذى سبق السنهوري إلى الدراسة في فرنسا - والذى تبنى مناهج غلاة المستشرقين في دراسته عن زوجات الرسول، عليه الصلاة والسلام - وهو ما تراجع عنه بعد ذلك منصور فهمي باشا -.

وانتقد الشيخ على عبد الرازق (١٣٠٥ - ١٣٨٦هـ/ ١٨٨٧ - ١٩٦٦م) الذى درس الخلافة الإسلامية وعلاقة الدين بالدولة في الاسلام، بمناهج العلمانية الغربية، وبالرؤية النصرانية التى تدع ما لقيصر لقيصر وما لله لله.

وفي ذات الوقت، لفت السنهوري الأنظار الى الأعمال الفكرية المتميزة، التى أبدعها دارسون مصريون ومسلمون في فرنسا، من مثل رسالة الدكتوراه التى انجزها الدكتور محمود فتحى عن التعسف في استعمال الحق بالشريعة الاسلامية، كنموذج للتعامل الصحى مع تراثنا وشريعتنا ومدنيتنا.

بل ورأينا السنهورى - طالب البعثة - يحاضر عن الأدب العربي في الأسرة الفرنسية التى يقيم معها، وبعض أصدقائه وأصدقاء هذه الأسرة «لإفهام هؤلاء القوم أن للعرب أدبا له قيمة» إذا ما قورن بالأدب الفرنسي الذى لا يعرفون سواه[١].

رأيناه يكتب ذلك .. ويقوم به بعد شهرين فقط من سفره إلى هناك!.

وغير النقد للمنبهرين والمندهشين..

رأينا السنهورى يخطط - وهو في فرنسا .. ومنذ فجر حياته العلمية - لمشروع النهضة الإصلاحية والإحيائية والتجديدية للشرق وشعوبه، بالاسلام ومدنيته وشريعته.. فيكتب «مواد البرنامج» الذى مثل رسالته الإصلاحية التى نهض بها - هذا الرجل العظيم - على امتداد سنوات عمره المديد..

وفي مختلف الميادين التى عمل فيها.. كاتبا ومفكرا.. ومدرسا للقانون.. وصائغا للدساتير.. ومشرعا للقوانين المدنية.. وحارسا للعدل في محراب القضاء.. ورجل سياسة ودولة.. ونموذجا للقيم والخلق العظيم.



د. عبدالرزاق السنهوري

رأيناه يكتب «مواد برنامج» رسالته الإصلاحية، مشيرا إلى «أشعة الشمس» التى حملها في «رؤياه» فيقول: «وددت لو استطعت عند رجوعى إلى مصر أن أخدم بلادى في الوجوه الآتية، وأن أجتهد في إنشاء دراسة خاصة يكون الغرض منها:

١ - طريقة جديدة لدراسة الشريعة الاسلامية، ومقارنتها بالشرائع الأخرى، حتى يتيسر فتح باب الاجتهاد في تلك الشريعة الغراء.. وحتى تؤثر تأثيرا جديا في القوانين المستقبلة للأمة.. أسأل الله أن يحقق هذا الأمل.

٢ - كنت أحلم صغيرا بالجامعة الاسلامية، وكنت أتعشقها.. والآن أراها أقل إبهاما وأكثر تحديدا.. على أن دون تحديدها تحديدا كافيا سنين من التجارب والدراسة أرجو أن أجتازها.

٣ - ووددت أن أشترك في نهضة اقتصادية ومالية في مصر.

٤ - وأن أشترك في نهضة لإصلاح طرق التربية والتعليم.. وإصلاح الأزهر.. وما يدخل في إصلاح التربية من تربية المرأة وإصلاح حالتها الاجتماعية.

٥ - وأن أشترك في نهضة لإصلاح اللغة العربية.

٦ - والعمل على سيادة الأمة ضد كل سلطة فردية، سياسية أو اقتصادية.. وأرجو ألا أموت قبل أن أرى الوقت الذى ينادى فيه بسيادة الأمة، لا على

**** السنهوري أفاد من الحضارة الغربية من غير استلاب**

**** نهضة الشرق والمسلمين كانت همه وشاغله**

** القوميات نزعات تفرقة وتشتت عمل الغرب على زرعها بين المسلمين

** السنهوري عاب كثيراً على مفكري الشرق الذين أخذتهم حضارة الغرب ودعوا إليها

** السنهوري كان مجدداً ومصلحاً على ثوابت الدين والقيم

صفحات الجرائد وفي بطون الكتب، بل في كل كبيرة وصغيرة من حياة الأمة العملية، فالمستقبل لسلطان الشعوب، وهو سيمحو سلطان الطبقات.

٧ ـ وأتمنى لو تكونت جمعية أمم شرقية الى جانب جمعية الأمم الغربية.

٨ ـ ووددت لو أتيح لمصر أن تكون من البلاد الشرقية كإيطاليا من البلاد الغربية في عهد إحياء العلوم.. وحبذا لو بدئ بتكوين مجامع علمية لغوية وفنية تتولى قيادة النهضة.

٩ ـ وتكوين حزب العمال والفلاحين.. حزب الاشتراكية الديمقراطية، الذي يستمد مبادئه من تجارب الأمم الغربية ومن التعاليم النقية الصحيحة التي أتى بها الإسلام والمسيحية.

هذه النهضات نحن في أشد الحاجة إليها. وفقني الله إلى أن آخذ بنصيبي في ذلك، وأن أقوم بما يجب عليّ مما يتسع له مجهودي[٢].

هكذا، ومنذ فجر شبابه، خطط السنهوري معالم المشروع الإصلاحي، الذي كانت حياته ـ الغنية والمديدة ـ إنجازات تطبيقية لها في مختلف الميادين.. الأمر الذي يفصح عن عبقرية في التخطيط، وعزيمة فولاذية في الإنجاز للتخطيط.

وفي السنوات الخمس التي أمضاها السنهوري بفرنسا، تبحر في علوم القانون الغربي ـ أصوله الرومانية.. وتقنيناته الحديثة.. ونهل من منابع الثقافة الفرنسية والأوربية.. واتصل بالحركات والتيارات الاجتماعية والثورية ـ والاشتراكية منها بوجه خاص ـ وزامل المبعوثين العرب والمسلمين الى مؤسسات العلم الفرنسية.. وساح في كثير من البلاد الأوربية متأملا ودارسا.. وقضى في لندن شهرا ونصف الشهر يجمع مراجع رسالته للدكتوراه «القيود التعاقدية على حرية العمل في القضاء الانجليزي».

وتشهد مذكراته في سنوات الابتعاث ـ التي دونها في (أوراقه الشخصية) ـ على أن وطنه وأمته وإسلامه، وتجديد الفقه الإسلامي وتقنينه، وإحياء الشريعة الاسلامية بالاجتهاد الجديد، ونهضة الشرق بالإسلام، ونهضة الإسلام بالشرق، كانت هي شغله الشاغل، والحلم الذي سهر على رسم معالم تحقيقه، جاعلا منه رسالته المقدسة في الحياة.

وعندما ألغيت الخلافة العثمانية ـ في مارس ١٩٢٤م ـ وبدا للكثيرين أن النزعة القومية ـ على النمط الغربي ـ قد انتصرت على الجامعة الإسلامية، كتب السنهوري، في مذكراته محذرا من هذه النزعة المتعصبة المفتتة لوحدة الأمة، وداعيا الى توظيفها ـ بعد تهذيبها ـ في خدمة الكيان الإسلامي الجامع والأكبر.. فقال في ١٩٢٤/٤/٢١م أي في الشهر التالي لإلغاء الخلافة الإسلامية: «إن فكرة القومية دبت في الشرق، ولا يمكن أن تنتشر، وكل ما يطلب من الشرقيين هو أن يتدبروا التاريخ فيروا أن الغرب انتشرت فيه هذه الروح فأصبح القوم أقواما، وكانت نتيجة المبالغة في هذا المبدأ أن صار كل قوم عدوا للأقوام الأخرى، ووقعت بينهم الحروب. فالشرق إذا أراد أن يبني نهضته على مبدأ القومية فلابد في الوقت ذاته من أن يوجد شيئا من الاتصال بين أقوامه المتعددة في مبدأ نهضتها حتى يسهل بعد ذلك أن تكون هذه الأقوام على صفاء ووداد، ويجمعها كثير من عوامل التوحيد.

فلم يتزعزع إيمانه بالجامعة الإسلامية، التي أراد للقوميات أن تكون لبنات في بنائها.. وهو التصور الذي بلوره في رسالته الثانية للدكتوراه ـ في العلوم السياسية والاقتصادية عن (الخلافة كعصبة أمم إسلامية).

وإذا كانت مصر قد ابتعثت ابنها عبد الرزاق السنهوري الى فرنسا ليتخصص في القانون، وينجز

رسالة للدكتوراه.. فإن الرجل العظيم قد أنجز في تلك السنوات الخمس أضعاف المطلوب والمأمول.. أنجز رسالة للدكتوراه في القانون - عن (القيود التعاقدية الواردة على حرية العمل في القضاء الانجليزى).. بالفرنسية من جامعة «ليون».. ونال عنها جائزة أحسن رسائل الدكتوراه.

وأنجز رسالة ثانية للدكتوراه، تطوع بها - دون تكليف .. بل ومع تحذير أستاذه «إدوار لامبير» علامة القانون المقارن.. وناظر «مدرسة الحقوق الخديوية» بمصر - سابقا - وهى التى تخرج منها السنهورى، فلقد حذر «لامبير» السنهورى من صعوبة الموضوع، ومن المناخ السياسى والفكرى الأوربى المعادى له!.. ومع ذلك تقدم السنهورى فانجز هذه الرسالة الثانية - في العلوم السياسية والاقتصادية - عن (فقه الخلافة، وتطورها لتصبح هيئة أمم شرقية) مقدما فيها - بعد الجزء التاريخى - اجتهاده الجديد، ونظريته العبقرية في جمع الاسلام، وفى ذات الوقت تمييزه، بين الدين والدولة.. وفي جمع الخلافة، وفى ذات الوقت تمييزها، بين الفكرة القومية والجامعة الإسلامية.

وأنجز - أيضا - دبلوما من معهد القانون الدولى - بجامعة باريس - .

أنجز السنهورى رسالته عن (الخلافة) التى لم يكن مكلفا بها، ولم يطلبها منه أحد.. والتى سيؤخر إنجازها عودته إلى وطنه، وترتيبه في السلم الوظيفى، وذلك علاوة على ما يجلبه إنجازها له من عداء الفرنسيين في عقر دارهم.. ولكن «الرسالة» التى حملها السنهورى «رسالة الأمة» هى التى جعلته ينجزها، وينالها بتفوق نادر - كما أشار إلى ذلك - في مقدمتها - أستاذه «لامبير» الذى كتب في هذه المقدمة عن تلميذه تحت عنوان «عبقرية السنهورى» يقول: «لقد وجدت ضالتى المنشودة أخيرا على يد السنهورى، وهو من أنبغ تلاميذى الذين درست لهم خلال حياتى العملية كأستاذ. إنه تلميذ قد أثبت فعلا أنه جدير بأن يكون أستاذا»[٣].

كما كتب عن السنهورى الخبير القانونى المشهور «جورج كورنيل» في مجلة جامعة «بروكسيل» يقول: «إنه من أحسن ركائز مجموعة معهد القانون المقارن في جامعة ليون».

كما كانت رسالته هذه عن (الخلافة) نقطة الانطلاق والارتكاز للأستاذ الكبير «موريس هوريو» في بناء نظريته الجديدة عن «النظام القانونى» في علم الاجتماع التشريعى.

ولقد كان تصدى السنهورى - في هذه الرسالة عن (الخلافة) للرد على دعوى الشيخ على عبد الرازق في كتاب (الإسلام وأصول الحكم) الصادر بالقاهرة ١٩٢٥م أن الإسلام دين لا دولة ورسالة لا حكم، وأن الخلافة - تاريخيا - كانت سلطة كهنوتية مستبدة - كان تصدى السنهورى لهذه الدعوى - تحت عنوان «رأى شاذ» دليلا على أن السنهورى كان يعيش معارك الفكر في وطنه حتى وهو يدرس خارج عالم الإسلام!.

وفي فرنسا تبلور الفكر الاجتماعى للسنهورى، فتمنى أن يقوم بمصر المستقلة حزب اشتراكى ديمقراطى للعمال والفلاحين «بعيد عن التطرف الاشتراكى، يستمد مبادئه من تجارب الأمم الغربية ومن التعاليم النقية الصحيحة التى أتى بها الإسلام والمسيحية»[٤]. لأنه كان يرى «أن الشيوعية داء وبيل، والرأسمالية هى أيضا داء وبيل»[٥] وأن كلا من الثورة الفرنسية والثورة البلشفية قد أحلت محل الاستبداد الذى إزالته استبدادا أشد[٦].. كان يريد حزبا اشتراكيا ديمقراطيا «يطبق روح الاشتراكية التى لا تتناقض مع الروح الشرقية الإسلامية، والتى تنجز الإصلاحات الداخلية، فتوزع الثروة توزيعا أقرب إلى العدل، وتقوى الأمة على أسس إسلامية»[٧].

هكذا خطط السنهورى - منذ فجر حياته العلمية - معالم الرسالة الإصلاحية التى عزم على حمل أمانتها في حياته المستقبلة.. وهكذا بدأ إنجاز عدد من معالم الإصلاح الفكرى إبان بعثته العلمية الى فرنسا.

للدراسة صلة

الهوامش:

(١) المصدر السابق. ليون في ٢٤، ٢٥/١٠/١٩٢١م.
(٢) المصدر السابق، ليون في ٢١، ٢٣/١/١٩٢٢م. و٢٥/٢/١٩٢٢م، و٨ / ٥/١٩٢٢م، و١/٨/١٩٢٣م. و١٠/٩/١٩٢٣م. و٩/١٠/١٩٢٣م.
(٣) انظر مقدمة «لامبير» في الطبعة العربية لكتاب «فقه الخلافة وتطورها لتصبح عصبة أمم شرقية» ص ٣٧ - ٤١ ترجمة: د. نادية عبد الرزاق السنهورى، مراجعة وتقديم: د. توفيق الشاوى، طبعة القاهرة ١٩٨٩م.
(٤) الاوراق الشخصية.. ليون في ٩/١٠/١٩٢٣م.
(٥) المصدر السابق ، القاهرة في ٣/٦/١٩٥١م.
(٦) المصدر السابق، ليون في ١١/١٠/١٩٢٣م.
(٧) المصدر السابق، لاهاي في ١٥/٨/١٩٢٤م.

أبو العلاء المعري .. والسجن الرابع

لا نعلم أحدا من الناس عامة والشعراء والحكماء والفلاسفة خاصة حبس نفسه أو فرض عليها، أو رضي لنفسه أن تحبس في أكثر من سجن واحد غير أبي العلاء المعري شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء (٣٦٣ ـ ٤٤٩) الذي مضى يعدد محابسه وسجونه التي ألفى نفسه في غياهبها وعماياتها سواء منها ما فرض عليه وما فرضه هو على نفسه حيث يقول[١]:

أراني في الثلاثة من سجوني ... فلا تسأل عن الخبر النبيث

لفقدي ناظري ولزوم بيتي ... وكون النفس في الجسد الخبيث

وواضح أن هذه المحابس أو السجون أبعد وأعمق من تلك المحابس التي يمكن أن تلقانا عند طائفة من البشر ـ إذا جاز لنا أن نطلق عليها هذا الوصف ـ كفرض لون من ألوان الحياة، أو نمط من أنماط السلوك على النفس، وممارسته باستقلالية متميزة، من مثل الإضراب عن الزواج، أو تناول نوع من أنواع الطعام كالنبات مثلا عند من عرفوا بالنباتيين، وما أشبه ذلك من أنماط السلوك البشري الذي يلقانا عند كثير من الناس المتميزين ـ أو على الأقل، الذين يريدون أن يكونوا متميزين في مجتمعاتهم بطبيعة الحال، والذي قد يكون أساسا أثرا من آثار المذهبية أو العقائدية كالبرهمية والنصرانية مثلا.

ونحن هنا لا نقصد هذا الضرب من المحابس المذهبية أو العقائدية، وإنما نقصد أنماطا أخرى تتدخل النفس تدخلا عميقا في توجيهها وممارساتها كاعتزال الناس والانقضاب من المجتمع وتقطيع كل الأواصر والوشائج التي تربطه بالناس والمجتمع الذي يعيش فيه استجابة لما فطر عليه الإنسان من اجتماعية الحياة والسلوك وفق المقولة المعروفة «الإنسان اجتماعي بطبعه»، ومهما حاول الإنسان أن ينفلت من تلك العلائق الاجتماعية فلن يقدر إلا إذا رضي لنفسه أن يعيش في مجتمع آخر لا ينتمي إلى البشر، ويخلو من كل متطلباتهم كمجتمع الغاب مثلا.. وعندئذ ستكون هذه الخطوة أولى خطواته وأوسعها نحو الفناء والعدمية..

ومن هنا كانت حبالة المجتمع وقيوده تتشابك بقوة، وتشد بعنف كالقيود البلاستيكية، حول رقاب أولئك المتمردين كلما حاولوا الانفلات من بقية المجتمع، أو الانقضاب من دنيا الناس، والاستقلالية في المأكل والمشرب والملبس، وفي أنماط أخرى من السلوك البشري التي لا تستقيم حياة الناس بدونها.

وإذا تأملنا حياة أبي العلاء المعري، أو بعبارة أدق، إذا تأملنا تأمل أبي العلاء في حياته، فإننا نجده قد فرض على نفسه، أو قل وجد نفسه بعد التأمل العميق سجينا في ثلاثة سجون أو محابس من خلال بيتيه السابقين، وقد كفانا مؤونة البحث عن هذه المحابس وتحديد ماهياتها، وأراحنا من عناء الضرب في متاهات المجهول بحثا عن تلك المحابس الغريبة المتعددة.

وإذا أنعمنا النظر في هذه المحابس ألفيناها نوعين متمايزين: محابس أو معتقلات اضطرارية لا أثر للاختيار الإرادي أو القصدية، ولا دور للعقل الذاتي فيها لأنها فُرضت عليه فرضا باعتبارها قدرا مقدورا من الله سبحانه كوجوده في الدنيا، أو مجيئه الى الحياة ورحيله عنها.. وقد أشار صاحبنا الى هذا السجن، وردد هذه الفكرة طويلا في لزومياته على شاكلة قوله[٢]:

ما باختياري ميلادي ولا هرمي ... ولا حياتي، فهل لي بعد تخيير

ولا إقامة إلا عن يدي قدر ... ولا مسير إذا لم يقض تيسير

بقلم : أ. د. خليل ابو ذياب
جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض

ومن ذلك قوله أيضا[٣]:

ولم نحلل بدنيانا اختيارا
ولكن جاء ذاك على اضطرار

وقد سبق أبا العلاء بشارُ بنُ بُرد حيث يقول مقررا هذه الفكرة[٤]:

خلقت على ما فيَّ غير مخيَّر
هواي ولو خُيِّرت كنت المهذبا
أريد فلا أُعطى، وأُعطى ولم أرد
وقصَّر علمي أن أنال المغيَّبا
وأصرف عن قصدي وعلمي مقصَّر
وأمسي وما أعقبت إلا التعجبا

ووراء هذا السجن الإجباري، سجن الوجود الدنيوي نجد سجن العمي الذي زُج به في عمايته منذ أوائل الرابعة من عمره إثر إصابته بالجدري في أواخر سنته الثالثة[٥].

وللرجل أن يصف هذين الأمرين برغم خروجهما عن إرادته، أو عجزه عن التدخل الاختياري فيهما بأنهما محابس، ولغيره أن يخالفه في ذلك.. وهذا أمر مردّه الى اعتبارات متعددة يعود بعضها الى طبيعة النفس والعقل وقدرتهما على التكييف والرضا أو الاستسلام والإذعان وتقبل الأمور في كل أحوالها، أو العجز عن التكييف مع الواقع ومحاولة الانفلات منه والتمرد عليه والرفض له!! على أية حال، فهذان المحبسان - الحياة والعمى - اضطراريان لا أثر للاختيار والإرادة فيهما البتة، لأنهما كما أسلفنا، قدر مقدور من الخالق العليم الحكيم جل جلاله، ومن جهالة الإنسان وسيطرة الشيطان عليه يأتي رفضه لهما أو تمرده عليهما!! أما المحبس الثالث الذي أشار إليه فهو «لزوم بيته وعزلته عن الناس وانقضابه من المجتمع» وهذا سجن اختياري إرادي شيده أبو العلاء وأعلى جدرانه بكل طوقه وحوله، وضيق منافذ الشمس والهواء فيه بكامل وعيه وعقله، وتقحم زنازينه بملء رغبته، وأوصد أبوابه من خلفه بمطلق إرادته وبعد طول تأمل ونظر ومشورة على نحو ما يقول في رسالته الى أهل المعرة منصرفه من بغداد حول سنة ٤٠٠هـ «أما الآن فهذه مناجاتي إياهم منصرفي عن العراق مجتمع أهل الجدل وموطن بقية السلف بعد أن قضيت الحداثة فانقضت، وودعت الشيبة فمضت، وحلبت الدهر أشطره وجربت خيره وشره، فوجدت أوفق ما أصنعه في أيام الحياة عزلة تجعلني من أناس كبارح الأروى من سانح النعام، وما ألوتُ نصيحة لنفسي، ولا قصّرت في اجتذاب المنفعة إلى حيّزي، فأجمعت على ذلك واستخرت الله فيه بعد جلائه على نفر يوثق بخصائلهم فكلهم رآه حزماً، وعدّه إذا تم رشدا، وهو أمر سُري عليه بليل، قُضي ببقّة، وخبَّت به النعامة، ليس بنتيج الساعة، ولا ربيب الشهر والسنة، ولكنه غذيّ الحقب المتقادمة، وسليل الفكر الطويل»[٦]. وكل هذا يؤكد الاختيار والقصدية في هذا السلوك الاجتماعي الذي مارسه على مدى نصف قرن تقريبا. وقد عبّر عن حبسه نفسه في بيته في إحدى درعيات سقط الزند فقال[٧]:

لذاك سجنت النفس حتى أرحتُها
من الإنس ما إخلاء ربع بإخلال

**** أبو العلاء رغم عزلته التي حاول فرضها على نفسه، فقد غدا بيته قبلة لطالبيه ومحبيه**

ولقد كان يمكنه أن يجد من نفسه أو من خلصائه الذين شاورهم فيه رفضاً له وحضا على الاستمرار في حياة التكيف والاختلاط والمشاركة التي عاشها على طول أربعين سنة دون أن يخطر في وهمه - ربما - مثل هذا الخاطر الرهيب! أو يمثل له هذا السلوك الغريب.. وأخباره التي وصلت إلينا. إذا صحت - في تلك المرحلة المتقدمة تصوره لنا إنساناً عادياً متوازناً مبرأ من المؤثرات النفسية العنيفة التي يمكن أن تنجم عن مثل تلك العاهة التي ألمت به في سن مبكرة، قادرا على التكيف العميق معها دون أن تنطوي على شيء من العقد النفسية المرهقة[٨]. وربما كان ذلك لتوغلها في حياته وتجذرها في نشأته المبكرة، ثم لقدرته على التسامي والاستعلاء على آثارها المفزعة والموحشة، واقتداره الأكبر على التكيف معها في إطار المجتمع

الكبير الذي عاش فيه، وطبيعة الحياة ونوعية الرعاية التي حظي بها في أسرته أو مجتمعه الصغير.

وغني عن البيان أن مثل هذه العاهات والنقائص كلما كانت متوغلة في طفولة الإنسان الأولى ونشأته المبكرة، كانت أقل وأظهر محدودية في آثارها السلبية وتأثيراتها النفسية التي تنعكس على حياته، وتظهر فيما بعد على سلوكياته وأقواله، وكان هو من وجه آخر أقدر على التكيف معها والتصالح مع آثارها السيئة!!

ومن هنا يمكننا أن نزعم من خلال ما وصل إلينا من أخبار أبي العلاء وأشعاره المبكرة أنه عاش تلك المرحلة الطويلة الأولى من حياته خالياً من آثار العقد النفسية التي يمكن أن تنجم عن عاهة العمى في العادة خاصة إذا كانت متأخرة، ولم يكد يظهر شيء من آثارها على سلوكياته الاجتماعية؛ حتى إذا كانت رحلته إلى بغداد حول سنة ٣٩٨[٩] وما وقع له فيها من أحداث في مجلس الشريفين الرضي والمرتضى[١٠] وفي مجلس المرتضى إثر تعصبه الشديد على المتنبي[١١]، وعندما رغب في لقاء علي بن عيسى الربعي أحد علماء النحو آنذاك[١٢] وعندما جاءته رسالة أمه تنقل إليه خبر مرضها ورغبتها في رؤيته قبل موتها[١٣]، وما انطوت عليه تلك الرحلة البغدادية من مثيرات[١٤]، ألفى نفسه على مفترق طريقين متباينين: طريق التكيف والاختلاط والمشاركة والاندماج في المجتمع استمرارا لحياته الراهنة وتواصلا معها، وطريق العزلة والانقضاب والتفرد والوحدة.. ولم يطل الوقوف عند هذا المفترق، ولم يتردد طويلا في اختيار إحداهما حيث عجلت أحداث الرحلة البغدادية المتلاحقة برحيله عن مجتمعها الصاخب، وقوّت عزمه على تنفيذ أشر محابسه حيث فرض على نفسه الإقامة الجبرية في بيته في المعرة وحبسها حبسا انفراديا صارما لو أمكنه ذلك على نحو ما سنرى[١٥].

**** المعري في داخله انسان ودود ينزع إلى خير الآخرين**

**** نفسية المتنبي النزاعة الى الكبرياء والتعالي وحب الذات لم يتلبسها المعري طويلا**

**** في مرحلة عزلته ظهرت في المعري آثار الفلسفة التشاؤمية، وهي من اسقاطات نفسية المتنبي عليه**

ومن هنا نستطيع أن نعتبر رحلة بغداد هي المفجرة لكل العقد المتراكمة المخزونة في أغوار نفسية أبي العلاء الموروثة منذ طفولته المبكرة عندما إيف بهذه الآفة القاسية، وقد بعثت في هذه الآونة لتشكل حياته المقبلة في إطارها الجديد الذي فرضه عليها. وقد كان لما أوتيه من قوة الإرادة وصدق العزيمة أثر بالغ في تحقيق هذا الأمر وتنفيذه، وإن لم يقدر على تنفيذه بالصورة التي كان يسعى إليها ويتصورها عند اتخاذ القرار، فإذا كان قد نجح في عزل نفسه في كسر بيته بالمعرة، ومنعها من الاختلاط بالمجتمع، ورفض الخروج منه حتى في حالات الجفله من الروم، فإنه عجز عن منع الناس - أو بلفظ أدق - طلاب العلم الذين كانوا يفدون عليه أفواجا من شتى الأمصار من تقحّم محبسه وإفساد عزلته!.

بيد أن هذه المحابس الثلاثة التي عددها شيخ المعرة على أهميتها، لم تكن في نظرنا كل المحابس التي حبس نفسه فيها، وإنما يمكننا أن نتحسس في تراثه الأدبي معالم سجن آخر، وربما استطاع غيرنا أن يضيف إليها شيئا آخر، كما يمكن لآخرين أن يخرجوه من بعضها أو من جميعها، ويعيدوا إليه حريته السليبة، وتوازنه النفسي المفقود، وتكيفه الاجتماعي الضائع!! ومن هنا فإننا نرى أن أبا العلاء كان يقيم من حوله سجنا رابعا فيما وراء سجونه الثلاثة التي أعلنها لا يقل أثرا عنها؛ وهو محبس اختياري ينتمي إلى محبسه الثالث/ العزلة، وهذا المحبس هو «نفسية المتنبي» وما تمخض عنها من فكر وفلسفة وشعور!!

وعلى الرغم من أن المعري لم يكتشف هذا السجن، أو لم يكشف، ولم يحاول كشف النقاب عنه في البيان أو المنشور الآنف الذكر الذي عدد فيه محابسه، فإنه يمتد إلى البدايات المبكرة في حياته ونفسيته وشاعريته منذ أن أخذ يتلقى شعر المتنبي عن راويته محمد بن عبد

الله بن سعد[١٧]، وتأثره بالبيئة الحلبية التي كانت ما تزال تعج بشهرة المتنبي الذي لم يمض على رحيله عن الدنيا مأسوفا على شاعريته أكثر من خمس عشرة سنة. وقد استطاعت نفسية المتنبي المتمردة التي صبغت شعره طبع بصماتها القوية العنيفة على نفسية الطفل أبي العلاء، فتشبعت بها تشبعا بالغا، وانعكست آثارها على شعره وفكره ونفسيته في مرحلتي الاختلاط والعزلة.

وإذا حاولنا البحث في شعره عن تلك الآثار التي خلفها هذا السجن، فإننا نجدها تتخذ مسارين متمايزين: مسار «سقط الزند» ومسار «اللزوميات» وإذا أردنا أن نتبين أبعاد هذا المحبس في نفسية أبي العلاء في إطار سقط الزند، فإننا نجدها تتمثل في مظهرين: أحدهما فني والآخر نفسي. أما الفني فهو ما تساقط في ديوانه من أفكار المتنبي ومعانيه التي تقرّاها أبو العلاء وأفاد منها واتكأ عليها في جوانب شعره المتعددة؛ وقد فطن الى هذه الظاهرة بعض شراح «السقط» خاصة ابن السيد البطليوسي الذي عُني بابراز المعاني والأفكار التي استعارها أبو العلاء من المتنبي[١٧]، كما كانت هذه الظاهرة موضوعا لأطروحة جامعية[١٨]. على أن هذا الجانب لا يعنينا هنا بقدر ما يعنينا الجانب الآخر وهو المظهر النفسي الذي امتد مع أبي العلاء على مدى حياته في مرحلتي الاختلاط والعزلة؛ ففي مرحلة الاختلاط كان ذلك المظهر النفسي يتجسد في التأثير البالغ الذي خلفته نفسية المتنبي في نفسية - أبي العلاء - من خلال الإحساس الغامر بمكانته وتفوقه وتميزه وتفرده، وهي التي كانت الشنشنة التي نعرفها من أخزم «المتنبي» عبر مسيرته الشعرية على طول حياته ومن لدن طفولته الأولى أو صباه الباكر منذ أن كان يتلقى دروسه الأولى في المكتب الشيعي أو المدرسة العلوية، عندما رد على بعض أترابه وقد استحسن وفرته فقال[١٩]:

لا تحسُن الوفرة حتى تُرى
منشورة الضَّفرين يوم القتال
على فتى معتقل صعدة
يعلّها من كل وافي السبال

وتتالت - متنوعة - في مختلف مراحل حياته مخلّفة مثل قوله[١٠]:

أفكّر في معاقرة المنايا
وقود الخيل مشرفة الهوادى
زعيم للقنا الخطي عزمي
بسفك دم الحواضر والبوادى

ومثل قوله[٢١]:

وإن عُمرت جعلت الحرب والدة
والسمهري أخا والمشرفيُّ أبا
بكلّ أشعث يلقى الموت مبتسما
حتى كأن له في قتله أربا

وقوله[٢٢]:

عش عزيزا أو مت وأنت كريم
بين طعن القنا وخفق البنود
واطلب العزّ في لظى وذر الذل
ولو كان في جنان الخلود

ومثل قوله في رثاء جدته[٢٣]:

ولو لم تكوني بنت أكرم والد
لكان أباك الضخم كونُك لي أما
تغرب لا مستعظما غير نفسه
ولا قابلا إلا لخالقه حكما
يقولون لي: ما أنت في كل موطن
وما تبتغي؟! ما أبتغي جلّ أن يُسمى

ولا يغيب عنا البيت الذي كان فيما يقال سببا في قتله عندما لاح له خاطر الفرار من وجوه أعدائه عندما أيقن بالهزيمة لعدم التكافؤ مع الأعداء وما قد يتمخض عنه من قتله؛ وقد أدرك هذه الخواطر أحد غلمانه عندما رآه يلوي عنان فرسه غير متحرّف لقتال ولا متحيز إلى فئة، فانبرى يذكره بقوله المشهور الذي طبق الآفاق[٢٤]:

الخيل والليل والبيداء تعرفني
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فقد تركت هذه النفسية الثائرة المتمردة آثارها في نفسية أبي العلاء، أو قُل في شاعريته في سقط الزند، لأننا نظن ظنا بعيدا أن هذه الآثار لم تتجاوز شعر المعرى إلى نفسيته، بل إننا نعتقد أن ثمة حاجزا صفيقا كان يحول بينها وبين نفسيته، وأنه كان يقولها - متأثرا بنفسية المتنبي - من وراء نفسيته وأحاسيسه

** (نفسية المتنبي) كانت هي السجن الرابع الذي تقمصه المعري بطوعه واختياره

** رحلة بغداد كانت هي المفجرة لكل العقد المتراكمة المخزونة في أغوار نفسية المعري منذ طفولته المبكرة

ومشاعره الإنسانية التي فُطر عليها، ذلك أنه لم يكن ممن يطلبون الدنيا لذات الغايات التي جسدتها نفسية المتنبي، ونجدها عند أضرابه من الطامحين والباحثين عن المجد والسلطان!! ومن هنا فقد تكون عاهته المبكرة قد تحوّلت أو انحرفت به عن الاتجاه الإيجابي كما تمثله حياة المتنبي الى الاتجاه السلبي الذي مثله شعره، وقد جسد المعرى عبر هذا الاتجاه السالب أبعاده النفسية التي استقاها من نفسية المتنبي التي حبس نفسه في إطارها القشيب الفخم على نحو ما نجد في مثل قوله في إحدى فخرياته[٢٥]:

ورائي أمــــام والأمـــــام وراء
إذا أنا لم تُكبـــرني الكبـــراء
بأي لســـان ذامني مـــتجــاهل
عليّ وخـــــفق الريح فيّ ثناء
ومـذ قـال إن ابن اللئيمـة شاعـر
نوو الجـهل مـات الشعر والشعـراء
أتمشي القـوافي تحت غيـر لوائنا
ونحن على قُـــوّالهـــا أمــراء
وأي عــظـيـم راب أهـل بـلادنـا
فـإنا على تغـيـيـره قُـدراء
ومــا سلبـتنا العـزّ قطُّ قـبيلة
ولا بات منا فـــيــهم أســراء

ثم اقرأ هذه الأنفاس الفخرية الشامخة من لاميته المشهورة[٢٦]:

ألا في سبل المجـد مــا أنا فـاعل
عـــفـــاف وإقـدام وحـزم ونائل
تُعـدّ ذنوبي عند قـوم كـثـيـرة
ولا ذنب لي إلا العلى والفـــواضل
وقد سار ذكري في البلاد ومن لهم
بإخـفـاء شـمس ضـوؤها مـتكامل
يُهمُّ الليـالي بعض مـا أنا مُـضْمـر
ويثـقل رَضْـوى دون مـا أنا حـامل
وإني وإن كنت الأخــيـــر زمـــانُه
لآت بما لـم تسـتطعــه الأوائل
ولي منطق لم يرض لي كُنْه منزلي
على أنني بين السِـــماكين نازل
لدى مـوطن يشـتـاقـه كلُّ سـيـد
ويقـــصـــر عن إدراكـــه المتناول
ينافس يومي فيّ أمــسي تشـرفـاً
وتحـسـد أسـحـاري عليّ الأصـائل

وغير ذلك مما نجده ماثلا في نماذجه الفخرية في السقط[٢٧].

وغنيّ عن البيان أن الفخر الذي يتجسد في هذه النماذج هو تعبير غير صادق عن نفسية المعرى التي ترفض الاستعلاء والكبر، وتؤمن بالتواضع والإخاء والمحبة، ولذا فإن هذه النغمات الفخرية ليست أكثر من ظلال كثيفة لنفسية المتنبي الطامحة المتمردة انسحبت على شاعرية المعري، ووقفت عند السطح دون أن تجاوزها إلى أعماق نفسيته، وإنما كان يترنم بها بين الحين والآخر على سبيل المران والدربة، أو كما يقول «على معنى الرياضة وامتحان السوس»[٢٨].

بيد أن أبا العلاء لم يمض إلى نهاية الشوط لاهثا في أعقاب هذه النغمات الحادة الصاخبة، وإنما نراه يرتد ارتدادا بالغا الى نزعته الإنسانية لتتجسد في مثل قوله من إحدى فخرياته[٢٩]:

ولو أنّي حُـــبـيـت الخلدَ فــردا
لما أحـــبـــبـت بالخلد انفـــرادا
فـــــلا هطلت عليّ ولا بـأرضي
ســحـــائب ليس تنتظم البــلادا

خلافا للنزعة الذاتية المفرطة عند المتنبي، وعند أبي فراس في قوله المشهور[٣٠]:

مـــعللتي بالوصل والموتُ دونه
إذا متّ ظمـــآنا فـــلا نزل القطر

وإن كنا نجد أمشاجا من هذه النغمات الصاخبة الشاذة تتساقط على استحياء في مثل قوله من قصيدته الفخرية السابقة:

إذا أوطأتها قدمي سهيل
فلا سُقيت خناصرةُ العهادا

وليته لم يتردّ في حبالة نفسية المتنبي وأبي فراس ليظل أسير نزعته الإنسانية الرفيعة!!

بيد أن هذا التبجح العجيب، والصراخ الحاد، والتعالي البالغ الذي يحتقر كل عبقريات البشر، ولا يقيم لأحد منهم وزنا في بيته المشهور:

وإني وإن كنت الأخير زمانه
لآت بما لم تستطعه الأوائل

يضمحل في نفسية أبي العلاء ليصبح لا «شيء» عندما ينغمر في خضمّ التواضع، وتدوي نغماته العذبة الشجية في أعماق نفسه لتجعل منه فردا أقل من سائر الناس شأنا وعلما وأدبا ودينا، حتى ليُخيّل للقارىء أنه يتسلل لواذا ليغرق في ظلام النسيان فلا يخطر على قلب أحد، ولا يمر في وهم إنسان[٣١].

وإذا تحولنا إلى مرحلة العزلة ألفينا نفسية المتنبي تبذر آثارها الفكرية الفاقعة في نفسية أبي العلاء لتشكل جانبا مهما من فلسفته التشاؤمية في الحياة والدنيا والأحياء خصوصا ذم الدنيا الذي شرع المتنبي له أبوابه على مصاريعها عبر قوله من مرثاته لأخت سيف الدولة الصغرى[٣٢]:

ولذيذ الحياة أنفسُ في النفـ
ـس وأشهى من أن يملّ وأحلى
وإذا الشيخ قال أف فما ملـ
ـل حياة وإنما الضعف ملا
آلة العيش صحة وشباب
فإذا ولّيا عن المرء ولّى
أبدا تسترد ما تهب الدنـ
ـيا فيا ليت جودها كان بخلا
وهي معشوقة على الغدر لا تحـ
ـفظ عهدا ولا تتمّم وصلا
شيمُ الغانيات فيها فما أد
ري لذا أنث اسمها الناسُ أم لا؟!

وقد تناثرت هذه النغمات الفكرية الحادة في ديوان المتنبي، وتغلغلت في أغوار نفسية أبي العلاء وانتشرت في لزومياته خاصة وبعض مراثي السقط لتشكل فلسفته المتميزة في الدنيا والأحياء على نحو ما نجد في قوله من مرثاته لأبيه في مرحلة مبكرة في حياته[٣٣]:

على أم دفر غضبة الله إنها
لأجدر أنثى أن تخون وأن تخني

وقوله من إحدى لزومياته[٣٤]:

يسيء امرؤ منا فيبغض دائما
ودنياك ما زالت تسيء وتومق
أسرّ هواها الشيخ والكهل والفتى
بجهل، فمن كل النواظر ترمق
وما هي أهل أن يؤمل مثلها
لود، ولكن ابن آدم أحمق

ويقول في لزومية أخرى[٣٥]:

نحن البرية أمسى كلّنا دنفا
بحبّ دنياه حبا فوق ما يجب

وقوله [٣٦]:

ومن العجائب أن كلا راغب
في أم دفر وهو في عيّابها

وقوله [٣٧]:

ولا ترى الدهر إلا من يهيم بها
طبعا ولكنه باللفظ قاليها

وهذا ما دفعه إلى تجسيم حب الدنيا في نفوس الناس في هذه الصورة الطريفة البالغة حيث يقول:

لو أن عشقك للدنيا له شبح
أبديته لملأت السهل والجبلا[٣٨]

وأبو العلاء في كل هذه الآراء لا يحاول أن يستثني نفسه برغم ما عرف عنه من زهادة في الدنيا وإعراض عنها وانصراف عن متاعها فيقول[٣٩]:

وحبي للدنيا كحبّك خالص
وفي عُنُقينا من هوى جعلت ربقا

وقوله [٤٠]:

أحبك أيها الدنيا كغيري
وأشراني قلاك ولست أشري
ونهوى العيش فيك مع الرزايا
وما طوّلت من خمس وعشر

ووراء هذه النماذج المختارة نماذج أخرى أعرضنا عن سردها خشية الإطالة ودفعا للإملال، واكتفاء بما ذكرنا.

ومثل هذه الآراء ليست في الحقيقة أكثر من أصداء نفسية المتنبي أخذت تتردد في فضاء نفس المعري، وتعكس عليها آثارها القائمة لتشكل السجن الرابع الذي تقحمه أبو العلاء بكامل إرادته، وملء رغبته واختياره لينضاف إلى سجونه الثلاثة العريقة، وليكون من أقواها وأبعدها أثرا في نفسيته وتفكيره وشعره!!

الحواشي والتعليقات:

(١) اللزوميات ١٨٨/١ التجارية، ط/٢، يذكر بعض مؤرخي أبي العلاء أنه لما رجع من بغداد لزم بيته وسمى نفسه «رهين المحبسين» يعني حبس نفسه في بيته، وحبس بصره بالعمى. (تعريف القدماء بأبي العلاء ٢٦٧: الوافي بالوفيات للصفدي، ٣٣٣: بغية الوعاة للسيوطي ٣٥٦: نزهة الجليس للعباس المكي)، وهو هنا يضيف إليهما سجنا ثالثا وهو حبس روحه في جسده أي الحياة التي كتبت عليه.

(٢) اللزوميات ٣١٥/١.

(٣) نفسه ٤٠٤/١.

(٤) ديوان بشار ٢٤٦/١ نشره محمد الطاهر بن عاشور ط/ اللجنة، أغاني الدار ٢٢٧/٣ وقارن اختلاف الروايات.

(٥) التعريف/ الفهرس ٦٠٧.

(٦) رسائل أبي العلاء/ ٨ ص ٣٤، ط المثني أكسفورد/ نشره مرجليوث ١٨٩٨.

(٧) شروح سقط الزند ٤/ ١٨٨١، دار الكتب والدار القومية.

(٨) يقول في «الفصول والغايات» وهو أول كتاب صنفه بعد العزلة: «ما اعتزلت إلا بعد ما جددت وهزلت» ٢٩٧، تحقيق: محمود حسن زناتي، ط/ حجازي/ القاهرة ط/١. وهذا ما أشار إليه بعض مؤرخيه عندما وصفه قائلا: «لقيت بمعرة النعمان عجبا من العجب: رأيت أعمى شاعرا لطيفا يلعب بالشطرنج والنرد، ويدخل في كل فن من الجد والهزل، يكنى أبا العلاء (التعريف ٣: تتمة اليتيمة للثعالبي).

(٩) انظر: الجندي: الجامع في أخبار أبي العلاء وآثاره ٢٧٧/١، دمشق ١٣٨٢ ـ ١٩٦٢.

(١٠) يذكر نفر من مؤرخي أبي العلاء أن يوم وصوله بغداد صادف وفاة والد الشريفين الرضي والمرتضى فدخل لتعزيتهما، فتخطى بعض الناس فعثر به فقال له: من هذا الكلب؟ أو إلى أين يا كلب؟ فقال أبو العلاء: الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسما. وظلت هذه الحادثة تفعل فعلها في نفس السيوطي فمضى يتتبع أسماء الكلب ونعوته في كتب اللغة حتى تجمع له منها قدر كبير ثم نظمها في أرجوزة عنوانها «التبري من معرة المعرى»، (التعريف ١٧، ٢٢٣، ٤٢٩، ٥٤٣).

(١١) كان أبو العلاء يتعصب للمتنبي ويفضله على سائر الشعراء المحدثين، وكان المرتضى يتعصب عليه ويبغضه؛ فجرى يوما بحضرته ذكر المتنبي فتنقصه المرتضى وجعل يتتبع عيوبه، فقال المعري: لو لم يكن للمتنبي من الشعر إلا قصيدته (لك يا منازل في القلوب منازل) لكفاه فضلا. فغضب المرتضى وأمر فسحب برجله وأخرج من المجلس وقال لمن بحضرته: أتدرون أي شيء أراد الأعمى بذكر هذه القصيدة فإن للمتنبي ما هو أجود منها؟ فقيل: السيد النقيب أعرف. فقال أراد قوله فيها:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص
فهي الشهادة لي بأني كامل

(التعريف ٧٦، ٢٠٦، ٢٢٤) ويبدو أن تعصب المعرى للمتنبي أثار عليه أديبا آخر هو ابن الأثير صاحب المثل السائر الذي رفض مزعمه باستواء شعره وكماله حتى قال عنه: «كان أبو العلاء أعمى العين خلقة وأعماها عصبية، فاجتمع له العمى من جهتين» (التعريف ٣٩٤، ٣٩).

(١٢) كان من خبر أبي العلاء مع الربعي ببغداد أنه رغب في زيارته، فلما استأذن سمعه يقول: ليدخل الاصطبل، وهي الأعمى بلغة أهل الشام. فخرج مغضبا ولم يعد إليه (التعريف ١٦، ٧٥) ويذكر ياقوت في سياق الخبر أن دخول أبي العلاء على الربعي ليقرأ عليه. وهي عبارة غامضة ينبغي ألا تحمل على أخذ العلم عنه لأنه كان قد حصل من العلم أضعاف ما عند الربعي وغيره منذ عشرين سنة حيث يقول: «ومنذ فارقت العشرين من العمر

ما حدثت نفسي باجتداء علم من عراقي أو شام (رسائله ٣٢) وإذن فزيارته للربعي إنما كانت تتسم بالندية العلمية على أبعد تقدير استجابة لمقاصده من زيارة بغداد التي أعلنها في قوله: «وأحلف ما سافرت أستكثر من النشب، ولا أتكثر بلقاء الرجال، ولكني آثرت الإقامة بدار العلم، فشاهدت أنفس مكان لم يسعف الزمن بإقامتي فيه» (رسائله ٣٤).

(١٣) وفي ذلك يقول:

أثارني عنكم أمران: والدة
لم ألقها، وثراء عاد سفوتا
لولا رجاء لقائيها لما تبعت
عنسي دليلا كسرّ الغمد إصليتا

شروط سقط الزند ١٦٣٤/٤ . وانظر: بنت الشاطئ: أبو العلاء المعرى ١٢٩ وما بعدها.

(١٤) هناك من مؤرخي أبي العلاء من يحدد سبب خروجه من بغداد مؤكدا أنه خرج منها طريدا منهزما لأنه سأل سؤالا يدل على قلة دينه وعلمه وعقله فقال:

تناقص ما لنا إلا السكوت له
وأن نعوذ بمولانا من النار
يد بخمس مئين عسجد وديت
ما بالها قطعت في ربع دينار

(التعريف ٣٠١: البداية والنهاية لابن كثير، حوادث سنة ٤٤٩) وتابعه العيني صاحب عقد الجمان: التعريف ٣٢٠). مع أن البيتين لزومية من ديوان «اللزوميات» الذي بدأ في نظمه بعد عودته من بغداد ولزوم بيته (انظر: اللزوميات ٣٩١/١)، زجر النابح للمعرى ١١٢، تحقيق د/ أمجد الطرابلسي، دمشق، الجامع ٢٥٢/١ وما بعدها.

(١٥) بلغت هذه العزلة عند أبي العلاء حدا بعيدا حتى وجدناه في رسالته لأهل المعرة يؤكد عزمه على البقاء في منزله وعدم الخروج منه كائنة ما تكون الظروف فيقول: «وثبات في البلد إن جال أهله من خوف الروم» (رسائله ٣٤)، وهذا الأمر هو الذي دفعه الى تفصيل القول في جفلة الناس في منطقة حلب في عهد عزيز الدولة أبي

**** المعري لم يكن يطلب الدنيا لذات الغايات التي جدتها نفسية المتنبي**

**** النفحات الفخرية في شعر المعري ما هي إلا ظلال كثيفة لنفسية المتنبي**

شجاع فاتك الرومي مولى منجوتكين والى حلب من قبل الفاطميين، عندما تناهى إلى أسماعهم عزم امبراطور الروم على غزو حلب، ووصف مشاهد الجافلين وأحوالهم وما لقوا من عناء وشقاء دفعهم الى أن يقرروا عدم الخروج من بلدهم لمواجهة الروم. (أنظر رسالة الصاهل والشاحج ٤٢٥ ـ ٦٤٠ تحقيق بنت الشاطئ، ط/ دار المعارف ١٩٧٥).

(١٦) التعريف ٥١٥: الأصناف والتحري لابن العديم).

(١٧) انظر مقدمة سقط الزند.

(١٨) عنوانها «أثر المتنبي في أبي العلاء في سقط الزند» للكاتب كلية الأدب جامعة القاهرة ١٩٦٨.

(١٩) ديوان المتنبي/ عزام ص ٠٦

(٢٠) نفسه/ ٠٧٨.

(٢١) نفسه/ ٠٩١.

(٢٢) نفسه/ ٠١٥.

(٢٣) نفسه/ ١٦١ ـ ١٦٢.

(٢٤) نفسه/ ٣٢٤.

(٢٥) شروح سقط الزند جـ ١/ ق ١٠.

(٢٦) نفسه/ ق ١٦.

(٢٧) نفسه قصائد ١٢، ١٧، ٢٠، ٣٦.

(٢٨) شروح سقط الزند: مقدمة الديوان.

(٢٩) نفسه ٧٥/١.

(٣٠) ديوان أبي فراس الحمداني ١١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣١) الجامع ١/ ٣٥٠ وما بعدها.

(٣٢) ديوان المتنبي ٤٠٠.

(٣٣) شروح سقط الزند ق/ ٤١.

(٣٤) اللزوميات ٢/ ١٣٥.

(٣٥) نفسه ١/ ٧٥.

(٣٦) نفسه ١/ ١٣٥.

(٣٧) نفسه ٢/ ٤٤١.

(٣٨) نفسه ٢/ ٢٠٠.

(٣٩) نفسه ٢/ ١٣٢.

(٤٠) نفسه ١/ ٣٩٩.

البارودي الشاعر الرائد

يحتل محمود سامي البارودي في تاريخ الشعر العربي مركز الريادة من حيث الخروج على متابعة الروح التقليدية واتخاذ القصيدة القديمة نموذجا يتحرى الشاعر النسج على منواله.

وقد كان الطبيعي والمنطقي أن تظل القصيدة على هذا النموذج، فشاعر واحد لا يستطيع أن يحول شعر أمة من حال إلى حال، أو أن يغير ذوق أجيال من الناس تربت على نوعية من الشعر استقرت في نفوسها ونفوس آبائها وأجدادها مئات من السنين، ولذلك كان أغلب شعره يحمل صورا من حياة البداوة الصحراوية كما كانت الحال في شعر من سبقوه ومن عاصروه، وإن كان البارودى لم يرجع إلا الى النماذج الشعرية القوية التى عارض بعضها.

من هنا كانت بعض الرواسب التقليدية المنحدرة عبر أجيال ركائز من ركائزه الشعرية.

سار البارودي إذن على الدرب القديم محافظا على عمود الشعر كما وصفه العرب القدامى، وهو اتجاه لا يد له فيه، وما أظن شاعرا آخر يكون في مكان البارودي من نفس البيئة والعصر، ويعيش المؤثرات نفسها ولا يتابع الطريق الشعرى الذى مشى فيه البارودى. كان الشعراء يعيشون في شعرهم فوق وهاد نجد، ويذكرون شجر الغضى، وهم لم يروا نجدا ولا شجر الغضى، وكانت القناعة أن ما أتى به الأجداد هو المثل الأعلى، وأن ما خلفته الأجيال هو قمة البلاغة فتشكل ذوق الناس حسب مواصفات الشعر القديم، والبارودي يقترب من عصره في بعض شعره الذى تنكب فيه متابعة الدرب القديم، هذا الشعر الذى جعله رائدا بمعايشته لبيئته والترجمة عنها حين تحرر من القيود الشعرية التى ربطته بالنموذج الشعرى القديم.. من هنا كان اعطاؤه الحق لنا في أن نقول عنه انه من أوائل من حققوا معايشة النفس والبيئة إن لم يكن أولهم.

ولعلنا نرى بعض مظاهر التقليد في شعره حين يذكر أماكن في الجزيرة العربية لم يرها رؤية العين، من ذلك قوله:

يا سعد قل لي فأنت أدرى
متى رعان العقيق تبدو
أشتاق نجدا وساكنيه
وأين منى الغداة نجد

أو حين يقول:

أين ليالينا بوادى الغضى
ذلك عهد ليته ما انقضى

وهو يستعير المعنى من بعض الشعر القديم، ويستخدم التشبيه الصحراوى المتكىء على حياة الرعي، والرحلة، والقتال، بل هو يتابع الشعراء في فخرهم الفردى كما ألفناه في شعرنا القديم:

ومن تكن العلياء همة نفسه
فكل الذى يلقاه فيها محبب
إذا أنا لم أعط المكارم حقها
فلا عزنى خال ولا ضمنى أب
خُلقت عيوفا لا أرى لابن حرة
علىّ يداً أغضى لها حين يغضب

فهو يتابع الشعراء القدامى في التمسك بأخلاق الفروسية ومفاهيمها الأخلاقية الشيء الذى أقلع عنه الشعراء العرب المحدثون، فقد تبدلت المفاهيم، والقيم، وأصبح الفخر الفردى موضع سخرية.



بقلم : د. كمال نشأت
- مصر -

ولكن هذه النقلة في الحياة وفي الذوق لم تتم إلا بعد سنين طويلة، وتحت تأثير الاتصال بالعالم الغربى والأخذ بأسباب رقيه في العلم والثقافة والحضارة، وميزة البارودى هى أنه أرجع للشعر متانة الصياغة القوية التى تجعلك تحس أن قصيدته من الممكن أن تنسب الى شاعر من فحول الشعراء القدامى، ذلك ان الركاكة والعجمة كانتا من خصائص الفترة التى عاش فيها والميزة الأخرى الأهم هى أنه عاش بيئته وعصره فكان أن أحس بكيانه فردا في عصر غير عصور الشعراء القدامى، وأنه يعيش بيئة لا تمت الى حياة الصحراء بصلة، قال، واصفا حى (روضة المنيل) في القاهرة متشوقا:

ليت شعرى متى أرى روضة
المنيل ذات النخيل والأعناب.
حيث تجرى السفين مستبقات
فوق نهر من اللجين المذاب
قد أحاطت بشاطئيه قصور
مشرقات يلحن مثل القباب
ملعب تسرح النواظر فيه
بين أفنان جنة وشعاب
كلما شافه النسيمُ ثراه
عاد منه بنفحة كالملاب
ذاك مرعى أنسي وملعبُ لَهْوي
وجنى صبوتى.. ومغنى صحابي

وقيمة البارودى بالنسبة إلى عصره ترجع الى أنه كتب الشعر بنفس المتانة التى كتبه بها الشعراء الفحول القدامى، وهو بمعارضاته لهم رد الثقة الى نفوس معاصريه من أن شاعراً حديثا يستطيع مجاراة الأقدمين، وهى خطوة نحو الاحساس بالشخصية لابد منها للتحرر من أثر الأدب القديم والاحساس بالعجز أمامه، هذا فضلا عن ظهور شخصيته الفنية فيما رسمه من مناظر مصرية صميمة، وذلك حينما تحدث عن مصر، ونيلها، ومزارعها، وآثارها.

فضلا عما تناوله من أحداث الثورة العرابية التى



محمود سامي البارودي

كان واحدا من زعمائها. ولعل وصفه للآثار المصرية أحدث ما تناوله الشعر في عهده، واتجاه البارودى هذه الوجهة تطوير للشعر، وتخليص له من العموميات، ورجوع به الى بيئاته الاقليمية، التى يقال فيها حتى يحمل روح هذه الأقاليم وخصائصها.

فقد ضيع النموذج العربى القديم الذى وضعه الشعراء أمامهم روح الاستقلال، وقضى على المعايشة للبيئة والعصر، فتشابهت قصائد الشعراء، وانتفت الشخصية الخاصة بالشاعر، فكنت لا تفرق بين قصيدة شامية وقصيدة مصرية وقصيدة مغربية، فالشعراء قد فقدوا روح الاستقلال، فعاشوا بأرواحهم في ربى نجد مارين بوادى العقيق وجبل رضوى، وتحدثوا عن كاظمة ووصفوا رحلة الابل وثغاء الشياه والنياق، واستعملوا الرماح والسيوف، حتى المعشوقات لم يذكروهن بأسمائهن فكن هند ودعد وليلى، والشعر إذا مسه التقليد، وفقد روح الصدق، ومعايشة الواقع، أصبح لغوا وثرثرة، من هنا كان مؤرخو الأدب وناقدوه يعرفون للبارودى فضله رائدا من رواد التجديد الرفيق، وهو فضل شخصى لم يكن نتيجة تطور عام مس الحياة، ولو كان كذلك لوقف إلى جوار البارودى شعراء آخرون، فتقدم البيئة ينعكس على الجميع، ولكنها بادرة الفنان صاحب النفس الصادقة والموهبة الكبيرة، ولقد صدق الناقد الذى قال عنه: (إن فضل البارودى على عصره أكبر من الفضل الذى لعصره عليه).

سَرْيَةُ الهوى إلى ت

أهدي هذه القصيدة، تحية لمدينة تبوك التي تلطف بدعوتي لزيارتها:

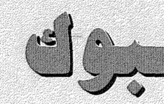
أولا: حضرة صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن سلطان بن عبد العزيز، أمير منطقة تبوك، بمناسبة الاحتفال السنوي بتقديم «جائزة تبوك للتفوق العلمي» لعام ١٤١٨هـ. الذي أقيم يوم الثلاثاء الموافق ١٤١٩/١/٢هـ.

ثانيا: سعادة الأديب الجليل الأستاذ محمد بن عمر عرفة، رئيس نادي تبوك الأدبي، للأشتراك في أمسية شعرية أقيمت في النادي مساء يوم الأثنين الموافق ١٤١٩/١/١هـ.

وتبوك .. المدينة السعودية الشمالية الرقيقة المزدهرة، كنت قد أمضيتُ فيها بعضاً من سني طفولتي وصباي بعد أن قدمت إليها رفقة والدي رحمه الله.. الذي جاءها قاضياً من المدينة المنورة.

وهي بكرام أهلها وخصب ثراها وباسق نخلها وعين سكرها التاريخية، لا تنسى مهما طال الزمن أو قصر.







شعر :

د. بهاء بن حسين عزِّي - جدة

يا فؤادي أرحنيْ .. قد جئت داراً

طالما اشتقت أهلها وثراها[١]

قُمت تسري سرى المُعنَّى بحُب

دام خمسين حجَّة ما سلاها

فهي سحرٌ ، وإن تطاول عهدٌ،

ظلَّ فينا يشدُّنا لهواها

يا لحسناء كُلَّما شاب جيلٌ

شبَّ فيها جمالُها وبهاها

ولعمري، فإن هرمتُ بجسم

أنت مازلت بالشباب كُفاها[٢]

فترنَّم لها ترنُّم طير

جاء للسكر وانتشى من رواها[٣]

واعتلى الأيك حولها يتغني

وتغنَّى وخلُّهُ يتلاهى[٤]

* * *

يا فُؤادي أراك هيمان أرض

لي فيها رُبُوعُها وحماها[٥]

لي فيها طفُولة وصباء

ولداتٌ بهم زماني تاها[٦]

لي فيها حدائقٌ وسواق

وعُيونٌ نميرُها لا يُضاهى

ونخيلٌ جنيتُ منها سنيناً

طال شوقي إلى لذيذ جناها

كنتُ والصَّحبُ حولها نتحرّاً

ها لزَهْو ومن رآه ارتقاها

ولعمري فكم تماديتُ شرقاً

ثُمَّ غرباً وما طعمتُ حلاها

باسقاتٌ، فليتهُنَّ تريَّثـ

ـن لصب درى عُلُوَّ ذُراها[٧]

* * *

وإذا الصَّبُّ عاد بالشَّوق يهفُو

لحبيب ترى الهوى يتباهى

وإذا الرَّبُّ شاء عودة بر

لرؤوم فمَنْ سيُرجي لقاها

جدة - ١٤١٨/١٢/٢٤هـ الموافق ١٩٩٨/٤/٢١م.

الهوامش:

(١) داراً: المقصود بذلك مدينة تبوك.

(٢) الكُفَى: الكُفُو أو الكفؤ وهو المثْل والنظير.

(٣) السكر: عَيْنُ السكر التاريخية التي جَفَّ ماؤها.

(٤) الأيك: الشجر الكثير الملتفُّ، وكان كثيراً في تبوك خاصة حول عين السكر.

(٥) الهيمان: المحبُّ الشديد الحب.

(٦) الصَّباء: الصغرُ والحداثة. اللدات: الرفاق، خاصة في عهد الصباء.

(٧) باسقات: طويلات.. وكانت النخيل الباسقة كثيرة في تبوك.

زيد بن حارثة

ت ٨ هـ

اسمه زيد بن حارثة بن شرحبيل من قضاعة، وأمُّه من طيء أصابها سباء في الجاهلية، لأنها خرجت لزيارة قومها بنى معن، وبينما هي تتهيأ اللقاء بفرح، أغارت عليهم خيل بنى القين بن جسر مع ابنها زيد، وقد قدموا بابنها زيد الى عكاظ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة، وكان أن وهبته السيدة خديجة للنبى {صلى الله عليه وسلم}[١].

والملاحظ أن له أكثر من خصيصة في الإسلام، فقد اختار العبودية في القرب من الرسول على الحرية مع أهله، فقد عرضه المختطفون في أكثر من مكان للبيع، ويقال إنه في إحدى المرات رآه الرسول موقوفا للبيع في البطحاء، وكان غلاماً صغيراً ذا ذؤابة، فقص رؤيته على السيدة خديجة، فقالت: كم ثمنه؟ فقال: سبع مائة، فقالت عليك بشرائه، وحين حضر زيد، قال: أما إنه لوكان لى لأعتقته، فقالت: هو لك فأعتقه[٢]، ولقد كان أول فتى أسلم وصلى بعد على بن أبى طالب[٣]، وبينما هو يعيش في هذا المناخ الطاهر، نرى أن أباه كان يتفطر قلبه عليه، ويحاول التعرف على أى مكان يكون فيه، ويقول في ذلك شعراً حزيناً تواتر في هذه الفترة، يقول:

بكيتُ على زيد، ولم أدر ما فعل
أحيٌ فيرجى.. أم أتى دونه الأجل
فوالله ما أدرى، وإنّى لسائل
أغالك بعدى السهل، أم غالك الجبل
ويا ليت شعرى، هل لك الدهر أوبة
فحسبى من الدنيا رجوعك لى بعجل
تُذكرنيه الشمس عند طلوعها
وتعرض ذكراه إذا غربها أفل
وإن هبَّت الأرواح، هيجن ذكره
فيا طول ما حزنى عليه، وما وجل
سأعملُ نصَّ العيس في الأرض جاهدا
ولا أسأم التّطواف، أو تسأم الإبل
حياتى، أوتأتى إليَّ منيتى
فكل امريء فان، وإن غرَّه الأمل[٤]

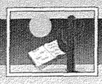
ولما كان الشعر يُبَثُّ على كل فم في الجزيرة العربية، فإن هذه الأبيات الدامعة تصل الى زيد، فلا يملك إلا أن يرد عليها بقوله:

أحنُّ إلى أهلى، وإن كنت نائياً
بأنى قعيدُ البيت عند المشاعر
فكفُّوا من الوجد الذى قد شجاكم
ولا تُعملوا في الأرض نصَّ الأباعر
فإنى بحمد الله في خير أسرة
كرام معد .. كابراً بعد كابر

فهو يتمنى أن ينعم في المناخ الذى يعيش فيه، ويرجو أن يكفَّ البحث عنه، ولكن لهفة الأب لم تكن تقدر على هذا، فقد واصل التقصى مع شقيقه عن هذا الفتى المخطوف من وطنه



بقلم : أ . د . عبده بدوي
- مصر -



وأسرته حتى اهتديا إلى مكانه عند الرسول، وهنا قالا بلهفة: يا ابن عبد المطلب، يا ابن سيد قومه، أنتم جيران الله، تفكون العاني، وتطعمون الجائع، وقد جئناك في ابننا عبدك، فتحسن إلينا في فدائه، فقال عليه السلام: ادعوه، ويُخْبَرُ بما تريدان، فإن اختاركما فذاك، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي اختار على من اختارني أحداً.

فلما جاء زيد، قال الرسول: خيرتك إن شئت ذهبت معهما، وإن شئت أقمت معي، فردَّ في لهفة، بل أقيم معك، فيعجبُ أبوه لأنه اختار العبودية على أبيه وأمه وعمه وبلده وقومه ولكن الفتى يبالغ في إظهار ولائه، فيأخذ الرسول بيده، ويقوم به إلى حيث يكون الملأ من قريش ويقول: اشهدوا هذا ابني وارثاً وموروثا، فتهدأ أنفس الأب والعم والابن، وتهبُّ على مكة مقدمات رسولية، ويعيش زيد مقرباً، ويعرف باسم «زيد بن محمد»، وحين يصبح صالحا للزواج، يختار له ابنة عمته أميمة - أو أمية - ومع أن «زينب بنت جحش» وافقت على الزواج احتراماً لرأى الرسول، إلا أنها ضاقت بهذا الأمر نفسيا، وكان أن تعالت على زيد باعتبارها قرشية وهو من الموالي، وقد احس زيد بتبرمها بالحياة معه، وتطاير المودة والسكن من العش الجديد، وتدور الأحاديث حول الطلاق، وحول أن العرب كانوا لا يتزوجون من مطلقات أبنائهم بالتبني، وقصر المنع على مطلقات الأبناء من الأصلاب، ويكون أمر الله «ادعوهم لآبائهم»، ويعرف زيد باسم زيد بن حارثة[٥] وبعد الطلاق يكون الزواج من الرسول ولسنا بحاجة الى ما ذكره بعض المستشرقين في هذه القضية، فهي ابنة عمته، ولم يكن بحاجة الى أن يعجب بجمالها بعد زواجها من زيد، وقد تكفل بالرد على هذا الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه محمد عليه الصلاة والسلام، ويكفي أنه الصحابي الوحيد الذي ورد اسمه في القرآن الكريم [٦]، المهم أنه عاش ابتداء في بيت الرسول، وأن الرسول كان دائم التقدير له، فقد كان في مقدمة سيوفه لنُصْرة الإسلام، وما أكثر السَّرايا التي شارك فيها، وكان أميراً بها ولقد كانت غزوة مؤتة آخر الغزوات التي شارك فيها، والتي قدم على كل الأمراء، فقد أخذ اللواء، وقاتل بجسارة وإيمان حتى قتل طعناً بالرماح[٧] وحين علم الرسول عليه الصلاة والسلام دعا له، وقال «استغفروا لأخيكم فقد دخل الجنة وهو يسعى»[٨] وحين رأى ابنته بكى حتى انتحب، وحين رأى هذا سعد بن عبادة قال معلقا «هذا شوق الحبيب الى الحبيب».

فكما عاش مُخْتَطَفاً في الحياة، كان لا بُدَّ من اختطافه الى الجنة، ليظل واحداً من أحب الصحابة للرسول عليه الصلاة والسلام، واذا كان لم يحفظ له الكثير من الشعر، فقد حفظ له الكثير في الجسارة والبطولة من أجل الإسلام.

الهوامش:

(١) العقد الفريد ٩/٢

(٢) سيرة أعلام النبلاء للذهبي ص ٢٢٣.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٢٦٤/١.

(٤) نفسه ٢٦٥/١.

(٥) فلما قضى زيد منها وطرا، زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً، وكان أمر الله مفعولا (الأحزاب/٣٧).

(٦) نفسه، وفي ابن هشام ان الرسول آخى بين زيد بن حارثة، وحمزة بن عبد المطلب عمه - الدرر في اختصار المغازي والسير. ابن عبد البر، تحقيق شوقي ضيف ص ٩٧.

(٧) قتل زيد بن حارثة الأمير الأول، ملاقيا بصدره الرماح، مقبلا غير مدبر، والراية في يده، فأخذها جعفر بن أبي طالب، الدرر لابن عبد البر، تحقيق د. شوقي ضيف ٢٢٣ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

(٨) سير أعلام النبلاء ٢٢٩/١، صحيح البخاري ٦١١/٢.

مجلة السائح العدد (١١٧)

في البلدان والعمران ..
في التقاليد والأعراف
في تقاطيع وجوه الناس
السائح يستقريء
الملامح ويرسم اللوحة



قبرص

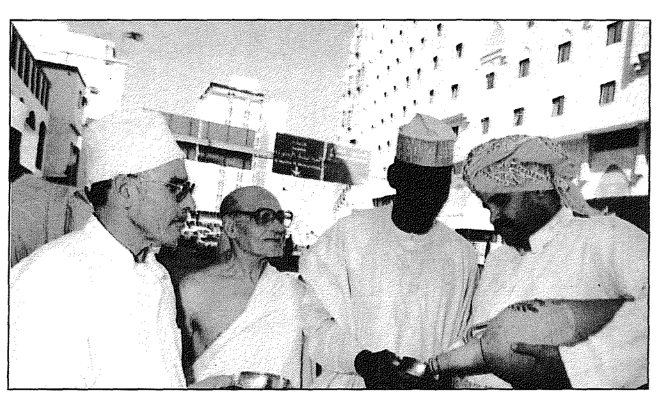
بلد الجبال والبحر



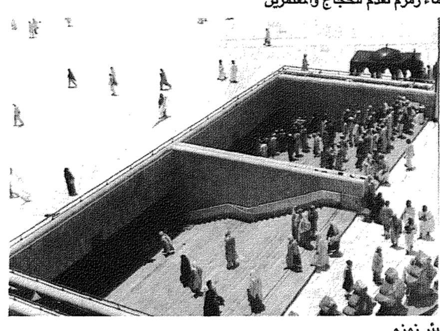
جولة فى وسط أمريكا

السائح

زمــزم المباركة



ماء زمزم تقدم للحجاج والمعتمرين

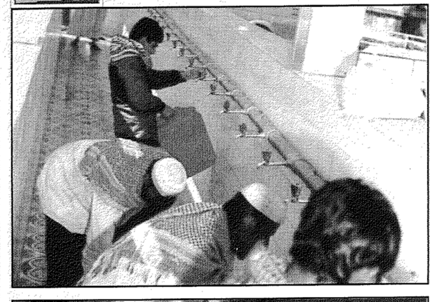


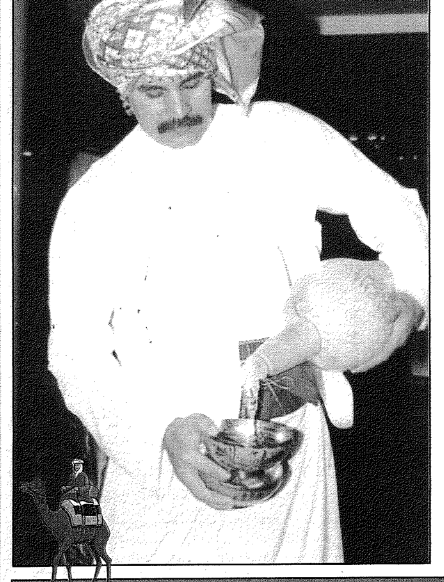
بئر زمزم

ما بين الصفا والمروة، كانت السيدة هاجر تسعى، بحثاً عن ماء يُطفىء ظمأ طفلها الذي أخذ منه العطش مأخذا.. كانت تصعد الجبل وتهبط الوادي وتصعد الآخر، لعلها تجد أثراً لطير أو بشر أو حتى حيوان.

وتقضي إرادة الله سبحانه أن يتفجر الماء من تحت قدمي طفلها اسماعيل عليه السلام.. انه ليس ماء ككل المياه.. إنه ماء مبارك، انه طعام طعم وشفاء







سقم.. إنه ماء زمزم.

لقد ظل هذا البئر (بئر زمزم) يتدفق ماء مباركا منذ ذلك التاريخ وحتى يومنا والى ما يشاء الله أن يتدفق.. بل من السّنّة للزائر والمعتمر والحاج أن يشرب منه بل (ويتضلع من مائه) حسب تعبير الفقهاء.. وأن يتوضأ ويغتسل منه مع صدق النية فان فيه كل الخير.

وظل بئر زمزم مكان عناية أولي الأمر لتوفير الماء لراحة الحجاج والمعتمرين والزائرين لبيت الله الحرام.

وبلغت العناية به حدّها في عهد خادم الحرمين الشريفين حفظه الله ورعاه، فقد هيأت حكومة خادم الحرمين الشريفين ماء زمزم مبرداً وسهلا للحجاج والمعتمرين والزائرين، ومن خلال ٧٣٣ صنبوراً، بالإضافة الى البرادات الموزعة في جميع أنحاء الحرم المكي والمدني، ويبلغ عددها اكثر من ٨ آلاف براد في كل من شهر رمضان وموسم الحج، ومن ضمن التطويرات في ماء زمزم إقامة مدخل للرجال ومدخل للنساء.

ويتم تبريد ماء زمزم في محطة خاصة أمر خادم الحرمين الشريفين بإنشائها وهى مجهزة بأحدث التقنيات اللازمة لتوفير الماء بالكميات الكافية، من خلال أنابيب عالية التقنية ليظل ماء زمزم نقياً من الشوائب.

جولة في وسط أمريكا

مشاهدات وانطباعات (٢)

في شيكاغو:

بعد التجوال في مدينة نيويورك وضواحيها الجميلة ومعالمها الحضارية وميادينها الرحبة وهى قلب الحضارة الغربية النابض حزمنا أمتعتنا وأخذنا السيارة الى المطار حيث انطلقنا نحو شركة «تي دبليو. اي» للإقلاع الى مدينة شيكاغو وبعد إنهاء الاجراءات اتجهنا الى باب الخروج الى الطائرة وركبنا متن الرياح وتقلع بنا الطائرة الى شيكاغو وتستغرق الرحلة زهاء ساعتين ونيف وكانت نظرتي إلى هذه المدينة مليئة بالمخاوف والأوهام لكثرة ما سمعته وقرأته عن عدد الجرائم التى عرفت بها والخوف في هذه المدينة من أمور الحزم كما قيل لي «وكفى بالله حافظا وحسيبا» وسرعان ما هبطت بنا الطائرة وكان الابن ماجد على سلم الطائرة في استقبالنا ودخلنا المطار الذي يموج بأفواج من البشر ويعد مطار شيكاغو من أزحم المطارات العالمية لكثرة عدد الطائرات التي تقلع منه وتهبط فيه والتي تموج بين أرجائه حيث تسمع زمجرتها فهو أعظم مطار في العالم وقد اكتظ بالمسافرين فهو مطار رحب فسيح ولقد سبق لي أن مررت بهذه المدينة منذ سبعة وعشرين عاما في طريقى للدراسة بجامعة أوكلاهوما مما ذكرني بقول القائل:

يا موطن الخصب ألا عدت ثانية
سقى زمانك هطال من الديم

ولقد كنت شديد الرغبة في رؤيتها وإلى إمتاع البصر بمعالمها الجميلة وبعد استراحة في الفندق انطلقنا نسعى في أرجائها وكان الجو منعشا لا حر فيه ولا قر نتأمل هذه الجموع الحاشدة من سكانها إذ تمر بك ألوان وأشكال على اختلاف أصنافها وأنواعها وإذا ألقيت نظرة عليها طالعتك ناطحات السحاب الشامخة العملاقة ولقد امتلأت شوارعها وميادينها بالبشر والسياح أحس بينهم كما قال المتنبي:

ولكن الفتى العربي فيهم
غريب الوجه واليد واللسان

وتعتبر مدينة شيكاغو التي أسست عام ١٨٠٠م من أعظم المدن الأمريكية بعد نيويورك.. وتربط بين الشرق والغرب الأمريكي وبالرغم من تدميرها نتيجة احتراقها سنة ١٨٧١م عادت بحجم أكبر ونشاط أوسع ومعظم سكانها من أصول أوروبية من شرق أوروبا وايرلندا وايطاليا.. إن شيكاغو هي أكبر مدن ولاية «ألينوي» ذات المزارع الواسعة والبحيرات الطبيعية التى تتجمع من مسايل الأمطار، وسوق البورصة يمثل ثلث حجم مبيعات العالم في النواحى الزراعية والصناعية ونزلنا في وسط المدينة نتجول في أرجائها وهناك في الحي التجارى في قلب المدينة توجد مراكز اكبر الشركات الأمريكية وتوجد ثاني أطول عمارة في العالم «سيرز تاور» وهي بعد بناية الاتصالات في ماليزيا - وتتألف من ١١٠ طوابق ويبلغ ارتفاعها ٤٥٠

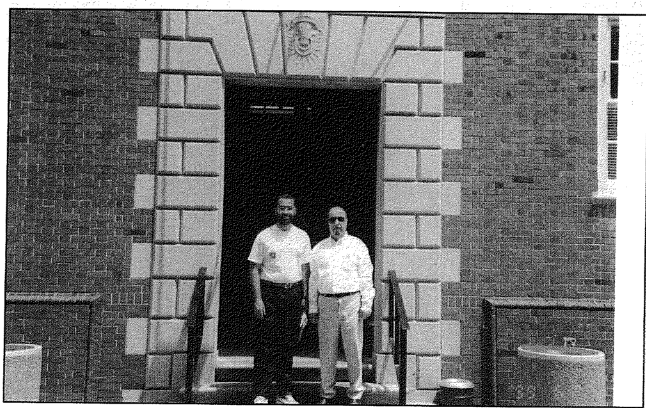
بقلم: عبد الله بن حمد الحقيل
امين عام دارة الملك عبد العزيز - سابقا -



مدينة شيكاغو

قدما ويزورها ملايين السياح من داخل أمريكا وخارجها وقد أنشئت في عام ١٩٧٣م ويعمل فيها اكثر من ١٦٠٠٠ موظف وبها ٣٢ مصعدا ويعتبر هذا البرج من معالم المدينة وتتجمع حولها عمارات شاهقة اخرى ودخلنا الى هذا البرج مع جموع كبيرة وأخذنا تذاكر الصعود الى الدور ١١٠ بحوالي ثمانية دولارات للشخص دخلنا في البداية الى صالة عرض سينمائي عرضت تاريخ المدينة في فيلم وثائقي ثم مشينا في ممرات منظمة الى المصاعد واذكر ان رحلة الصعود أو الهبوط تستغرق حوالى السبعين ثانية فقط!! ومن هناك رأينا معالم المدينة بوضوح، مكثنا هناك قرابة الساعة ثم هبطنا وتوجهنا الى سيارتنا التى قضينا قرابة الساعة نبحث عن موقف لها في مواقف المدينة التي كانت احيانا تكلفة الوقوف فيها لساعات تماثل اجرة غرفة في فندق ٥ نجوم هذا مع صعوبة وجود الموقف

مركز دالى يزينه تمثال الفنان بيكاسو



الاستاذ عبدالله الحقيل مع ابنه

وندرته في قلب المدينة واخذنا نتجول في شوارع وسط المدينة تارة بالسيارة أو نذرعها سيرا على الاقدام وقد سمعنا ان هناك بناية جديدة يجري تشييدها وستكون اعلى برج في العالم، ثم قمنا بزيارة لمتحف العلوم والاطفال الذي تشتهر به هذه المدينة لما يوجد فيهما من تعريف بالحضارات القديمة والحديثة والعلم والتقنية، ثم ذهبنا الى المركز الاسلامي الذي تأسس عام ١٩٤٠م ولمنطقة كنزي التي تشتهر بالمحلات العربية والإيرانية، ثم انطلقنا نجوب معالمها ونهرها الجميل وكلما شاهدت الأنهار في اي مدينة تذكرت قول احد القدماء من الحكماء: «لا تسكن في بلد ليس فيه طبيب ولا نهر جار ولا خباز» فرحم الله آباءنا وأجدادنا الذين عاشوا في بلداننا رغم قسوة الحياة وصعوبة حياة الصحراء وشاهدنا الكثير من معالم الحياة الامريكية والزوارق وتدير شركات سياحية سفنا سياحية تحمل الواحدة منها مئات الركاب وصعدنا فيها حيث تجولت بنا في عرض النهر بين أحياء هذه المدينة وقد كانت نزهة ممتعة بين ركاب من جميع الأجناس والالوان وقد كان في المدينة وعلى ضفاف البحيرة مهرجان حضرناه اسمه (Taste Of Chicago) أو مذاق شيكاغو حيث تجتمع عشرات الجنسيات وتعرض مأكولاتها وقد كنا هناك بين مئات البشر من جميع الجنسيات المهاجرة من الشرق والغرب وهناك تشعر بحقيقة شيكاغو حيث تزدحم فيها جميع الجنسيات وعلى جوانب الشارع تجمع مهرجون يبيعون البالون وعدد من قراء الكف والفنجان والخزعبلات وقد ارتادهم عدد من الفارغين يتأثرون ويصدقون ما يقولون - وكذب المنجمون ولو صدقوا - .

ومن الممتع أن يكتشف المرء هذه المدينة الكبيرة من خلال السير في شوارعها وأحيائها ونظام النقل السريع حيث يتدفق في الصباح أصحاب الاعمال الى وسط هذه المدينة بالقطارات والحافلات والسفن فهناك مد منتظم من القادمين من خارج المدينة للعمل بها كما انها مليئة بالاحداث في كل وقت وفي شارعها الرئيسي

«ميتشقن افينيوا» تتجمع المتاجر الفخمة والانيقة ومجموعة من الماركات العالمية والبنايات التي تلفت النظر وخلال التجوال في المدينة وجدنا مطعما سعوديا هو الطازج فابتهجنا بهذا المعلم السعودي والاقبال الكبير عليه وفي صباح الاثنين ١٤/٣/١٤٢٠هـ الموافق ٢٨/٦/١٩٩٩م أفطرنا على عجل وحزمنا حقائبنا ونزلنا الى إدارة الفندق للمحاسبة ثم نودع مدينة شيكاغو وامتطينا سيارتنا متوجهين الى المدينة التى يدرس فيها الابن ماجد والتي هي مقر «جامعة الينوي» شامبين، وواصلنا السير وسرنا عبر طريق مرقوم رقم ٥٧ والطرق في امريكا مسماة بأرقام تعينها وتحددها إذ ان الارقام الفردية تتجه شمالا وجنوبا بينما الارقام الزوجية تتجه شرقا وغربا وما عليك إلا أن تخرج الخريطة وتحدد المكان الذي تبتدىء منه والمكان الذي تريد ان تنتهي إليه وتقف على ارقام الطريق أو الطرق الواصلة بينهما وبهذا يصل الانسان الى غايته دون مرشد أو دليل ودون حاجة الى السؤال فالخرائط متوافرة في مكاتب الاستعلامات ومحطات الوقود المنتشرة على طول الطرق، خرائط واضحة ومرقمة والطرق يجد فيها المرء ما يمتعه ويشاهده من مناطق جميلة واماكن سياحية واستراحات. لقد انطلقنا عبر الطريق ٥٧ واخذنا طريقنا نحو «شامبين» وقد حددت سرعة السيارات بحيث لا تتجاوز ٦٥ ميلا في الساعة نحو ١١٠ كيلا في الساعة ويلتزم المسافرون في هذه الطرق السريعة بهذه السرعة المحدودة كما يوجد في كل طريق سريع إذاعة خاصة به وفي زوايا هذه الطرق السريعة توجد سيارات رجال المرور الذين يراقبون حركة المرور وبسرعة خاطفة يتم ايقاف السيارة المسرعة.. وتوجد على جوانب الطريق



مدينة شيكاغو

مناطق جانبية معدة لنزول المسافرين للراحة والاستجمام ويطلق عليها (Rest Area) مناطق استراحة حيث يجد المسافر وسائل الراحة والوجبات الخفيفة والشاي والمثلجات لقد كان الطريق الذى نسلكه تنتصب على جوانبه المناظر الخضراء والبحيرات والمزارع والقرى والحقول الواسعة ولهذه الطرق ضريبة ورسوم للمرور عليها فلابد من التوقف قليلا عند مداخل الطرق والجسور ومخارجها لدفع رسوم المرور فلقد توقفنا ثلاث مرات امام أكشاك

صغيرة متعددة وقفنا بجوارها. وفي بعض الاماكن نضع الرسوم بدون عامل «اتوماتيكيا» وترتفع بوابة الخروج أوتوماتيكيا وتتم هذه الاشياء في لحظات والرسوم من دولار الى نصف دولار وتؤخذ هذه الرسوم حسب المسافات التى قطعتها السيارة وتبعا لطول المسافة وقصرها تدفع الرسوم كما لاحظت ذلك في عدة ولايات مررنا بها والهدف من ذلك تمويل وإصلاح هذه الطرق وتلك الجسور وتعبر هذه الطرق مئات الالوف من السيارات. لقد قطعنا الطريق خلال ثلاث ساعات حيث توقفنا في تلك الاستراحات نلتقط الصور ونستجلى النظر ونقلب الطرف في تلك المناظر الجميلة والهضاب البديعة والاودية السحيقة على حد قول الشاعر:

ترى الهضاب تعالى الله سامقة
ما إن يرى مثلها في الكون أشباه

حيث يمد المرء طرفه نحو هذه المناظر فما أعظم صنع الخالق جل وعلا وأخيرا وصلنا بلدة «شامبين» دون أن نحس بالتعب حيث كانت أنظارنا مشدودة الى مفاتن هذه الطبيعة حيث الاشجار والانهار والبحيرات ومزارع القمح والذرة كما قال الشاعر العربي:

واد اغن سرى النسيم بارضه
مترقرقا بندى النمير الصافي

ونزلنا ببيت الابن وهي دار أنيقة ذات طابقين على ضفاف بحيرة وبقينا في المنزل تلك الليلة حيث كنا تعبنا في نهار ذلك اليوم وبعد صلاة العشاء والاستماع للأخبار كان نومنا عميقا وفي الصباح نهضنا وصلينا وافطرنا ثم استرحنا قليلا واتفقنا على أن يكون تجولنا هذا اليوم مقتصرا على معالم هذه المدينة مبتدئين بزيارة المركز الاسلامي الذي يحتوي على مسجد كبير الحق به قسم للنساء ودورات مياه ومكتبة ومكتب اداري وقد رحب بنا امام المسجد وادخلنا مكتبه وبدأنا التعارف وعرفنا من خلاله بعض أعمال المركز والجالية الاسلامية التي تتكون من العرب والباكستانيين والهنود والاندونسيين والأتراك والأفريقيين وعدد من الأمريكيين الذين دخلوا في الاسلام وقلت له ان عليكم ان تبذلوا جهودا اكثر في الدعوة الى الله وخلال بقائنا في هذه المدينة كنا نتردد على المركز لاداء الصلاة والمذاكرة والنقاش حول الامور الاسلامية وأهمية تعريف المجتمع الامريكي بتعاليم الاسلام ودعوتهم اليه بالحكمة والموعظة الحسنة وتصحيح مفاهيمهم عن الأمة الاسلامية والعربية ثم ذهبنا الى معالم المدينة الحضارية وتجولنا حولها وتنقلنا بالسيارة لجهات متعددة والتعرف على معالمها ومعارضها والاماكن السياحية والتجارية والحدائق العامة والمزارع الواسعة وهناك لا ترى أديم الارض فالأرض مغطاة بالخضرة ولهذا لا تتسلل الى البيوت ذرات الغبار حيث إن الارض مكسوة بهذه الخضرة التى لا تفارق مواقع العين وعلى حد قول القائل:

الأرض قد كسيت رداء اخضرا
والطل ينثر في رباها جوهرا

والانطباع الذي اخذناه عن هذه المدينة التي تقوم على جامعتها العريقة وهي تتكون من «أربانا» و«شامبين»، «سافوي» هو جمال مبانيها وسعة شوارعها ومبانيها مجمعات متكاملة كل مجمع يحتوي على مرافق متعددة وكل فيلا مكونة من دورين وهي فسيحة الأرجاء وأسواقها منفصلة عن المنازل واللافت احترام النظام وحب الهدوء والرياضة والمشي والمحافظة على النظافة والحدائق والاشجار:

بلد طيب وظل ظليل
شجر ضاحك ونهر بديع

وتوجد بحيرات بجوار كل مجمع سكني وهي بحيرات واسعة كما توجد طرق للمشاه وأخرى لهواة الدراجات الهوائية ولقد وقفنا عند تلك البحيرات خلال تجولنا والتقطنا صوراً جميلة على شاطئها والتي تزين المدينة وقد حوتها الورود والازهار، إنها كنز حفيل


ملعب سو لجرفيلد ووسط المدينة

وخضرة طبيعية خلابة وقد طلبت من الابن ماجد ان أرى بلاد «الامش» على بعد ٤٠ ميلا وذهبنا لمناطقهم حيث دخلنا منطقة من الريف الزراعي المعمور وابنية سكنية من طابق واحد ومن طابقين وامتد الطريق يسير في سهل زراعي وهم قوم يرفضون كل جديد ويمتهنون الزراعة ولا يستخدمون الآليات الحديثة كالسيارة والكهرباء فمواصلاتهم عربات الخيل ويستخدمون الاشياء الطبيعية في مأكلهم وحياتهم وهم من الكاثوليك وقد نزحوا من اوروبا منذ ثلاث مائة سنة، ومنتشرون في مناطق كثيرة من امريكا مثل انديانا ونيويورك وبنسلفانيا وأولهم نزح الى امريكا عام ١٧٤٠م ولا يستخدمون السيارة أو المذياع أو التلفاز أو الهاتف. وقد سألت بعضهم عن صحة ذلك فقال: من الممكن استخدام تلك الاجهزة في حالة الطوارىء القصوى والامور الضرورية العاجلة، والإنارة لديهم مصدرها الغاز ويعمل الطفل عند بلوغه السادسة في الزراعة واطعام الخيل حتى تكبر مسؤولياته حين يتزوج فيعطى قطعة ارض ليحرثها ويعيش فيها ولا يلبسون المجوهرات ولا يستعملون الماكياج ويطلق المتزوجون منهم لحاهم وهذا يميز المتزوج عن غيره وقد رأيتهم يسيرون مجموعات على اقدامهم في يوم الاحد وقد عادوا من الكنيسة ويتعلم اولادهم الى المرحلة المتوسطة أو الثانوية ويقدمون أكلاتهم الشعبية والمكونة من الدجاج والبطاطا المهروسة وفطيرة التفاح وغير ذلك من إعداد البيت ويستضيف البعض منهم الزوار مقابل أجر قدره عشرة دولارات ثم يتوجه للعمل ولا داعي لدخوله الجامعة وبعد جولة في تلك القرى والمزارع والبيوت ورؤية هؤلاء وتقاليدهم رغم طول الطريق كانت المزارع تغطي الارض ومعظم الاراضي الزراعية منبسطة ثم عدنا أدراجنا بعد تمضية يوم حافل مفعم بالمناظر والمشاهد والذكريات ولله في خلقه شئون.

وبعد زيارة لمدينة شامبين وتجول في معالمها ومناطقها وجامعتها العريقة وبحيراتها الجميلة وطبيعتها الخلابة وأسواقها التجارية التي تحفل بكل انواع المنتجات والهدايا والتحف، كما تكثر بها المكتبات لوجود الجامعة بها ولعل اكثر ما يميز أهلها هو البشاشة - وبشاشة وجه المرء خير من القرى والترحيب الودود وتعاملهم اللطيف مع السائحين والطلاب مما جعلني اقول في قصيدة مطلعها:

يا حبذا أنت يا شامبين من بلد
وحبذا النهر والارياف والسمر

وبعد زيارة تلك المدينة، وبعد تمضية ايام ممتعة مفيدة في ربوعها، ودَّعت تلك الربوع مرددا قول الشاعر العربي:

بنفسي تلك الأرض ما اجمل الربى
وما احسن المصطاف والمتربعا

قبرص بلد الجبال والبحر

تعد قبرص من أكبر المراكز السياحية جاذبية في شرق حوض البحر المتوسط وهي تتمتع بطقس رائع وطبيعة خلابة وكرم ضيافة مبالغ فيه من أهلها الذين لا يستعملون كلمة «أجنبي» أو «غريب» بل يستعملون كلمة «ضيف» مما جعل نسبة كبيرة ممن يزورونها يقررون معاودة الحضور اليها.

ظلت قبرص التى تقع بين ثلاث قارات هي آسيا وأفريقيا وأوروبا هدفا للقادمين اليها من زوار وتجار وقراصنة وغزاة، وأصبحت الآن هدفا للسائحين ورجال الأعمال.

يمتد تاريخ قبرص الى أكثر من ٧٠٠٠ سنة قبل الميلاد حيث بها آثار تعود الى عصور ما قبل التاريخ، وفي القرن الثانى عشر قبل الميلاد جاء اليونانيون الى الجزيرة، ثم سيطر عليها الفراعنة والآشوريون والفرس والرومان وفتحها العرب وظلت بيدهم الى ان سيطر عليها الصليبيون ثم أعاد فتحها المماليك وظلت تحت سيطرتهم الى أن أخضعها العثمانيون لحكمهم، وفي العام ١٨٧٨ قام الإنكليز باستئجارها من العثمانيين، ليشرفوا منها على مصالحهم في قناة السويس.

وفي العام ١٩١٤ احتلت بريطانيا الجزيرة واعتبرتها من مستعمراتها الى أن استقلت العام ١٩٦٠.

ومعالم قبرص متعددة لا حصر لها وأبرزها:

نيقوسيا:

هي المدينة العريقة الواقعة في قلب الجزيرة، وعاصمتها منذ القرن الثاني عشر بعد الميلاد، ويبلغ عدد سكانها ١٥٠ ألف نسمة، وهي تتكون من نيقوسيا القديمة التي يحيطها سور المدينة الفينيقى القديم المبنى في القرن السادس عشر، وشوارع المدينة ضيقة تحوى مبانى تراثية ومتاجر تعرض المنتجات الحرفية التقليدية، ومنها السلع النحاسية والفضية ذات الطابع الشرقى الجميل. ومن أهم معالم نيقوسيا القديمة القصر الكبير، والواقع الى جوار كاتدرائية القديس يوحنا والمتحف البيزنطي. ويوجد في نيقوسيا ٢٥ فندقاً من مختلف الدرجات.

ولا يستطيع زائر نيقوسيا مغادرتها دون مشاهدة المتحف القبرصى وما يحويه من نفائس من بينها تمثال أفروديت إلهة الحب والجمال، متحف الفنون الشعبية، بوابة فاما جوستا، والمركز القبرصي للصناعات اليدوية.

ليماسول:

تعد ليماسول ثانى أكبر مدن قبرص، ويزيد عدد سكانها عن ١٠٠ ألف نسمة، وهى في نفس الوقت أكبر ميناء بحرى في الجزيرة، والمركز التجارى الأول بها. حيث تم إنشاء مينائها الجديد الضخم بالاضافة إلى مرفأ لليخوت.

تطورت ليماسول في السنوات الأخيرة فأصبحت المدينة السياحية الأولى في قبرص، بما تحويه من فنادق ومطاعم، ومتاجر، وملاه، هذا بالاضافة الى الكرنفال والمهرجانات العديدة حيث لا يكاد يمر أسبوع خلال فصل الصيف إلا وتشهد الدينة مهرجانا جديداً بمناسبة عيد جديد.. فهناك عيد الزهور وعيد الفاكهة.

ويوجد في ليماسول العديد من المزارات السياحية، من أبرزها متحف الآثار، ومتحف الفنون الشعبية، والقلعة التى تم فيها عقد قران ريتشارد قلب الأسد العام

اعداد : د. خالد عزب
- مصر -

١١٩١ ميلادية، والتى أصبحت الآن متحفا للقرون الوسطى، ومعبد أبوللو.

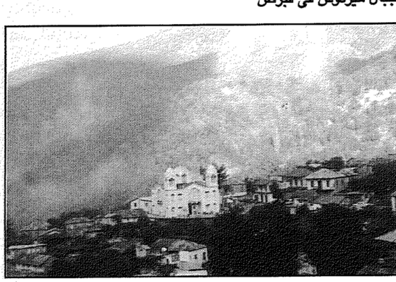
لارنكا:

تعد لارنكا هي المدخل الرئيسي لزوار قبرص عن طريق الجو ففيها مطار قبرص الدولى الذى يربط الجـزيرة بدول أوربا والشـرق الأوسط، وهى مـدينة عـريقـة ذات تاريخ قديم وتبعد عن العاصمة نيقوسيا ٥٠ كيلومترا ويبلغ عدد سكانها ٤٠ ألف نسمة، ويوجد فيها كنيسة القديس لعازر، وفيها الى جـوار بحـيـرة الملح واحـد من أهـم الآثار الاسـلامـيـة في قـبـرص وهى تكيـة هالا سلطان. وبها قلعة أثرية، ومنطقة كيروكيتيا التى تحوي آثارا من العصر الحجري.

جبال هيرودوس فى قبرص

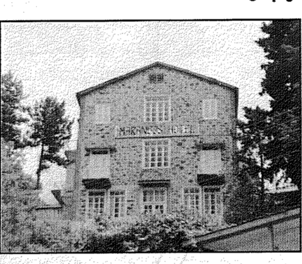
الأماكن الجبلية:

تمتـاز قـبـرص بأنـهـا إحـدى الأمـاكن القليلة في العـالم التى تسـتطيع فـيـهـا أن تستحم في ميـاه البـحـر الدافـئة وفي نفس اليوم وخلال أقل من نصف سـاعة بالسيارة تستطيع ان تتمتع بالتزحلق على الثلوج في جبال ترودوس وقمتها أو ليمبوس التى ترتفع عن سطح البحر ١٩٥٠ متراً.



فيرودوس الطبيعة والجمال

وجبال قبرص لا تقدم فقط الثلوج لرياضة الشتـاء من كـانون أول ديسـمـبـر وحـتـى آذار مـارس، بل إنـهـا بطبيعتها الساحرة ونقاء وجمال هوائها البارد تعتبر جنة حقيقية لزوارها خلال بقية شهور السنة. وإنها الهدف الأول ليس فقط لعشاق جمال الطبيعة والاستجمام بل ايضـا لعلمـاء النبـات، والرسـامين والفنانين وهي المكان الأمثل لإقامة المؤتمرات والاجتماعات. وتعتبر منطقة الجبال هذه وأبرز بادوليس جنة صغيرة على الأرض حيث الطبيعة الساحرة المغلفة بالرداء الأخضر كزينة الزهور وأشجار الفاكهة وغابات الأرز والصنوبر وشلالات المياه.



من الفنادق القديمة فى قبرص

الصورة البيانية في الشعر الأندلسي

الصورة البيانية وعناصرها:

لقد تفنن الشاعر الاندلسي في عرض معانيه الشعرية في صوره الفنية، متأثرا بذوق عصره ممزوجا بذوقه الخاص. وقد كيّف نفسه مع أنماط الصورة الفنية، فظهرت في وضوح وجلاء في مختلف الأنماط، فاختار لتشكيل هذه الصورة ألوانا من التشبيهات، وانماطاً من الاستعارات، ونماذج من الكنايات، ونوّع في الصورة التشبيهية المركبة والمفردة والحسية والمجردة. ولم تكن الصورة الاستعارية عنده جامدة بل تنوعت طرق تشكيلها بين التشخيص والحوار لبث الحياة في الجماد وأضفى عليها جانبا من البديع ليحقق به الجمال الفني فتوسل بمختلف ألوانه، وإن غلب عليه الميل الى المطابقة التي تدل على مغايرة الواقع ودلالتها على رغبة الشاعر في تغيير ما حوله من أوضاع الى ما يقابلها من ظروف وأحداث. فأمدتنا الصورة بالمتعة الفنية والمتعة الفكرية في تناسق وانسجام. كما استعان الشاعر بالحركة واللون والحواس.

الصورة التشبيهية:

التشبيه لون من ألوان التعبير الجميل المؤثر تعتمده النفوس البشرية حينما يدعوها الى ذلك غرض أو آخر من الأغراض التي رصدها البلاغيون القدامى والمعاصرون، فرسخوا بخصوبتها آفاقه الرحبة التي اتسعت لفئات الأمة وطبقاتها لتحقيق مآربهم الفكرية وخلجاتهم الشعورية ومقاصدهم اليومية[١].

وهذه الأغراض تتعلق في مجملها بركن المشبه وهي:

١ ـ بيان حال المشبه وذلك حين تكون صفة المشبه به معلومة وصفة المشبه مجهولة فيساق التشبيه لتمكين المخاطب من ادراك حال المشبه.

٢ ـ بيان مقدار حال المشبه وتجسيد قوته وضعفه وزيادته ونقصه وسُموّه وانخفاضه الى غير ذلك من الصفات التي تخضع للمقاييس والتحديد.

٣ ـ تعزيز حال المشبه، ويتحقق هذا الغرض بتوضيح حال المشبه في ذهن السامع وتمكينها من خاطره وذلك عندما تشبه الأمور المعنوية بالحسية المشاهدة عيانا والمتخيلة تحققا.

٤ ـ تجسيد حال المشبه والترغيب فيه وذلك عن طريق الموازنة بينه وبين المشبه به ليستحسنه المخاطب.

٥ ـ تقبيح حال المشبه والتنفير منه.

وقد اهتم العرب بالتشبيه كأداة للبيان تبرز الصفة الغالبة في المشبه أو المراد تغليبها عن طريق محاكاته أو تشبيهه ومقارنته بشيء آخر، وبهذا يكون دور التشبيه التعبيري هو نقل الصفة أو الصورة من

بقلم: د. قرش عبد القادر
ـ جامعة الجزائر ـ

الأكثر الى الأقل في الأغلب. وهو ضرب من المحاكاة في صور الشاعر لما يريد التعبير عنه من المعاني عن معادل حسي من الطبيعة أو البيئة المدركة بالحس.

والصورة الشعرية تتفاوت بين مدركات الحس ومدركات العقل أي تتفاوت في الاعتماد على الحس أو التصوير الحسي القريب، أو في الاعتماد على التجريد العقلي. والتشبيهات فيها مادة غزيرة للكشف عن جوانب الحياة والطباع ومظاهر السلوك والنشاط الانساني، فضلا عن المشاهدات الغنية للطبيعة التي تعطى تجربة معينة.

ومن خلال التشبيهات نقع على أسرار كثيرة للشعراء ومظاهر نشاطهم، اذاً فهي تكشف عن بيئة الشعراء وتقف على أسرار الحضارة وجوانبها المختلفة من تقاليد وعادات وأذواق وسلوك وأخلاق.

والتشبيه هو علاقة مقارنة تجمع بين طرفين لاتحادهما أو اشتراكهما في صفة أو حالة أو مجموعة من الصفات والأحوال، وهذه العلاقة قد تستند الى مشابهة في الحكم أو المقتضى الذهني الذي يربط بين الطرفين، دون أن يكون من الضروري أن يشترك الطرفان في الهيئة أو في أكثر من الصفات المحسوسة[٢]، والمشابهة بين الطرفين سواء كانت قائمة على أساس حسي أو معنوي، فالعلاقة الرابطة هي علاقة مقارنة.

والتشبيه هو اخبار بوجود الشبه الذي هو اشتراك الطرفين في صفة أو أكثر، ويقوم على ملاحظة نوع من النسبة المنطقية بين الأطراف، أي أن طرفي التشبيه لا تتداخل معالمها، والمظهر العملي لهذا التمايز هو أداة التشبيه فهي الحاجز المنطقي الذي يفصل بين الطرفين ويحفظ لهما صفاتهما الذاتية المستقلة حتى ولو حذفت الأداة فان افتراضها يظل قائما[٣] والتشبيه على عكس الاستعارة التي تلغي الحدود بين الطرفين.

طبيعة التشبيه ودوره في تشكيل الصورة:

هو ثمرة مخيلة الانسان التي يغذيها تباين النفوس ويشبعها اختلاف البيئات ويلونها تجديد التجارب[٤]. وقد انتبه (علي الجندي) الى طبيعة التشبيه فتحدث عن المصدر الحقيقي المتفجر بالتشبيهات الأصيلة فقال: (ان التشبيه مبني على ما تلمحه النفوس من اشتراك بعض الأشياء في وصف خاص يربط بينها.. وهو في الواقع عملية أساسية في التفكير)[٥].

وقال عبد القاهر الجرجاني عن التشبيه بأنه قياس يجري فيما تعيه القلوب وتدركه العقول وتستفتي فيه الافهام والأذهان لا الاسماع والآذان[٦].

والبراعة في التشبيه اقترنت بالتفطن الى العلاقات الخفية بين الأشياء ورصدها[٧]، فبراعة الشاعر عند عبد القاهر تشتمل في ايقاع الائتلاف بين الأشياء المختلفة ولكي يصل الشاعر الى هذا الائتلاف لابدّ أن يكون حاذقا دقيق الفكر لطيف النظر لأن ايقاع الائتلاف بين المختلفات في الأجناس انما يقوم على مشابهة لها أصل في العقل بيد أنها خفية لا يستطيع أن يصل اليها الا الخاصة ممن تقوى عندهم ملكات الفكر والتصور والاستنباط[٨] فالبراعة تتوقف على القدرة الذهنية، والتخيل عند الشاعر والجهد المبذول ليقف على حقائق الأشياء التي يصفها ويتعرف عليها ويكون في ذلك أثر من نفسه فيتأثر ويؤثر فبمجرد أن يكون الانسان على علاقة بشيء فانه يتولد لديه انفعال ازاءه، فيحدد المشاعر والانفعالات التي تربطه بذلك الشيء[٩]، والشيء الذي يضطر الشاعر الى التشبيه هو الحاجة الى التعبير عن العلاقة بين الأشياء والعلاقة بين الأشياء والمشاعر[١٠]، وهذا ما يمكن أن نطلق عليه تفاعل الذات الشاعرة مع الموضوع أي تفاعل الذات مع العالم الخارجي وقدرتها على تعديل هذا العالم واعادة تشكيله. ويبدو أنه كلما كان التباين بين الطرفين بينا كان تأثير التشبيه في النفس قويا. ومن هنا لابد من تأكيد دور الأديب في صناعة التشبيه والتماس حالته النفسية وذوقه وبيئته الخاصة في الكيفية التي أخرج عليها تشبيهه[١١].

وتكمن بلاغة التشبيه في مضاعفة قيمة المعاني وتحريك النفوس الى المقصود بها. وقد نرى ما يحصل للنفس من الانس باخراجها من خفي الى جلي كاخراجها مما لم تألفه الى ما ألفته كالانتقال من المعقول الى المحسوس[١٢]، والتشبيه كما يقول أحمد مطلوب بأنه حدث لغوي وعملية ذهنية عمادها طريق التخييل في تصوير تجربة الشاعر[١٣].

ومن هنا تتضح حقيقة التشبيه بأنه صورة شعرية والنظر اليه يكون من خلال مفهومها فلا ينظر الى التشبيه من خلال كل حقيقة اذا كانت مجردة أو حسية وانما من خلال عملية التقريب والجمع بحدّ ذاتها ومع موقع هذا الجمع داخل السياق العام وما يمكن للعلاقة الجديدة المستحدثة، ان تولد من ايحاءات ومدلولات[١٤]، فطبيعة الصورة المثبتة في المشبه به هي التي تحدد ميولنا تجاه المشبه وذلك لأنها تمثله أمامنا وعلى أساس هذا التمثيل ينظر اليه، ومن هنا يتضح لنا بأن العملية كلها تدور حول وجه الشبه الذي يشترك فيه طرفا التشبيه، وقد قال البلاغيون بأن الشيء يشبه بالشيء في أمور كثيرة منها ما هو من البيئة أو الحياة الاجتماعية أو الحالات النفسية ويشبه أيضا بالصورة والشكل والحركة والفعل واللون والطبع[١٥]. ووجه الشبه في حقيقته الفنية هو ثمرة لأحساس الاديب بما يجمع المشبه الذي له معه تجربة مخصوصة مع المشبه به الذي يثير في نفسه ووجدانه ما يفيض في تشبيهه تماسكا عاطفيا وتجاوبا شعوريا بين طرفيه[١٦]، ووجه الشبه امّا أن يكون بينا لا يحتاج الى تأويل واما أن يكون محصلا بضرب من التأويل. والتأويل مساحة شاسعة من التأمل والتدبر يجول فيها الفكر ويرودها التبصر بحرية، وهذه المسألة الفكرية التأملية تظهر أكثر في التشبيه البليغ الذي حذفت منه الأداة ووجه الشبه وفي التشبيه الخيالي والتمثيلي والتركيبي، وسيتضح كل ذلك من خلال دور التشبيه في خلق الصورة الأندلسية والاتجاهات التي توسل بها الشاعر في فترة البحث.

دور التشبيه واتجاهاته في تشكيل الصورة الأندلسية:

١ - الاتجاه التوضيحي الافهامي:

تنحصر أبعاده بما يمكن أن يوضح من مزايا المشبه، ويمكن أن نسميه بالصورة المفردة أي ما يكون فيها التشبيه حاصلا باعتبار صورة بصورة أو معنى بمعنى والشاعر فيه لا يقوم بمجهود تصويري خلاق بقدر ما يتولى تنبيه القارىء الى زوايا نظر جديدة تعوّض فيها الصورة الموصوف[١٧]، لأن الشاعر انتقل من نقطة الى نقطة في نفس العالم، كأن يصف محسوسا بمحسوس أو يصف مجردا بمجرد[١٨] كقول ابن حمديس يصف خيل الأمير ويعدّد أوصافها.

أو أشعل كالسيد عرّض سابحا
فحسبته بالايطلين غزالا
أو ادهم كالليل اما لونه
فلكم تمنى الحسن منه خيالا[١٩]

ونورد مثالا آخر لابن عبدون يصف فيه السيوف يقول:

فيوردها ظماء وهي ماء
ويصدرها رواء وهي نار[٢٠]
ويقرضها اعاديه لجينا
وترجع وهي لو سلمت نضار

فهو يشبه السيوف في نصاعتها وبياضها بالماء قبل أن تسلط على الأعداء، ولما تُسلط عليهم يشوبها لون الدم فتصبح شبيهة بالنار في اللون وكأن هذه السيوف تكون عطشى لتكرع من دم الأعداء فترتوي ثم يعوّض هذه الصورة بصورة أخرى للتوضيح والافهام، فيقول عندما يسلطها على أعدائه فلونها يكون شبيها باللجين الأبيض ولما ترجع تصبح شبيهة بالذهب

الأحمر. وهذه الصورة نقلها من بيت ابي الشيص:

فاوردها بيضا ظماء صدورها
وأصدرها بالري الوانها جمر[٢١]

وكذلك نورد قول الشاعر ابن صارة وهو يُستَدْعَى الى مجلس أنس يقول:

لا تدعني في كف الزمان سدى
كالقوس عطلها الرامي من الوتر[٢٢]
وقد تلين الليالي بعد قسوتها
ويسمح الورد بعد الشوك بالزهر

وقوله أيضا في صورة تشبيهية أخرى مصدرها الانسان والطبيعة:

وبستان ورد في مطارف سندس
يرف على غيد السوالف ميّد[٢٣]
نظرت اليه في الكمام فخلته
نوائب تبر عمّمت بزبرجد

ومن الصور التوضيحية التي يلجأ فيها الشاعر الى التفصيل في اللون والاصباغ ما تراه عند ابن خفاجة في وصف فرسه الأشقر:

وأشقر تضرم منه الوغى
بشعلة من شعل الباس[٢٤]
من جلنار ناضر لونه
وأذنه من ورق الآس
يطلع للغرة في شقرة
حبابة تضحك في الكأس

ونجد صورا كثيرة في وصف النارنج من حيث لونه وشكله وأغصانه يقول ابن صارة الشنتريني:

أجمر على الأغصان زادت غضارة
به أم خدود أبرزتها الهوادج[٢٥]
وقضب تثنت أم قدود نواعم
أعالج من وجدي بها ما أعالج

ويقول عن شخص مهفهف يختال في ابراده شبه خفقات جوانحه بحركات جفونه فالصورة فيها ابداع وجمال وقد استخدم لها أداة التشبيه الفعل، حاكيت، يقول:

وعاينت في مرآة وهمي خدّه
فحاكيت فعل جفونه بجوانحي[٢٦]
لا غرو ان جرح التوهم خدّه
فالسحر يفعل في البعيد النازح
قامت عليّ شواهد من حبه
فأرى الكناية فيه كالافصاح

وهذا النوع من التشبيه تكون العلاقة فيه بين طرفيه بيّنة واضحة تدرك من دون تأويل فهو تشبيه الشيء بالشيء من جهة الصورة والشكل نحو أن يشبه الشيء اذا استدار بالكرة في وجه وبالحلقة في وجه آخر، والتشبيه من جهة اللون كتشبيه الخدود بالورد والشعر بالليل والوجه بالنهار.. أو جمع الصورة واللون كتشبيه الثريا بعنقود الكرم المنثور.. وكذلك التشبيه من جهة الهيئة كتشبيه القامة بالرمح[٢٧].

كقول الشاعر الطليق القرشي متغزلا:

أنت كالبدر يرى الليل به
مؤنسا وطورا موحشا[٢٨]

الاتجاه التصويري:

يفيد ابراز صورة حسية تسهم في تثبيت هيئة المشبه في الذهن وتتجلى قيمة هذا التشبيه في الناحية التصويرية المظهرة لصفات المشبه[٢٩]، فالشاعر في هذا الاتجاه ينتقل من نقطة في عالم الى نقطة أخرى تنتمي الى عالم آخر، كأن يصف محسوسا بمجرد أو مجردا بمحسوس فنسمي هذا تحويلا. لأن الشاعر يولد من الموصوف صورة مختلفة يعمل الخيال كثيرا في بلورتها[٣٠]، كما نرى ذلك في احدى صور الأعمى التطيلي التي تعرض فيها لوصف الصحراء، وهو يرمز بها الى حالته النفسية ومعاناته البائسة وظروفه

القاسية، فصحراؤه التي قد تكون أعماقه تنبت الملل والسأم وهي شاحبة كأيام الصدود يقول:

وبيد كأيام الصدود ترى الضحى
بها شاحبا لا من شكاة ولا حب[٣١]

فانه شبه الحسي بالمعنوى ومثال ذلك أيضا نجده عند ابن اللبانة في قوله:

ويوم كحاشية الرداء المعلم
أوفى بسرّ مسرّة لم تكتم[٣٢]
شاهدته وكأنه من روضة
وكأنني من طائر مترنم

فانه يشبه المعنوي بالحسي وهذه الصورة تحمل جوانب نفسية الشاعر المبتهجة، ومثال ذلك أيضا نجده عند ابن صارة في هجاء صاحب له:

وصاحب لي كداء البطن صحبته
يودني كوداد الذئب للراعي
يثني عليّ جزاه الله صالحة
ثناء هند على روح بن زنباع[٣٣]

ويؤلف ابن حمديس بين المعنويات والحسيات في براعة كبيرة كقوله في وصف شمعة:

تمشى لنا نورها في الدجى
كما يتمشى الرضا في الغضب[٣٤]

ويبدع ابن خفاجة في تصوير الحنين والشوق في صورة محسة للغريب الذي يذكره الغروب بوطنه فيقول:

أبدا احنّ اليك شوقا
كالغريب مع الغروب[٣٥]

وهناك مجموعة من التشبيهات لابن سهل الأندلسي تدخل ضمن الاتجاه التصويري. يقول واصفا امرأة حسناء:

وزاهرة المرأى معطرة الشذا
قد ابتدعت خلقا من المسك والنور
رقت مثل مذعور الظباء وانما
مشت مثل ما يمشي القطا غير مذعور[٣٦]

ولا يخلو بعض مديحه من المعاني الطريفة كالتي خلعها على ممدوحه أبي عمر بن الجدّ:

أضحى أبو عمر بن الجدّ منفردا
في الناس كالغرة البيضاء في الدهم
محببا كالصبا في نفس ذي هرم
معظما كالغنى في عين ذي عدم[٣٨]

في الأمثلة التي مرّت معنا رأينا جذور الموضوع الموصوف في عالم وجذور الصورة الواصفة في عالم آخر فاضمحل الحاجز الذهني الذي يفصل المحسوس عن المجرد ويخلي السبيل الى عالم واحد موحد وذلك بفضل الخيال الذي قام بعملية التحويل.

الصورة التشبيهية المركبة:

ينتزع وجه الشبه في الصورة المركبة من أمور يجمع بعضها الى بعض، وتتولد هذه الصورة في نظر بعض النقاد في عدّة أشكال منها: تشبيه المركب بالمركب أي ما كان طرفاه مركبان من عدّة أمور مجتمعة متداخلة حال الشيء أو هيئته المتمثلة في تركيب صفات أو هيئات تجسد أوضاعها[٣٩]، ومن ذلك قول ابن صارة في وصف عصا له:

ولى عصا من طريق الذم أحمدها
بها أقدم في تأخيرها قدمي
كأنها وهي في كفي أهش بها
على ثمانين عاما لا على غنمي[٤٠]

هذا الوصف من التواصل الشعوري والاسقاط النفسي بين الشاعر وموضوعه، والصورة المركبة تركيبا جيدا نجدها عند ابن الزقاق في قوله:

وكـأن البـحـر إذ طلعت ذكـاء
ولاح بمنتـه منهـا شـعـاع
جـيـوش في السـوابغ قـد تبـدى
لبـيض الهند بينهمـا التمـاع[٤١]

وابن الزقاق يتصيد الصورة المركبة فيعتمد على المقارنة والمطابقة في تصنيع صوره ويتجلى ذلك في قوله:

نشـر الورد في الغـدير وقـد د
رُجتـه بالهـيـوب نشـر الرياح
مـثل درع الكمي فـرقـهـا الطعن
فـسـالت به دمـاء الجـراح[٤٢]

ويعكس الصورة للمبالغة فيقول:

والسـيف دامي المضـربين كـجـدول
في ضـفـتيـه شقـائق النعـمـان[٤٣]

ومن الصور التركيبية الطريفة المبتكرة والتي فيها طاقة تصويرية وتخيلية ما نجده عند الرصافي النبلسي من لوحات وصفية منها وصف نهر تظلله شجرة:

ومـهـدّل الشطين تحـسـب انه
مـتـسـيل من درة لصـفـائه
فـاءت عليـه مع الهـجـيرة سـرحـة
صـدئت لفيـئتـهـا صـفـيحـة مـائه
فـتـراه ازرق في غـلالة سـمـرة
كـالدرع اسـتلقى بظل لوائه[٤٤]

ويكثر الخيال الدقيق في الوصف عند ابن حمديس فيرسم الصورة المركبة تركيبا جزئيا أو كليا ويستوفي في عناصرها فيقول واصفا جدولا ينبعث من عين ماء:

ومـرو صدى الروضـات يسـحب دائبا
على الأرض منه جـملة تتـبـعض
اذا مـا جـرى واهتـز للعين مـزيدا
حـسـبت به فـروا من النسـر ينفض

وتنسـاب منه حـيـة غـيـر أنهـا
تطول على قـدر المسـاب وتعـرض
له رعـدة تعـتـاده في انحـداره
كـمـا تبـسط الكف العنان وتقـبض
كـأن له في الجـسم روحـا اذا جـرى
به نهضـة والجسم بالروح ينهض[٤٥]

ويتـوسل الشـاعـر الأندلسي بألوان الزهور لخلق الصورة المركبة الطريفة فيبدع في ذلك، فاللون الأحمر في الورد يذكر ابن اللبانة بخدّ الحبيب يقطر خجلا يقول:

والورد تحت الطل فـيـهـا مـشـبـه
هدا ينوب من الحـيـاء فـيـقطر[٤٦]

واللون الأحـمـر أيضـا عند الأندلسيين مـصـحـوب بالدم والجراح والقتال يقول ابن الزقاق:

والغـصـن فـوق الماء تحت شـقـائق
مـثل الأسنة خـضـبت بدمـاء[٤٧]

ونجد أمثلة أخرى للصورة الأندلسية المركبة في تشبيه المفرد بالمركب والمركب بالمفرد أي أن المشبه به أو المشبه يتألف من عدة أمور مركبة كقول ابي الحسن جعفر بن عثمان المصحفي:

كـأنمـا السـوسـان صبٌ مـدنف
لعـبت يداه بجـيـبـه المشـقـوق
يـوم الـوداع ومـمـزقت أثوابـه
جـزعـا عليـه ايمـا تمزيق[٤٨]

ومن الصورة المركبة ما نجدها عند ابن بقي في قوله وهو يمدح:

اقبلت بالجـيـوش ملمـومـا كـتـائبـه
كأنك البدر تحت العارض الهطل[٤٩]
في فـتـيـة كـسـيـوف الهند أنحلهم
حب الصـوارم والخطيـة النبل

وتيمـوا بعيـون غيـر فـاترة
من الاسنة لم تهـجع مع المقل
ان لا تكن أعينا نجلا فـان لهـا
في أضلع القـوم مثل الأعين النجل

فالممدوح وسط كتائب جيشه شبهه بالبدر وسط المطر فهو يظهر رغم كثافة المطر، ثم يعود الى أفراد هذا الجيش فيقول فتية كسيوف الهند خفة واستقامة قد انحلهم حب السيوف والرماح وهم دائما يقضون منتبهون أعينهم حادة مثل الأسنة الحادة التي يتقلدونها والتي تحفر في أضلع الاعداء حفرا شبيهة بالأعين النجل الواسعة. فهذه الصورة المركبة مصدرها الحرب وأجواؤها رغم أنها في المدح. ونرى صورة أخرى عند ابن سوار وهو يمدح:

أغـر طليق الوجـه يهتـز للندى
كما اهتز مصقول الفرند يماني[٥٠]

ومن الصور التشبيهية المركبة التي مصدرها الانسان وأحواله وصفاته تشبيه ابن اللبانة للورد الذي يقطر منه الماء كالخد الذي يذوب من الحياء فيقطر، ثم يخصص من هذا الورد النرجس ويمنحه صفات الشاعر، انه خجل مثله فعلا صفحة اللون الأصفر يقول في هذه الأبيات:

والورد تحت الطل فيـهـا مشبـه
خـدا يذوب من الحيـاء فـيقطر[٥١]
وكـأن نرجسـهـا أصيب بروعتي
فـعـلا لون مـثل لوني أصـفـر
فكأنما الريحـان روحي كلمـا
تتـغيـر الأشـيـاء لا يتـغيـر

ونجد الصورة الطبيعية المركبة التي مصدرها الآلة الحربية في قول ابن اللبانة:

ومـا هو نهـر أعشب النبت حوله
ولكنه سيف حمـائله خضـر[٥٢]

وهناك الصورة المركبة التي مصدرها الحضارة كقوله أيضا وهو يمدح ناصر الدولة صاحب جزيرة ميورقة فيقول:

وغـمـرت بالاحسـان أفق ميـورقـة
وبنيت فـيهـا مـا بنى الاسكندر[٥٣]
فكأنهـا بغـداد أنت رشـيـدهـا
ووزيرها وله السـلامـة جـعـفـر

ومن الصور المركبة التي مصدرها جو الحرب ينتقل الشاعر الى جو الطبيعة فيأخذ تشبيهاته منها كقول ابن الزقاق وهو يشبه مركبا بمركب:

والسـيف دامي المضـربين كـجـدول
في صفحتيه شقـائق النعـمـان[٥٤]

وأحيانا يذهب الشاعر بعيدا في الصورة المركبة ليقربها الى الأذهان والافهام فيستعين بصورة أخرى للتفصيل في الشكل واللون والفعل يقول ابن صارة:

ياربَّ، نارنجـة يلهـو النديم بهـا
كـأنهـا كـرة من أحـمـر الذهب
أو جـذوة حـملتـهـا كفّ قـابسـهـا
لكنهـا جـذوة مـعـدومـة اللهب[٥٥]

وهناك صورة جميلة يرسمها ابن صارة للبدر يشكلها من اللون يقول:

انظر الى البـدر واشـراقـه
على غـدير مـوجـه يزهـر[٥٦]
كـمشـحـذ من حجـر أخضـر
خطَّ عليـه ذهب أحـمـر

ونجد عند ابن السيد البطليوسي المشبه مركباً والمشبه به مفرداً يتألف من صورتين للتفضيل يقول:

ترى ليلنا شـابت نواصـيه كـبـرة
كما شبت، أم في الجو روض بهار؟[٥٧]

ونفس الشيء عند ابن بقي القرطبي في قوله:

الا انما الدنيـا كـراح عـتـيـقـة
أراد مـديروها بهـا جلب الأنس
فلمـا أداروها أثارت حـقـودهم
فعاد الذي راموا من الانس بالعكس[٥٨]

فالتشبيه المركب أو الصورة المركبة يكون طرفا التشبيه فيها هيئة حاصلة من عدّة أمور متداخلة أجزاؤها بعضها ببعض فالشاعر عندما يستخدم التشبيه المركب يدخل في التفصيل كما يقول عبد القاهر الجرجاني «فانك متى زدت في التشبيه على مراعاة وصف واحد أو جهة واحدة فقد دخلت في التفصيل والتركيب وفتحت باب التفاصيل ثم تختلف المنازل في الفضل بحسب الصورة في استنفادك قوة الاستقصاء أو رضاك بالعفو دون الجهد»[٥٩]

ويضيف عبد القاهر «إن مما يزداد به التشبيه دقة وسحرا أن يجيء في الهيئات التي تقع عليها الحركات، والهيئة المقصودة في التشبيه على وجهين: احدهما: أن تقترن بغيرها من الأوصاف كالشكل واللون ونحوهما والثاني: ان تجرد هيئة الحركة حتى لا يراد غيرها»[٦٠] ويمكن أن نضيف الى الصورة التركيبية التشبيهية استقصاءها للمعاني من خلال التفصيل فابن حمديس يصف حمامة يقول:

وناطقة بالراء سـجـعـا مـرددا
كـحسن خـرير من تكسـر جـدول
مـغـردة في القـضب تحسب جيـدها
مـقلّد طوق بالجـمـان المفـضّل
اذا ما امّحى كحل الدجى من جفونها
دعتك الى كأس الغزال المكحّل[٦١]

هذه الصورة واضحة الدلالة في تصور الشاعر للحمامة فهي مخلوق مغرد يشيع الحيوية والبهجة، ويسري عن النفوس حزنها وأساها ويضعها أمام الجوانب المشرقة من الحياة، والتي تتمثل في خرير الماء وانسيابه عبر الجداول وتغريد الطيور وانشادها على الأغصان التي تعبث بها الرياح، وما يضفى ذلك على الانسان من الهدوء والرضي، ويستعمل الشاعر لذلك الألوان الزاهية لتكتمل الصورة، وقيمة هذه الصورة تبدو فيما تمتاز به من التأكيد على الجانب المتفائل للحديث عن الشراب ووصف بعض مظاهر الجمال، حتى جاءت الصورة مرآة للشاعر نفسه ونقطة اشعاع للأمل والنور، ويظهر ذلك واضحا في حالة الشاعر ومظهره حين يغمر الفرح نفسه، فالشاعر في هذه الصورة استعان بالحركة والصوت والألوان واسقاط حالة الحمامة على حالته ومشاعره فالمعيار الأول في التشبيه هو الحمامة في حالة غنائها والمعيار الثاني الذي يوضح الأول هو خرير الماء وتكسّره في الجدول.

التشبيه التمثيلي:

هو التشبيه الذي يجعل فيه وجه الشبه بضرب من التأويل وتكون مساحة التفكير واسعة والخيال فيه أعمق، وهو تشبيه الصورة للدلالة على طبيعة وجه الشبه ذلك لأن الصفات التي ينتزعها من طرف التشبيه لتجمع بينهما تلتقي خطوطا وألوانا وهيئة وحركة لتشكل صورة مشتركة جديدة لا هي محضة للمشبه ولا هي خالصة للمشبه به، فتشبيه الصورة هو الذي جاء فيه وجه الشبه صورة منتزعة من عدة أوصاف متمازجة في كيان موحد وهذا النوع من التشبيه له تأثير في النفس[٦٢]، ويكون وجه الشبه محتاجا الى تأويل والمعنى يتمثل أمام أعيننا كأنه يحدّث ويتحرك بما يضفى عليه من الحياة والحيوية وبما يدخل فيه من جمل تكوّن بائتلافها مجموعة الصورة[٦٣]، واثر التمثيل يظهر في نقل النفس من العقلي الى الحسي والوصف يحتاج الى اقامة الحجة على صحة وجوده في نفسه وزيادة التثبت[٦٤]، وللتمثيل تأثير في المتلقي ويقول في ذلك عبد القاهر الجرجاني «ان المعنى اذا أتاك ممثلا فهو في الاكثر ينجلي لك بعد أن يحوجك؛ الى طلبه بالفكرة وتحريك الخاطر والهمة في طلبه»[٦٥].

والدراسة التي دارت حول التشبيه التمثيلي استقرت حول وجه الشبه بين الأفراد والجمع والتركيب فوجه الشبه المفرد قد يكون حسيّا أو عقليا، ووجه الشبه المركب تركيبا اعتباريا يجعله بمنزلة الواحد بأن يكون حقيقة ملتئمة وأوصافا مقصودا من مجموعها هيئة واحدة، وهي اما حسية أو عقلية، وهناك وجه الشبه المتعدد أي يذكر الشاعر عددا من أوجه الشبه[٦٦]، ونجد في هذا الاتجاه التصويري نماذج كثيرة في الشعر الأندلسي، في فترة بحثنا هذا نكتفي ببعض منها، فابن حمديس يصف زهرة الشقائق قائلا:

فلم تر عيني بينها كشقائق
تبلبلها الأرواح في القضب الخضر
كما مشّطت غيد القيان شعورها
وقامت لرقص في غلائلها الحمر[٦٧]

ـ ويشبه ابن أبي العافية السوسن فيقول:

كأنما السوسن الغضُّ الذي افتتحت
منه كمائمه المبيضة اللون
بنان كفِّ فتاة قطُّ ما خضبت
تلقى بها من يراها خيفة العين[٦٨]

ـ وقول ابن سهل في وصف حبيبه:

مستحسن الأوصاف ممنوعها
فلا ترمه بسوى الفكر
كالماء في السحب وكالدر في الـ
أصداف والشادن في القفر
در ثناياه وألفاظه
فلقبوه الكوكب الدري
كأنما الخال على خده
سواد قلبي في لحظى الجمر[٦٩]

ـ شبه مفاتن الحبيب بأوصاف حسية استمدها من مظاهر بيئته، وهناك تشبيهات تمثيلية مصدرها الطبيعة كقول الأعمى التطيلي:

والناس كالناس الا ان تجرّبهم
وللبصيرة حكم ليس للبصر[٧٠]
كالأيك مشتبهات في منابتها
وانما يقع التفضيل بالثمر

ـ ومن الصور التمثيلية ما نجده عند ابن اللبّانة:

يروقك في أهل الجمال ابن سيد
كترجمة راقت وليس لها معنى[٧١]
حكى شجر الدفلاء حسنا ومنظرا
فما أحسن المجلى وما أقبح المجنى

ـ وكقوله يمدح:

الأرض حاجتها اليك بطبعها
كالعين حاجتها الى الانسان[٧٢]
عالج بسيفك ما وراء بحورها
فعليلها في أصعب البحران

ـ فالتشبيه التمثيلي أكثر تركيبا وأوسع عطاء في رسم الصورة، يشهد للشاعر بالبراعة والمقدرة على التشكيل فهو ظاهرة بارزة عند الأندلسيين. حيث تتكون الصورة من أجزاء متعددة في كل من طرفيها حتى يحقق للمتلقى الامتاع الحسي والاشباع الفني، وتحتوي كل صورة تشبيهية تعتمد على التمثيل على عناصر وجزئيات مكونة لها وتفصيلا تركيبية أو حركية تقوم بدورها الذى وظفها الشاعر فيه لتوضح ما سبقها وتؤكده وتبين ما خفي فهمه. فالشاعر يوضح اثر المشبه في نفسه ثم يصوغ هذا الأثر في صورة ينسج خيوطها من البيئة مثلا أو من غيرها. ويتوسل لرسم الصورة التمثيلية برصد الحركة فيصور اهتزاز النبات وترنحه ضاحكا وسط روضته الخضراء بصورة الشارب المترنح من النشوة، حيث تعتمد الصورة على رصد الحركة بين الطرفين وتنمو الصورة في التشبيه التمثيلي فيجعل الشاعر المشبه به أكثر من صورة وأكثر من جزئية إمعانا في الابانة والايضاح، وعلى

المتلقي أن يختار أقرب الجزئيات المصورة المؤثرة فيه وقد ترك الشاعر الاختيار لنفسه عندما يستخدم أداة العطف - أو - بين طرفي صورته، فيما مضى معنا من الصور التشبيهية نجد الرؤية التشبيهية متضحة عند الشاعر الذي سخر خياله لادراك ما خفي من العلاقات بين الأشياء في رسمه للصور التشبيهية التي وقعت عليها حواسه وخوالجه فلم يصفها الشاعر بمعزل عن شعوره وعواطفه بل مزج تصويره بعاطفته واحساسه فطابق جوّه النفسي بجوّه الفني وبرزت ألوان صوره ملائمة بين الشعر والشعور وخرجت عنده درجات عديدة بين التشبيهات الحسية والمعنوية والمفردة والمركبة استلهم بعضها من وحي التراث وجدّد فيها بما أملته عليه متطلبات التطور في عصره وابتكر في بعضها فأتى بصور تشبيهية بارعة. فشكل المادي المحسوس عنصرا بارزا في التشبيه فعقد الصورة بين طرفين محسوسين أتى بها من الواقع، وتمثلت الصور المركبة في البيتين أو البيت الواحد فالمشبّه في الأول والمشبه به في الثاني وربط بين الطرفين بأداة التشبيه ثم رفع من مقدرة المشبّه به على المشبه. ويلجأ الشاعر الى التفصيل في الصورة فيستعين بصورة أخرى وينوّع في أدوات التشبيه بين الحرف والفعل، وتكون الصورة قوية عندما يفسر ويفصل في الطرف الثاني من التشبيه. ويصور المحسوس في صورة المعنوي والمعنوي في صورة المحسوس في أسلوب يقوم على اثارة الانفعال.

الصورة الاستعارية:

- الاستعارة ودورها في تشكيل الصورة البيانية:

أهميتها: الاستعارة وسيلة للتعبير بالتصوير تؤثر بشحناتها النفسية وومضاتها الحسية والفكرية النابعة عن التجربة الصادقة. وتفيد الصورة الاستعارية شرح المعنى، وتفعل في النص مالا تفعله الحقيقة، ثم هي طريقة للتجديد والتوليد لأنها تكشف عن صور جديدة ومعان بديعة[٧٣]

سنتناول في هذا البحث بنية الاستعارة كصورة محددة المعالم ونذكر أوجهها المستخدمة في الشعر الأندلسي، وعلاقتها بأركان الصورة البيانية الأخرى ولا يهمنا كلّ التحديدات التي لحقت الاستعارة عبر العصور بقدر ما يهمنا استخلاص وتحليل بنيتها وتوظيفها والدور الذي تلعبه في التعبير. فالاستعارة جزء من عملية المجاز وجوهرها يقوم على عملية الانتقال من دلالة الى دلالة والعلاقة التي تربط بينهما هي علاقة المشابهة، اذا فالانتقال والمشابهة هما ركنان أساسيان في تكوينها[٧٤]، وقد عرفها الجاحظ بقوله: «الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره اذا قام مقامه»[٧٥] وهذا التعريف لا يوضح أركانها وخصائصها. وعرّفها ابن المعتز تعريفا لا يميّزها عن المجاز بشتى أنواعه ولكن عبد القاهر الجرجاني ميّزها عن المجاز المرسل فقال (الاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء وتظهره وتجيء الى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه)[٧٦] وهذا التعريف يقتصر على الاستعارة التصريحية فقد حصرها في المشبه به بينما المكنية هي تشبيه حذف منه المشبه به. ولكن السكاكي يعرفها فيضم نوعيها، يقول:

«وهي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك باثباتك للمشبه ما يخص المشبه به»[٧٧] والاستعارة وجه بلاغي تنتقل به دلالة اللفظة الحقيقية الى دلالة أخرى لا تتناسب مع الأولى الا مَن خلال تشبيه مضمر في الفكر[٧٨] وتتكون الصورة الاستعارية من عملية الجمع والتقريب بين حقيقتين متباعدتين ويكون عنصر التماثل أو المشابهة عنصرا مميّزا للاستعارة عن باقي الأوجه البلاغية.

أقسامها:

وقد قسّمها البلاغيون باعتبار ما يذكر منها من الطرفين الى استعارة تصريحية واستعارة مكنية، فالتصريحية هي ما صرح فيها بلفظ المشبه به دون

المشبه، والمكنية هي التي اختفى فيها لفظ المشبه به واكتفى بذكر شيء من لوازمه دليلا عليه[٧٩].

غرض الاستعارة:

تهدف الاستعارة المكنية كأداة فنية لتحقيق غرضين حسب طبيعة المشبه به المحذوف ولازمه المثبت للمشبه. فالغرض الأول هو تجسيد الأمور المعنوية وابرازها للحس في كيان مادي ملموس. والثاني هو تشخيص الجمادات وبثّ الحياة فيها ومنحها الحركة بشتى مظاهرها[٨٠]. والغرض من الاستعارة كما قال عبد القاهر الجرجاني هو أنك ترى بها الجماد حيّاً ناطقا والأعجم فصيحا والأجسام الخرس مبينة والمعاني الخفية بادية جلية، ومن خصائصها انها ترينا المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون[٨١]، ذلك لأن الخيال حين يستعين ببعض العناصر الحسية فانما يبغي غاية هي التسامي، فليست غاية الاستعارة هي تقديم المعنى للاقناع به معتمدة على الوضوح البصري أو الحسي فحسب بل من أجل اضفاء الحياة والحركة على الجمادات وجعلها تتحرك في الذهن حركات تنبعث منها اشعاعات ايحائية لا يمكن أن يصل اليها التعبير المجرّد[٨٢]، والتوتر في الاستعارة وليد التفاعل بين المستعار والمستعار له وقد تتولد عنهما معان هي المعنى الثالث، والشاعر هو الذي يصل بفضل مخيلته الى ادراك العلاقات الخفية بين الحقائق فيقرب بينها مجازا، فكلما كانت المسافة بين قطبي الاستعارة كبيرة كان التيار المنبثق من تجسيد الفكرة في الوهج الاستعارى قويا والمسافة بين الحقيقة الأولى والثانية هي التي تحدد قيمة الاستعارة[٨٣]، وعندما تبتعد الحقيقة الأولى عن الثانية يضطر القارىء الى بذل جهد عقلي أقوى للكشف عن العلاقة القائمة بينهما وهذه العملية تقوى بقوة الاستعارة التعبيرية الايحائية وتثير في نفس القارىء غبطة، ويذكر عبد القاهر الجرجاني التطرف في صعوبة بلوغ العلاقة فيقول ان الغموض في اكتشاف العلاقة بحيث لا يبلغ حد التعقيد والتعمية أو المحال[٨٤]، ويضع الصورة الشعرية درجات ويعطي أمثلة للصورة الغامضة في الاستعارة[٨٥].

الفرق بين الاستعارة والتشبيه:

أهم فرق هو أن الاستعارة تقوم على عملية انتقال في المعنى من مدلول الى مدلول آخر، أما في التشبيه فكل لفظة تحافظ على معناها الحقيقي، والنقطة الثانية هي عملية التطابق فالاستعارة تسعى الى تحويل الحقيقتين الى حقيقة واحدة أو توحي بأنها توحد بينهما، وفي التشبيه هناك تواجد الحقيقتين فتبقى كل حقيقة محافظة على ذاتها.

وقد توسل الشاعر الأندلسي بأشكال وأنوا ع من الاستعارات للتعبير عن خوالجه وأفكاره وبيئته وعن كل مظهر من مظاهر الحياة. فاذا راجعنا عددا من صور ابن خفاجة في وصف الفرس نجد عنده ألوانا من الاستعارات الى جانب الفنون البلاغية الأخرى ونذكر من ذلك وصفه لفرس أشهب يقول:

أجنوب تقتاد لي من جنيب
أم شمال عنانها بشمالي
جال في أنجم من الحلي بيض
وقميص من الصباح مذال
أشهب اللون أثقلته حليٍ
خبَّ فيهن وهو ملقى الجلال
فبدا الصبح ملجما بالثريا
وجرى البرق مسرجا بالهلال[٨٦]

هذه لوحة فنية فيها الاستعارات ناطقة حيث جعل الشاعر رياح الجنوب منقادة له طائعة ورياح الشمال قد أسلمت عنانها بيده وكانت خاتمة الصور، هذه الصورة التي تحوى حشدا من الاستعارات تمثلت في أن الصبح قد ألجم بالثريا وان البرق صار جوادا والهلال سرجه، وهذا خلاف ما تعارف عليه الناس. وقريب من هذا قول الداني في وصف فرس أشهب أيضا سار على نفس نهج ابن خفاجة من حيث

استعارة صفات معنوية الى المحسوس أو استعارة الصفات المحسوسة للمعنوي مع المحافظة على جمال التعبير ودقة التصوير والبراعة في الافادة من عنصر الخيال في تأليف الصورة الأدبية الفنية المعبرة يقول الشاعر:

وأشهب كالشهاب أضحى
يختال في مذهب الجلال
قال حسودي وقد رآه
يخب ويختال الى القتال
من الجم الصبح بالثريا
واسرج البرق بالهلال[٨٧]

فالشاعر استعان لتأليف هذه الصورة بالتشبيه فجعل جواده شهابا ثم نقل الشهاب الى المحسوس وجعله يختال عجبا وتيها وتهدف الاستعارة الى تحقيق تجسيد الأمور المعنوية وإبرازها للحس في كيان مادي وتشخيص الجمادات وبث الحياة فيها وجعلها تتحرك كما هو مبيّن عند ابن خفاجة في وصفه لمجلس أنْس ولهو في حديقة شَخَّصَ جماداتها وأعطاها سلوكا انسانيا وأفعالا بشرية يقول:

سقيا ليوم قد انختُ بسرحه
ريًا تلاعبها الشمال فتلعب
سكرى يغنيها الحمام فتنثني
طربا ويسقيها الغمام فتشرب
يلهو فترفع للشبيبة راية
فيه ويطلع للبهارة كوكب
واهتز عطف الغصن من طرب بنا
وافترّ عن ثغر الهلال المغرب[٨٨]

نلاحظ في هذه الأبيات الاستعارية أن شعور الشاعر يسبق التشخيص ويلقى عليه ظله ويبث فيه حياته، فنقل الشاعر هذه الأشكال في الحديقة كما وقعت في الحسّ والشعور. ومن الاستعارات التي اعتمدت على الأمور المعنوية قول ابن عبدون من قصيدة في المتوكل:

ركبت اليك جناح كل عزيمة
قرب الردى من خلفها مزود[٨٩]

- وله من قصيدة في الرشيد بن المعتمد:

اليك أبا الحسين ركبتُ عزما
يضيق برحب مسعاه الطلاب[٩٠]

- وقال في صورة أخرى تعتمد على المعنوي:

سجيريّ من نهر لا تخمشن
وجه الاخاء بظفر العذل[٩١]

- واعتمد الشاعر على أمور حسية لتكوين صورته الاستعارية كقوله:

وما أنسى ليلتنا والعناق
قد مزج الكل منا بكل[٩٢]
الى أن تقوّس ظهر الظلام
وأشمط عارضه واكتمل
ومس رقيق رداء النسيم
على عاتق الفجر بعض البلبل

واستخدم الشعراء الأندلسيون أيضا الاستعارات المفردة والمركبة في تصويرهم لنوازعهم وعواطفهم ممزوجة بالواقع فكانوا يستخدمون التركيب في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة. والاستعارة من هذا النوع تعرف بالتمثيلية وذلك لكي يرسموا الصورة بالخطوط والألوان والأشكال والحجوم ملتمسين وشائج اللفظة المستعارة المستمدة من نفس مبدعها. وفي هذا السياق يصور ابن خفاجة عهد الغرام مخاطبا البرق في قوله:

لك الله من برق تراءى فسلّما
وصافح رسما بالعذيب ومعلما
اذا ما تجاذبنا الحديث على السرى
بكيت على حكم الهوى وتبسما

ولم اعـتنق برق الغمـام وانما
وضعت على قلبي يديّ تألما
ومـا شاقني الا حفيف أراكة
وسجع حمام بالغميم ترنما
وسرحة واد هزّها الشوق لا الصبا
وقد صدح العصفور فجرا فهينما
اطفتُ بهـا اشكو اليهـا وتشتكي
وقد ترجم المكاء عنهـا فأفهما
تحنّ ودمع الشوق يسجم والندى
وقرّ بعيني أن تحن ويسجما
وحسبك من صبٍّ بكى وحمامة
فلم يدر شوقا أيما الصب منهما[٩٣]

والمتأمل في اللوحة الاستعارية المركبة يجد أن الشاعر يلجأ الى طريقة التجسيم والتشخيص حيث وصف البرق بانسان ثم حذفه وأبقى شيئا من لوازمه وهو السلام والمصافحة والحديث ليخرج الاستعارة المكنية، وكذلك ما فعله مع الشجرة حيث أضفى عليها الحياة والحركة وأعطاها مشاعر انسانية فجعلها تحنّ وتشكو، وهذه الاستعارة توحي لنا بالجو النفسي والتجربة الحزينة التي عاشها الشاعر من خلال الذكرى، ويمكن أن نقع على صور كثيرة تجسم المعنوى وتشخصه تشخيصا نابضا بالحياة والحركة فمن ذلك الصور الطريفة لابن سهل يصف محبوبه قائلا:

لحظ يرى القتل منى نفسه
والعار أن يترك قلب الخلي
غض الصبا يسفر عن منظر
احسن من عصر الصبا المقبل
صُورٌ من نور ومن فتنة
والناس من مـاء ومن صلصل[٩٤]

كل صورة استعارية تعطينا تجربة من تجارب الشاعر وليست استعارة وقتية تنتهي بانتهاء الصورة وانما هي موصولة بحالته النفسية وتجربته وآلامه وما يراه حوله وما يحسّ به فهي نتيجة للتأمل العميق في الحياة.

ونضيف شيئا مهما وهو ان المعنى الذى تبتكره الاستعارة ليس ترجمة للواقع أو صورة منه وانما هو معنى جديد جاء من تفاعل الحقيقتين.

وهكذا نكون قد رأينا جانبا من الصورة الاستعارية عند الشعراء الأندلسيين التي توسلوا فيها بالتشخيص والتجسيد وخلقوا من المعنى المجرّد كائنا حسيّا يحس وينطق وينشر الحياة بدبيبها والحركة بقوتها في الجماد. وقد شكلوا صورا قوامها الانسان والحيوان والطير وغيرها من عناصر الطبيعة، وأغلب أساليب الاستعارة اضافة الفعل الى المشبه والاتيان بأفعال مضارعة تحكي الحركة لتشخيص المعنوي، وأسقط الشاعر أحلامه وآلامه على استعاراته فعبرت عن ذاته ولعب الخيال دورا واسعا في الصور المتلاحقة.

الهوامش:

(١) البلاغة والتطبيق، ص ٣١١.
(٢) الصورة الفنية، جابر عصفور، ص ١٧٢.
(٣) نفس المرجع، ص ١٧٤.
(٤) البلاغة والتطبيق، ص ٢٦٧.
(٥) البلاغة والتطبيق، ص ٢٦٨.
(٦) نفس المرجع ، ص ٢٦٨.
(٧) الصورة الفنية، جابر عصفور، ص ١٨٥.
(٨) نفس المرجع، ص ١٨٦.
(٩) نفس المرجع، ص ١٩٤.
(١٠) نفس المرجع ، ص ٢٠٣.
(١١) البلاغة والتطبيق، ص ٢٧٠.
(١٢) نفس المرجع، ص ٣١٤ ـ ٣١٥.
(١٣) نفس المرجع، ص ٢٧٦ ـ ٢٧٧.
(١٤) الصورة الشعرية في الكتابة الفنية، ص ١١٥.
(١٥) خصائص الأسلوب في الشوقيات، ص ١٩٥.
(١٦) نفس المرجع، ص ١٩٥.
(١٧) ابن حمديس ١٧٤، الديوان، ص :٣٩٠.

(١٨) البلاغة والتطبيق، ص ٢٨٠.
(١٩) ابن حمديس، ١٧٤، الديوان، ص ٣٩٠.
(٢٠) الذخيرة، قسم٢، مجلد٢، ص ٧١٧.
(٢١) نفسه.
(٢٢) نفسه، ص ٨٤٨.
(٢٣) نفسه، ص ٨٤٢.
(٢٤) نفح الطيب، ج٣، ص ٣٤٥.
(٢٥) الذخيرة، قسم٢، مجلد ٢، ص ٨٤٠.
(٢٦) نفس المرجع، ص ٨٣٩.
(٢٧) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص ٧١، والصورة الشعرية في الكتابة الفنية، ص ١١٨.
(٢٨) الأدب العربي في الأندلس، عبد العزيز عتيق، ص ١٧٧.
(٢٩) الصورة الشعرية، ص ١١٩.
(٣٠) خصائص الأسلوب في الشوقيات، ص ١٩٥.
(٣١) الديوان، ص ١٣.
(٣٢) ابن اللبانة، ص ٩٤.
(٣٣) ابن صارة، ص ١٦٠.
(٣٤) الديوان، ص ٢٤.
(٣٥) ابن خفاجة، ص ٣٦.
(٣٦) ابن سهل، ص ٩٥.
(٣٧) نفس المرجع، ص ١٤٤.
(٣٨) نفس المرجع، ص ٩٩.
(٣٩) البلاغة والتطبيق، ص ٢٩٥.
(٤٠) ابن صارة، ص ١٦٠.
(٤١) ديوان ابن الزقاق، ص ٥٦.
(٤٢) الديوان، ص ١٣١.
(٤٣) الديوان، ص ٢٦٧.
(٤٤) الديوان، ص ٣٢.
(٤٥) الديوان، ص ٢٩١ ـ ٢٩٢.
(٤٦) شعر ابن اللبانة، ص ٤٥.
(٤٧) النوريات ٨٨.
(٤٨) نفسه، ص ٨٧.
(٤٩) الذخيرة، قسم ٢، مجلد ٢، ص ٦٢٠.
(٥٠) الذخيرة، قسم٢، مجلد ٢، ص ٨٢٤.
(٥١) شعر ابن اللبانة، ص ٤٦.
(٥٢) نفسه، ص ٤٦.
(٥٣) نفسه، ص ٤٧.
(٥٤) الديوان، ص ٢٦٧.
(٥٥) نفح الطيب، ج٣ ، ص ٦٠٢.
(٥٦) نفسه، ص ٦٠٠.
(٥٧) مختارات من الشعر الأندلسي، نيكل، ص ١٥٨.
(٥٨) نفس المرجع، ص ١٦٢.
(٥٩) الاسرار، ص ٢٠٦، الصورة البلاغية، ص ٥٨٢.
(٦٠) الاسرار، ص ٢٠٧، الصورة البلاغية ، ص ٥٨٢.
(٦١) الديوان، ص ٣٦١.
(٦٢) البلاغة والتطبيق، ص ٣٠٧.
(٦٣) الصورة البلاغية عند عبد القاهر، ص ٥٥٣.
(٦٤) نفس المرجع، ص ٥٥٨.
(٦٥) البلاغة والتطبيق، ص ٣٠٧.
(٦٦) الصورة البلاغية عند عبد القاهر، ص ٥٥٣.
(٦٧) نفس المرجع، ص ٥٥٨.
(٦٨) النوريات، ص ٨٧.
(٦٩) الديوان، ص ١٥٠.
(٧٠) الذخيرة، قسم ٢، مجلد ٢، ص ٨٤٥.
(٧١) شعر ابن اللبانة، ص ٩٨.
(٧٢) نفسه، ص ١٠٠.
(٧٣) البلاغة والتطبيق، ص ٣٦٥.
(٧٤) الصورة الشعرية، صبحي البستاني، ص ٦٩.
(٧٥) انظر البلاغة والتطبيق، ص ٣٤٣.
(٧٦) نفس المرجع، ص ٣٤٥.
(٧٧) البلاغة والتطبيق، ص ٣٤٦.
(٧٨) الصورة الشعرية، البستاني، ص ٦٩ ما قاله دوماسيه.
(٧٩) البلاغة والتطبيق، ص ٩٣٥٤.
(٨٠) نفس المرجع، ص ٣٥٦.
(٨١) الصورة البلاغية عند عبد القاهر، ص ٥١٨.
(٨٢) نفس المرجع، ص ٥٤١.
(٨٣) الصورة الشعرية، البستاني، ص ٩٢.
(٨٤) نفس المرجع، ص ٩٧.
(٨٥) نفس المرجع، ص ٩٩.
(٨٦) وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص ٢٩٢.
(٨٧) وصف الحيوان، ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣.
(٨٨) الديوان، ص ٣٦.
(٨٩) الذخيرة، قسم٢، مجلد ٢، ص ٧٠٦.
(٩٠) الذخيرة، قسم ٢، مجلد ٢، ص ٧٠٩.
(٩١) نفسه، ص ٧١٥.
(٩٢) نفسه.
(٩٣) الديوان، ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣.
(٩٤) ابن سهل، ص ١٤٥.



حوار مع الدكتور عبد القادر طاش المدير العام لقناة اقرأ الفضائية

(إقرأ) نجمٌ إسلامي في سماء العولمة الفضائية

في غرة شهر رجب ١٤١٩هـ/ ٢١ اكتوبر ١٩٩٨م، كان بداية الانطلاقة الحميدة لهذه القناة الوليدة (قناة اقرأ الفضائية)، أسستها (الشركة الاعلامية العربية).. الآن وقد مضى على بثها عام كامل، فإن المتتبع لهذه القناة يتبين بوضوح تميزها وتفردها في المضمون والأداء.

فهي قناة عربية إسلامية شاملة، تقدم برامجها باللغة العربية، وتنطلق من هدي القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.. وتمتاز بالشمولية في الموضوع وأسلوب العرض والتناول.

جاءت هذه القناة في وقت جأر الناس فيه بالشكوى من هذا العبث الاعلامي الذي تبثه الكثير من الفضائيات.. جاءت (اقرأ) لتستجيب لرغبات ملايين المسلمين في أنحاء المعمورة، في انموذج اعلامي هادف، يتغيَّا الكلمة الصادقة، والمعلومة الهادفة، لنشر الوعي الديني الصحيح.

ومن أهداف هذه القناة: ترسيخ المنهج الوسطي السمح للاسلام، وتقوية مشاعر الانتماء للهوية الحضارية للأمة، وتحصينها ضد محاولات الاستلاب الثقافي.. ودحض الشبهات المثارة حول الاسلام والمسلمين. وتهدف هذه القناة الوليدة الى المساهمة في عرض قضايا العصر وتساؤلاته، ومشكلاته المستحدثة وتوضيح الرؤية الاسلامية فيها.

ولقناة (اقرأ) دورها الفاعل في التعريف بالشعوب والدول الاسلامية، وتسليط الضوء على احوال الجاليات والاقليات المسلمة في شتى أنحاء العالم.. وقناة بهذا التصور المشرق وهذا الاداء الفريد الرائع، وسط كم هائل من الفوضى الاعلامية التى ضج المشاهد المسلم بما تبث، قناة بهذا التصور والتميز والتفرد من حقها على وسائل الاعلام المقروءة ان تقدم لها كلمة الشكر الدافعة لها أبداً على الاستمرارية في الاداء الجاد الملتزم.

ومن هنا جاء هذا الحوار الهادف مع الدكتور عبد القادر طاش مدير قناة اقرأ الفضائية.

***** بداية نود أن نقف على ملامح التوجه العام لـ (اقرأ) الفضائية..؟**

(اقرأ) قناة تنبع من دوحة الاعلام الإسلامي الذى يحاول أن يقدم للناس اعلاماً هادفاً يحقق كثيرا من احتياجات المشاهدين، ويلبى رغباتهم في رؤية إعلام نظيف جاد، يخدم قضاياهم، ويعمق ثقافتهم، ويروح عن أنفسهم، في حدود الضوابط القيمية التى هي بمثابة الحارس لاستقرار المجتمعات وأمنها، وطمأنينتها وعيشها في كنف آمن.

من هنا ننظر الى هذه القناة وفلسفتها وفكرتها الأساسية باعتبارها ملاذاً للأسرة العربية المسلمة، ونأمل - إن شاء الله تعالى - أن تجد في هذه القناة ما يشعرها بالأمان أولا، وما يحقق لها بعض ما تصبو اليه من آمال وتطلعات فتشبع بعض رغباتها وتطلعاتها الحقيقية في مجالات متعددة، يأتي على رأسها ولا شك الثقافة الدينية، باعتبار ان هذه الثقافة هى أس مجتمعنا الاسلامي.

قناة (اقرأ) الفضائية في كل أبعادها وفلسفتها محاولة لتوسيع دائرة مفهوم الإعلام الهادف، ليقرب من هذه الثقافة الدينية، والى ألوان متعددة من الثقافات المطلوبة لتكوين الانسان المسلم المعاصر، سواء في المجالات الفكرية والثقافية أو في المجالات السياسية والعلمية والاقتصادية، أو في المجالات الاجتماعية.

و(اقرأ) لا تغفل الجانب الترويحى، إذ تقدم جانباً من الترويح البرىء الذي يحقق للانسان توازنه النفسي والاجتماعي.

***** الآن وقد مضى عام على هذه التجربة المتفردة**



الدكتور عبد القادر طاش المدير العام لقناة اقرأ الفضائية

المتميزة لـ (قناة اقرأ)، ما تقييمكم لهذه التجربة، وما ملامح الرؤية المستقبلية لـ (اقرأ)؟؟

تجربة (اقرأ) في مضمونها الكلي، جديدة في مجال الإعلام، بل من قبيل ذكر الواقع دعونا نقول إنها رائدة، فهي ربما تعد اول قناة فضائية ذات طابع إسلامي ـ صحيح إن هناك مجموعة من القنوات العربية التي سبقت اقرأ في الاهتمام بالثقافة الاسلامية بشكل عام في كثير من برامجها ـ مثل قناة الشارقة مثلا ـ لكن تختلف تجربة قناة (اقرأ) في انها ارادت ان تقدم منظومة متكاملة وفق المفهوم الشامل للاعلام الاسلامي، وبذلك ربما اعطاها هذا تميزاً وريادة أيضاً في هذا الميدان.

يبقى بعد ذلك، ما الذي حققته قناة اقرأ خلال عام من عمرها في هذا الميدان؟، وفي هذه التجربة الفريدة لتجسيد هذا المفهوم الشامل والمتكامل للإعلام الاسلامي الهادف؟!

وبكل تواضع نقول، إن التجربة لا تزال في بدايتها ومن ثم من الصعوبة بمكان ان نخرج بحكم شامل ونهائي، ونعتقد بعامة إن القناة استطاعت ان تحقق بعض اهدافها التي كانت قد وضعتها نصب عينيها في بداية مشوارها.

لكن تبقى هناك مجموعة من الأهداف التي لم نستطع تحقيقها، هذا من جانب، ومن جانب آخر حداثة التجربة وقلة الخبرة من قبل القائمين علي هذه التجربة، كان لهما أثرهما في عدم اتضاح جوانب كثيرة من الصورة المثلى التي نود ان نصل إليها، الى جانب ذلك هنالك أيضاً مجموعة من العقبات والمعوقات التي لابد من مواجهتها ولابد من الاعتراف بان لها دوراً في عدم التمكن من تحقيق كل ما نصبو إليه.

وبشكل عام نعتقد أن التجربة يكفيها على الأقل انها رائدة، ويكفيها انها ربما أعطت الامل في ان مثل هذا المشروع (اقامة قناة هادفة ومن منظور اسلامي)، اعطت الأمل في أنه أمر ممكن وليس مستحيلا، وأن هناك آفاقاً كبيرة يمكن ان ينطلق إليها مثل هذا المشروع.

***** قناة (اقرأ الفضائية) التفرد والتميز، والجدية، والالتزام بمنهج الاسلام.***

***** (اقرأ) .. أنموذج اعلامي هادف، انتظره الناس كثيرا.***

***** (اقرأ) محاولة لصياغة وجدان إسلامي يرسخ هوية هذه الأمة في أعماقها.***

***** إنها أداة للتواصل الحضاري مع ثقافات الآخرين.***

***** (اقرأ) طموحات متجددة لخدمة الاسلام والمسلمين.***

**** هذه التجربة المتميزة لـ (اقرأ) وبحسكم الإعلامي المعــهــود، هل ترون امكان تكرارها في إعــلامنا الفضائي٠٠؟!**

حقيقة نحن نرحب، بل ندعو الى ان تكون هناك قنوات تزاحمنا وتنافسنا في هذا الميدان، لان الحاجات كبيرة، وتطلعات المشاهدين واسعة، ونعتقد بان الساحة تتسع لكثير من التجارب، والمشروعات التى تصب في هذا الاطار، وحتى بالمنطق التجاري، فإنا نقول بأن السوق واسعة وتستوعب الكثير من مثل هذه التجارب التى يتطلع اليها الكثير من المشاهدين٠٠ وفي هذا الميدان متسع لمثل هذه التجربة ويمكن القول بأن لهذه التجربة روادها وطلابها٠٠ هذا من جانب العطاء الفكرى والقيمى لهذه التجربة٠٠ وهذا ما أعنيه بأن في السوق متسع٠

أما إذا كان الأمر متعلقاً بمنطق الربح والخسارة، أي منطق التجارة البحته، فانه من الصعوبة لمثل هذه التجارب، تجربة الاعلام الهادف، وبخاصة قناة فضائية ذات منظور اسلامي، من الصعوبة ان تصبح عملا أو مشروعاً تجارياً بحتاً، والذين ينظرون الى مثل هذا المشروع بمثل هذا المنظور في رأيي، إما انهم مثاليون أو بعيدون عن الواقع، وفي رأيي ان هذا المشروع ينبغي ان يكون مشروعاً مثالياً يقوم على فلسفة تقديم اعلام هادف وبناء٠

**** (اقرأ) تمثل الوسطية المحمودة، بعيداً عن طرفي (الافراط والتفريط)٠**
**** تعمل على إشاعة اللغة العربية السليمة المبسطة وإشاعتها بين المسلمين٠**
**** كثير من الفضائيات غدت هدماً وتدميراً للأخلاق والقيم٠**
**** تعمل (اقرأ) على انتاج عمل درامي تمثيلي يخدم اهدافها الرسالية٠**
**** نأمل ان نجد دراسة متخصصة تقييمية لـ (قناة اقرأ)٠**

الجانب التسويقى والتجاري لا شك يشكل رافداً مالياً داعماً لأى عمل إعلامي، والدافع الرسالي لقناة (اقرأ) لا يعني أن ترفض الجانب التسويقي والتجاري أو أن تنأى بنفسها عنه، ذلك لأن أي عمل مثل هذا يحتاج الى مال يدعمه ويسير عمله حتى لا يتوقف، وبالتالي تتوقف رسالته التي يسعى اليها٠٠ ومع كل هذا ينبغي التأكيد على ان الجانب التجاري والتسويقي ينبغي ألا يكون هو الأصل، وانما هو رافد مكمل، ذلك لاننا نعلم اليوم أن المشروعات الاعلامية الضخمة تحتاج الى تمويل كبير، ومن ثم ليس من المعقول ان نقول بأن المشروعات الرسالية في الاعلام لا تلتفت الى هذا الجانب، بل هو جانب له أهميته في اكمال رسالتها وايجاد الكوادر المبدعة لتعميق أدائها٠٠ ويلاحظ هنا، أن البحث وراء هذا المردود المالي أو الرافد المادي فيه منزلقات كثيرة، قد تؤدي الى الاغضاء عن بعض الجوانب الفكرية وبعض الضوابط الاخلاقية، والقبول ببعض مالا يتمشى مع الاطر الاخلاقية والفكرية والقيمية لهذه القناة، وأيضاً قد يخل ببعض الجوانب الفنية، لكل هذا ينبغي ضبط الرافد المادي لهذه القناة بضوابطها التى قامت من اجلها، حتى لا تنزلق في منحدرات تفقدها خصوصيتها وتميزها في التوجه والعطاء٠٠ ومن هنا فإني ادعو الى إعادة النظر في تركيبة مثل هذه المشروعات من حيث انها ينبغي ان تفيد من الروافد المادية - حسب منظومة توجهها العام - وحتى لا تصبح مثل هذه المشروعات مشروعات خيرية بحتة، إذن لماذا لا نصل الى صيغة وسطية توفيقية تجمع بين الجانب الرسالي والخيري، وكذلك الجانب التجاري والتسويقي ونوسع قاعدة المساهمة في مثل هذه المشروعات الحضارية لان هذا التوسيع في المساهمة، سواء المالية أو الفكرية لا شك انها في النهاية تخدم الرسالة البعيدة لمثل هذه المشروعات، وهذه المساهمة تعطي لهذه المشروعات ضمانة الاستمرارية٠

وحتى لا يتوقف هذا المشروع وأمثاله، او يتعثر في مسيرته، وضماناً لاستمرار هذه المشروعات يجب ضمان الروافد، لانطلاقة أوسع لهذه المشروعات٠

**** الرؤية المستقبلية لهذه القناة الوليدة، ماذا عنها٠٠؟!**

الرؤية المستقبلية ينبغي ان تقوم على استراتيجية تضع

فيها الخطط والبرامج، وتحدد الأهداف المبتغاة في سياقات مرحلية لتنفيذها.

وليس بالضرورة كما يظن بعض الناس ان تولد هذه القناة مكتملة النمو، ذلك لان هناك اسلوب تدرج ومراحل لابد من مراعاتها وأخذها في الحسبان، قناة (اقرأ) تبث على مدى (عشرين ساعة في اليوم)، وهنا ينبغي مراعاة ما هو مطلوب لملء هذا الزمن الممتد من الانتاج والمواد.

إذن، التدرج والنفس الطويل ضرورة لازمة في هذه المرحلة، ومن المهم قبل هذا كله أن تكون الرؤية واضحة، وهذه الرؤية ينبغي ألا تكون قاصرة على مرحلية محدودة، ثم يأتي التنفيذ المرحلي ليحول تلك الرؤى الى واقع يفيد منه المشاهد، وهذا ما نبتغيه ونسعى إليه، الافادة الحقيقية النظيفة القيمية للمشاهد.

لا شك أن التجارب تعلم الانسان، ونحن خلال هذا العام، استفدنا الكثير من الدروس سواء من حيث تصميم البرامج ومناقشة الافكار، وتقويم هذه الاعمال أو من ناحية الخطط التى توضع للتنفيذ، وهذه كلها مطلوبة.

***** الحوار مع الذات ومع الآخر واحد من صيغ العطاء الحضاري.. إلى أيّ حدّ نجد (اقرأ) في هذا الاطار؟**

اعتقد أن العصر الذي نعيشه الآن بفضل هذا التطور المذهل في تقنيات الاتصال، قد أدى الى هدم كثير من السدود والحواجز وأدى الى انتقال الافكار والآراء بسهولة ويسر إلى كل فرد في انحاء العالم يريد ذلك، وهذا العصر يقتضي منا أن نواكبه بقدر كبير من الانفتاح الاعلامي الذي من خلاله نستطيع أن نستوعب الكثير من هذه التطورات، وبالمقابل يتسلح الانسان العربي المسلم بالادوات التى يمكنه عن طريقها أن يواجه الافكار ويتعرف عليها بطريقة علمية، وايضاً يستطيع ان يحاورها ويناقشها، وربما تتكون لديه قناعات لمواجهة ما يرى انه ضار به أو معارض لثوابته الدينية والفكرية والاجتماعية، وهذا كله لا سبيل الى تحقيقه إلا بالحوار، ومن هنا اعتقد بأن الاعلام الاسلامي لابد ان يكون أحد ركائزه الاساسية ان يكون اعلاماً فيه قدر كبير من الانفتاح في الحوار مع الذات ومع الآخر، ومن هنا نحرص في قناة اقرأ الفضائية على أن يكون لنا نصيب في هذا الحوار - الحوار مع التراث والحوار مع الآخر.



نحن نعاني في مجتمعاتنا العربية المعاصرة أن الحوار ان لم يكن مفقوداً فعلى أقل تقدير فهو ضعيف جداً، سواء على مستوى التيارات والاتجاهات الموجودة في داخل هذه المجتمعات، بعضها مع بعض أو بيننا وبين الآخر، خارج حدودنا الجغرافية وحدودنا الفكرية ايضا.

***** مع تفاوت الافكار وتباينها في كثير من الأحيان، الى أيّ حد استطاعت (قناة اقرأ) ابراز ما ينبغي ابرازه من الفكر الرسالي والقيمي، بعيداً عن مزايدات بعض المتحاورين؟!**

.. عندما جاء هذا الانفتاح الاعلامي، كأنما وجد فيه بعض الاعلاميين العرب متنفساً لهم فانطلقوا فيه دون ضوابط، ودون رؤية فكرية تضع الاطر التى يمكن ان تتحرك من خلالها.

الحوار بحدّ ذاته ليس هو الغاية، بل وسيلة.

في كثير من الاحيان ربما تكون الغاية ليست واضحة، ومن هنا يتحول الحوار من وسيلة الى غاية، وهذا في رأيي خطأ، أو هو ليس مما ينبغي أن يكون، اذن، لابد ان نحدد غاياتنا من الحوار ثم بعد ذلك نستخدم الوسيلة الموصلة لتلك الغاية، وعلى كل وسيلة اعلامية أن تحدد غاياتها وتتخذ إليها سبُلها المناسبة.

من هنا، ومع غياب الغاية المرجوة، نجد بعض القنوات العربية، تتخذ من الحوار وسيلة للاثارة، أو لكسب مزيد من المشاهدين، وهناك نوع آخر له غاياته، ظاهرة أو مستترة.

إذ نجد بعض القنوات الفضائية غايتها ابعاد الفكر الاسلامي أو اضعافه ومحاولة تحجيمه، واظهاره بمظهر الضعيف.

والمطلوب اذن، من قناة رسالية هادفة مثل قناة (اقرأ) ان تحدد ما هي الغاية التى تسعى اليها ثم بعد ذلك تنسجم مع اطارها العام الذى تتحرك فيه، وهو الاطار الاسلامي، وهذا ما نحاول ان نفعله، لكن قد لا نستطيع ان نحقق هذا الهدف كاملا لعدة أسباب منها:

ان تجربة الحوار المنفتح هي تجربة جديدة في مجتمعنا العربي المعاصر، وكل تجربة جديدة لها محاذيرها ولها سلبياتها، وقصرُ الفترة الزمنية لهذا المفهوم الحواري الجديد له ايضا آثاره على التجربة.

وفي اطار هذا المنهج الحواري، ونحن نتحدث في اطار الفكر الاسلامي، اقولها صراحة إننا نفتقر للكفاءات

الدكتور عبد القادر طاش في سطور

* عمل أستاذا للصحافة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ورئيساً لقسم الإعلام بها لمدة سبع سنوات (١٩٨٤ ـ ١٩٩١م).
* انتقل للعمل في المجال الصحفي حيث رأس تحرير صحيفة (المسلمون) الدولية الأسبوعية التى تصدرها الشركة السعودية للأبحاث والنشر (١٩٩١ ـ ١٩٩٥م).
* ترأس تحرير صحيفة (عرب نيوز) الصادرة باللغة الانجليزية بالمملكة العربية السعودية (١٩٩٥ ـ ١٩٩٨م).
* يعمل الآن مديرا عاما لقناة اقرأ الفضائية التي بدأت البث في شهر أكتوبر ١٩٩٨م.
* له مساهمات بحثية وعدة مؤلفات باللغة العربية منها:
- دراسات إعلامية.
- الصورة النمطية للإسلام والعرب في مرآة الإعلام الغربي.
- أمريكا والإسلام: تعايش أم تصادم.
- قدرنا أن نكون إسلاميين.
- المسلمون في آسيا الوسطى والدور الإسلامي المطلوب.
- الاعلام وقضايا الواقع الإسلامي.
- الثقافة والإعلام وما بينهما.
* شارك في الكتابة الصحفية المنتظمة في عدة مطبوعات عربية وله عمود يومي في صحيفة «المدينة المنورة».
* شارك في العديد من المؤتمرات والندوات الإسلامية في العالم العربي والإسلامي وفي أوربا وأمريكا.

الاعلامية القادرة على إجراء الحوارات الراقية التى يمكن أن تحقق الغاية المنشودة، طاقاتنا الاعلامية في مجملها لا تزال تسير على النمط التقليدي في الحوار، وربما يكون بعض المحاورين أقل اطلاعاً على فكر الآخرين، وأسلوب تفكيرهم، ومن هنا يكون الحوار فيه شيء من الضعف وهذا يصحبه عدم التوفيق في الوصول الى الغايات المرجوة.

لا ينبغى ان نحكم على بعض هذه التجارب باستعجال وفي جزئيات منها، بل ينبغي ان ينظر اليها متكاملة، فاذا كان هناك برنامج حواري معين، نجد بعض المشاهدين يحكمون على البرنامج كله من حلقة أو حلقتين وبعضهم ينظر إلى تجربة القناة بكاملها من خلال عدد محدود من البرامج التى تقدمها. وهذه نظرة جزئية لا تعطى الحقيقة الكلية لطبيعة الحكم وبطبيعة الحال فان هذا التصرف فيه عدم موضوعية في النظرة وبالتالي في الحكم الناتج عن هذه النظرة المتعجلة.

وما نريده ممن يودون تقويم هذه التجربة الوليدة (قناة اقرأ) ان يعطوا أنفسهم مساحة أوسع في المتابعة المتأنية، ومن هنا يمكن ان يأتى الحكم ناضجاً سوياً، نفيد منه جميعاً.

ونحن الآن بعد مرور عام على البث الفضائى لهذه القناة، ومحاولة جادة من القائمين بأمر هذه القناة، فإننا نجرى الآن دراسات تقيمية جادة لما قدمت إقرأ من برامج، موضوعاً وأداء.

ولا يخفاكم أن دوامة العمل اليومى ادارة وتنسيقاً ومتابعة وتسييرا، لم تعطنا الفرصة لمثل هذه النظرة التقيمية، ومن هنا كان لازماً علينا التوقف قليلا في مرحلة زمنية معينة لاجراء هذا التقييم وهو بدون شك تقويم للمسيرة في مستقبلها، ومرور عام على هذه القناة فرصة مناسبة لاجراء هذا التقييم الموضوعي والعلمي لبرامج القناة وتوجهاتها.

***** مقدمو البرامج الحوارية، هل هم مجرد وسيط لتوزيع الاسئلة على المتحاورين، أم مشاركون بالرأى وموجهون لدفّة الحوار؟!***

أعتقد ان أي وسيلة إعلامية ينبغي الا تكون وسيلة موجهة أساساً، وينبغي على مقدم البرنامج ان يدير حواره بطريقة ذكية، ويعطي رأيه باسلوب اقناعي وبطريقة غير مباشرة حتى يمكن للمشاهد أن يتقبل هذا التوجيه ويرضى به.

ذلك لان التوجيه المباشر يضع حاجزاً بين البرنامج والمشاهد. نحن نتعامل مع مشاهدين لديهم قدر وافر من الذكاء، وبرامجنا الحوارية في قناه إقرأ تستقطب نخبة متميزة من المفكرين والأدباء والعلماء، وعلى مقدمي البرامج ان يراعوا خصائص هذه النخبة الواعية، حتى يتمكنوا من ايصال الرسالة المطلوبة بطريقة محترفة، وباسلوب ذكى

يتغلغل الى العقول والقلوب بسهولة ويسر.

**** مشروعان أساسيان لهما أهميتهما القصوى، مشروع التوفيق بين المذاهب الاسلامية، ومشروع الحوار مع الآخر، إلى اى مدى يمكن لـ «اقرأ» أن تقوم بذلك؟!**

أما أن تقوم (اقرأ) بهذين المشروعين، فالجواب، نعم، القضية ليست خياراً امام (اقرأ) بل هي واجب وأمر أساسي في رسالتها، لكن يبقى بعد ذلك كيف يمكن ان تقوم بهذا الدور؟ ومتى؟ .. وما الاسلوب المناسب لاداء هذا الدور.

من حيث المبدأ المهمتان أساسيتان بالنسبة لاقرأ، وحاضرتان في التصور الأساسي للقناة، وربما مشار الى ذلك بشكل عام في اهداف القناة ورسالتها.

اما من حيث تفصيل الحديث في هذين المشروعين، يمكننا القول:

فيما يتعلق بالمدارس الفقهية المنتمية للمدرسة السنية، نعتقد أن ما قدمته (اقرأ) وتقدمه من خلال برامج الفتاوى، تحاول ان تبقى على هذا التنوع الفقهي الموجود في داخل هذا الإطار السني بشكل عام، وتحقيقا لهذا فقد استضافت (اقرأ) في برامجها الدينية والفقهية كبار العلماء والفقهاء الذين يمثلون هذا التنوع الفقهي.

أما فيما يتعلق بالمذهبيات، ولنأخذ مثالا لذلك (السنة والشيعة) فان (اقرأ) لا شك تسعى لايجاد نوع من الحوار الذي قد يؤدي الى الوفاق، وإلى ايجاد ارضيات مشتركة بين هذه التيارات الكبرى في الجسم الاسلامي بشكل عام، لكن هذا الجانب فيه محاذير كثيرة ومن ثم نحن نطرقه على مهل وبشيء من الحذر، ليس خوفاً من الدخول فيه، ولكن محاولة للوصول الى الهدف المنشود، وقد بدأنا بذلك في بعض الاشارات التى وردت في بعض البرامج، ويمكن هنا الاشارة الى ما طرح في برنامج (مدارات الاحداث) وهو يمثل الاختبار الاول لهذه الفكرة تحت عنوان (التقريب بين المذاهب الاسلامية)، واعتقد ان هذه الحلقة اثارت جدلا واسعاً ولازلنا في مرحلة تقييم هذه الحلقة وما نتج عنها، ونعتقد انها كانت فاتحة في هذا الطريق، ورغم بعض السلبيات التى رافقت هذه المحاولة، تبقى لدينا العزيمة في ان نستمر في هذا الطريق، وفق الاهداف والمبادىء الثابتة لهذه القناة.

أما الحوار مع الآخر، فإنَّا في قناة اقرأ نؤكد أننا اصحاب حوار، وللرأى الآخر مكانته، ونعلم ان للحوار ادواته ووسائله، ولكن في الوقت الحاضر ليس متوفراً لدينا هذه الوسائل، وهذا الاتجاه للحوار مع الآخر موضوع ضمن خطة برامج القناة، وقد بدأنا بداية متواضعة إذ قمنا بترجمة بعض البرامج الى اللغة الانجليزية، وهي تبث الآن على القناة، وهذه مرحلة تتبعها مرحلة أخرى، نعمل فيها على انتاج برامج ناطقة بالعديد من اللغات المتداولة الآن عالميا.. ونأمل في المستقبل ان تكون قناة اقرأ شبكة لقنوات متعددة ناطقة بالعديد من اللغات، ذلك لان رسالة الاسلام رسالة عالمية، للناس كافة، واستخدام اللغات العالمية الحية في ارسال هذه القناة وسيلة فاعلة لايصال هذه الرسالة الخالدة للناس كافة، ومن جانب آخر فهي تصحيح لمفاهيم خاطئة الصقت بهذا الدين الحنيف.

**** كثير من الشعوب المسلمة على مستوى العالم تجهل ابجديات الاسلام، باعتباره عقيدة توحيد ومنهاج حياة.. وهؤلاء في حاجة ماسة لمعرفة دينهم..؟!**

اذا كنَّا مهتمين بتوجيه رسالتنا الاعلامية الى الآخر من غير المسلمين، فإنَّا أكثر اهتماماً في توجيه هذه الرسالة الى المسلمين من غير العرب في كل قارات العالم، نخاطبهم بلغاتهم التى يتحدثونها.

ومعلوم ان (أربعة أخماس) المسلمين في العالم من غير العرب، ومن ثم فان هؤلاء لهم حق علينا أن نقدم اليهم الثقافة الاسلامية بلغاتهم، وهذا جمهور عريض جداً، ينبغي العناية به ويلاحظ أن الثقافة الاسلامية قد ضمرت حتى بين المسلمين من العرب، وذلك لضعف المنهج الاسلامي في مناهج الدراسة في تلك الدول، مما أدى الى انتشار الأمية الدينية، وذلك بسبب ان المصادر التعليمية والتربوية في مدارسهم لم تزودهم بما يرفع أميتهم وجهلهم بدينهم، حتى يتمكنوا من تعلم الثقافة الاسلامية، وحتى يستطيعوا الالمام الكافي بالمنهجية الاسلامية في الاخلاق والسلوك والتعامل، هؤلاء يحتاجون حقيقة الى اعلام اسلامي جاد يوصل اليهم الثقافة الاسلامية وقيم الاسلام بصورة واضحة ونقية، ومؤثرة.

**** في عالمنا اليوم ظهرت مصطلحات فرضت نفسها على الساحة الاعلامية ومنها (العولمة) على سبيل المثال.. هل يمكن ان نتعرف على المعالم الاساسية لهذا المصطلح؟!**



الدكتور عبد القادر طاش اثناء الحوار مع المحرر

هذا الموضوع ذو جوانب متعددة وواسعة، ولكن في عجالة يمكن القول أن هناك اتجاهات متعددة في نهج العولمة وابعادها، بعضهم يصور العولمة على انها العالمية ذات الانتشار الواسع، وهناك من يصور العولمة بأنها ثقافة مهيمنة لطرف من الاطراف القوية في هذا العالم، ولهذا نسمع بمصطلح (الأمركة) أو (الاوربة) وما الى ذلك، (العولمة) تحتاج الى تحديد دقيق، ومعالجة في مستويات متعددة، هناك مستوى فكري يتعلق بمدى هيمنة ثقافة على ثقافات أخرى، كما يذهب البعض إلى ذلك، وهناك من يقول بأن العولمة هي نتاج لظروف وتبدلات حصلت في الواقع الذي نعيشه اليوم، ولا شك ان هذا ناتج طبيعي لهذه الثورة الهائلة التى حدثت في مجال الاتصال والمواصلات، وانتقال الافكار من مكان الى مكان.

وبصرف النظر عن الجوانب المتعددة للعولمة يبقى السؤال المهم وهو: كيف يتعامل المسلمون مع هذه الظاهرة؟!.

هل نقبلها، هل نرفضها، هل نتكيف معها، هل نضع عولمتنا الخاصة بنا؟! مدى تأثير هذه العولمة على خصوصياتنا الخلقية والفكرية والدينية والاجتماعية؟!.

كل هذه الاسئلة اعتقد أنها مطروحة، وبكل أسف فان كثيراً من الحوارات التى تتم في هذا الاطار تأخذ طرفين متناقضين، إذ هناك من يدعو الى الأخذ بهذه العولمة بكل ما فيها باعتبارها قدر محتوم علينا..

وهناك من يرفض هذه العولمة، ويعتبرها رجساً من عمل الشيطان، ونحن في هذا السجال نحتاج حقيقة الى وقفة نحلل فيها العولمة، معطياتها - سلبياتها - ايجابياتها، وهذا هو المنهج الاسلامي، الذي يدعو الى النظر والدراسة والبحث في الأشياء، بعيداً عن اسلوب الرفض المطلق، أو القبول المطلق بدون نظر وروِيَّة.

والأهم من ذلك هو: كيف نصنع عولمتنا الخاصة بنا، التى يمكن ان نقدمها للآخرين، إذا كانت العولمة تعنى فتح الحدود، وازالة السدود، وانتقال الافكار والآراء بحرية بين الشعوب، فنحن هنا أولى بأن نفيد من هذه الفرصة ونستثمرها لان ديننا هو دين عالمي للعالمين جميعاً، ولان ثقافتنا فيها من الثراء والغنى والقيم ما يمكن ان نقدمه للآخرين، ونعتقد بأن في مبادىء الاسلام وتعاليمه وقيمه علاجاً لكثير من المشكلات التى يعانى منها مجتمعنا المعاصر.

وكل هذا الذي يحدث الآن من الخوف الشديد من العولمة انما هو دليل على ضعفنا اصلا وعلى عدم ثقتنا بأنفسنا.

***** الاعلان، لا شك يمثل وسيلة من وسائل الدعم المادي لأى قناة، ما مدى تعامل (اقرأ) مع الاعلان.. وكيف..؟!***

الاعلان لا شك يمثل واحداً من روافد الدعم لأى قناة، ولكن نحن لدينا ضوابط للاعلان، هي مكان الالتزام لدينا، والذين يتعاملون معنا بحمد الله لديهم هذا الوعي، ونحن رفضنا الاعلانات التى لا تلتزم بضوابطنا، وبعض المعلنين انتجوا اعلانات ملتزمة بضوابط (اقرأ).. وهذا امر في غاية الأهمية، ذلك لان جزء من مهمتنا ورسالتنا ان نساهم في ايجاد اتجاه اعلاني منضبط، وقد وجدنا تجاوباً طيباً في هذا الميدان.. ولا شك أنَّا نثمن تجربة التلفزيون السعودي في الاعلان حسب ضوابطه.

***** الانتاج الدرامي .. ولـ (اقرأ) خصوصيتها.. هل ستعمل على انتاج تمثيلي خاص وفق منهجيتها؟***

الجانب التمثيلى جانب له أهميته بخاصة ذلك الذي يخدم اهداف وتوجهات (اقرأ) في منهجيتها الخاصة بها.

إلا أنَّا لا نستطيع في هذه المرحلة انتاج عمل تمثيلى لسببين:

أولا: ان هذا الجانب يحتاج ان تكون لنا فيه رؤية واضحة وضوابط قادرة على ان تقدم منتجا راقيا هادفا، يودي الغرض المطلوب منه.. ونسعى الآن لتحديد هذه الرؤية، ولنا دراسة في هذا الجانب وسوف تتبلور هذه الرؤية قريباً أن شاء الله تعالى.

ثانيا: ان هذا المشروع الانتاجي يحتاج الى تمويل كبير، وقد لا نستطيع الآن - على اقل تقدير - أن ندخل في هذا المشروع الكبير، لكن في النية مستقبلا العمل فيه، وقد بدأنا فعلا مخاطبة بعض المختصين من اصحاب هذا الفن، وقد وصلنا تجاوب كريم في هذا الجانب.. وسوف يكون للقناة دورها في هذا المجال في المدى المتوسط لها.

***** بغرض تكثيف البرامج القيمية الرسالية في بعض القنوات العربية، الى أي حد يمكن ان تتبنى (قناة اقرأ) هذا الدور التنسيقي بين القنوات المعنية؟!***

هذا أمل ربما يكون من السابق لأوانه الآن أن يكون ضمن الخطة العملية للقناة، ذلك باعتبار أن القناة لا تزال تجربة وليدة، ولا نريد ان تحمَّل اكثر مما تستطيع ان تقوم به آنياً ويكفى أن نركز الآن على انجاح هذه التجربة وانضاجها ثم بعد ذلك يمكن أن تأتي أهداف أخرى في مراحل أخرى، بغرض الوصول الى الأمثل والأنفع للمشاهد.

***** في نهاية هذا اللقاء الثر .. ماذا يود الدكتور عبد القادر طاش ان يضيف؟!***

بمناسبة هذا اللقاء الطيب الذى أشكر مجلة المنهل على اجرائه، وبمناسبة مرور عام على بداية البث لـ (قناة اقرأ الفضائية)، فاني اقول ان هناك تجارب عديدة في الاعلام الهادف، سواء في المجال المطبوع أو المسموع أو المرئي واعتقد ان تجربة (اقرأ) هي واحدة من التجارب التى تضاف الى تلك التجارب، مدى نجاحها او عدم نجاحها، أمرٌ متروك للمشاهدين من جهة، وللباحثين منهم بخاصة من جهة أخرى.

وأملى بهذه المناسبة ان يتوافر عدد من الباحثين الجادين لدراسة هذه التجربة، تجربة (اقرأ)..

ومن هنا نود من الباحثين المختصين ان ينظروا في هذه التجربة، في كل ابعادها وجوانبها، وتقوم مسيرتها من خلال الدراسة العلمية الموضوعية المنهجية، فانا أدعو الباحثين، وبخاصة في جامعاتنا العربية للالتفات الى التجارب العملية في في مجال الاعلام الاسلامي وتقديم دراسات موضوعية عنها، لان هذه الدراسات تفيدنا الى مواقع القوة والضعف، ولا شك ان هذا يساعد على التمتين من مواطن القوة ومعالجة مواطن القصور والضعف، هذه حقيقة أمنية كبيرة آمل ان تتحقق باذن الله تعالى.

وفي نهاية هذا اللقاء يبقى عليَّ حقيقة أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير والوفاء لمجلتنا الحبيبة المنهل..

ومجلة المنهل، مجلة عريقة في مسيرة الثقافة السعودية بخاصة والثقافة العربية بعامة ومنذ أن بدأت هذه المجلة كانت ولازالت ذات منهج واضح، ويحمد فيها الاستمرارية، حتى عندما جاءت التطورات الحديثة أخذت بها، وبقيت ملتزمة بثوابتها الموضوعية في التناول الثقافي والفكري والاجتماعي والعلمي، لها سمتها ومنهجها الإسلامي والعربي، وكما قلت فان هذا يحمد لها أنها استقرت على هذا المنهج واستمرت عليه رغم الكثير من التيارات التى مرت على الثقافة، ظلت ثابتة على منهجها، وهذا لا شك سمة من سمات المجلات العريقة ويبقى لمجلة المنهل تميزها وتفردها ونكهتها الخاصة.

الجانب الآخر الذي يميز مجلة المنهل أنها تستقطب أقلاما متنوعة من شتى البلدان العربية والاسلامية، أقلام لها مكانتها العلمية والفكرية على مستوى عالمنا العربي.. وهناك أقلام ربما لا تجدها إلا في مجلة المنهل، حتى أصبحت من أعمدتها، ولهذه الاقلام الرصينة قراؤها ومتابعوها والحريصون على اقتناء المجلة من اجلها، واذكر بين هذه الاقلام أستاذي الكبير الاستاذ الدكتور محمد رجب البيومي الذى تتلمذت عليه، ولا أعني التلمذة المنهجية في داخل الفصل بل هو استاذي في كتاباته، ومن هنا أوجه له التحية.

حوار:
السمانى كمال الدين

صدى الألحان

شعر/ مفرح السيد
- السعودية -

أيـهـــا الحـب الـذى ولّـى زمــانـه
وتـواري عـن فــؤادى عـنـفـــوانـه
قـــبـل مـــا يمضـى مـن الحـب أوانـه
أيــن مـنّـى فـي هـوى المـاضـى حـنـانـه

* * *

أيـهـــا الحـب الـذى قـــد راح عـنـى
سـلـب المـقـــدور هـذا الحـب مـنـى
كـم تمـنـيـنـا ومـــا يجـــدى التـمـنـى
مــا لـهـــا لـو حـــقــقت في الحب ظني

* * *

أيـهـــا الحـب الـذى صـــار حـطـامـــا
أهـرقـت فـي لـيـلـه الـكـف المـدامـــا
وانـطـوى فـي ظـلـمـــة الـلـيـل الـنـدامـى
وتـلاشـى الجـــو مـن نـفـح الخـــزامـى

* * *

عـــادت الألحـــان في الدنيـــا عـــويلا
تـندب الـعـــهـــد الذى كـــان جـــمـــيـــلا
وخـلـيـل فـي الـهـــوى ضـم خـلـيـــلا
قـــصـــر اللـيل وقـــد كـــان طـويلا

* * *

يـا صـــدى الألحـــان ايـن الحـب أيـنـا
كـــيـف ضـــاع الحـب هـذا مـن يـديـنـا
كـم عـلـــى الأطـلال نـحـنـا وبـكـيـنـا
وانتـــهـى هـذا الـهـــوى ثـم .. انتـــهـــينا



أوراق زوجية

هن

مجلة شهرية ذات أداء متخصص تخاطب عقل المرأة ووجدانها

Shaaban, Ramadan 1420 H -- Nov.--Dec., 1999 G

الياقوت .. مُفرح القلوب

ظل الياقوت الأحمر لبضعة آلاف من السنين جوهرة تيجان العائلات المالكة، وحلية الأميرات والأغنياء.. والأمل المنشود.. للباحثين عن الكنوز. إن هذا الحجر الذى احتاجت الطبيعة الى ملايين السنين لتكوينه هو الأكثر ندرة والأعلى سعرا بين الأحجار الكريمة، ويشكل هو وأخواته مثل الياقوت الأزرق «الصغير» نصف تجارة العالم بهذه الأحجار الملونة.

وفي عصرنا الحالى اهتدت التقنية الحديثة الى طريقة صنعه في الافران وأمكن تصنيعه في الولايات المتحدة الامريكية واليابان وسويسرا وروسيا وفرنسا وفي كل مكان لاغراض مختلفة مثل زجاج الساعات والاجهزة الطبية، وصناعة سفن الفضاء وصولا الى اجهزة فحص الاسعار في المحلات التجارية، حيث تحمى صفائح الياقوت الازرق هذه الاجهزة من الخدش وتسمح لأشعة الليزر بقراءة الاسعار.

ويقع الياقوت بنوعيه في قلب صناعة النظم العاملة بأشعة الليزر والاقمار الصناعية.

وهكذا فان النسخة التى يصنعها الانسان لهذه البلورات البالغة من العمر بلايين السنين توسع أهداف الإنسان باتجاه غزو الفضاء الكوني.. عن طريق الصواريخ.. وسفن الفضاء.

الياقوت في القرآن الكريم والسنة النبوية:

ورد ذكر الياقوت في القرآن الكريم في موضع واحد في سورة الرحمن الآية/٥٨ حيث شبه الله العلى القدير نساء أهل الجنة بالياقوت والمرجان. قال تعالى: {كأنهن الياقوت والمرجان}.

وورد في صفة الجنة قوله {صلى الله عليه وسلم} «وحصباؤها الياقوت واللؤلؤ». قال سبحانه وتعالى في سورة الكوثر {إنا أعطيناك الكوثر} والخطاب هذا للرسول {صلى الله عليه وسلم} تكريما وتشريفا له ولمكانته الرفيعة ودرجته السامية عند الله عز وجل.. ومعنى الآية أننا أعطيناك يا محمد الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ومن هذا الخير العميم «نهر الكوثر» وقد ثبت في الصحيح أن الكوثر: «نهر في الجنة حافتاه من ذهب.

ومجراه على الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك، ومـاؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج، من شرب منه شربة، لم يظمأ بعدها أبدا».

وقد ذكر الترمذى بسنده عن عبد الله بن مسعود عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك بأن الله يقول: (كأنهن الياقوت والمرجان)، فأما الياقوت، فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم أستصفيته لأريته من ورائه. وخيل الجنة من ياقوته حمراء. فقد سئل رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: هل في الجنة من خيل؟ قال: «إن الله أدخلك الجنة فسوف تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء يطير بك في الجنة حيث شئت؟ كما يوجد في الجنة ثمة منابر من نور ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من ياقوت، ورد في المسند أنه قال {صلى الله عليه وسلم} إن الركن والحجر والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنّة».

منافع الياقوت وأثاره الطبية:

يعتقد الكثيرون حتى الآن أن التحلي بالياقوت يؤمن الفحولة ويحمى من الأمراض والأخطار.

ويقال أنه يمنع نزف الدم إذا علق على الإنسان، وأما خاصيته في تفريح القلب وتقويته ومقاومة السموم فأمر عظيم. وهو يفرح القلب إمساكا، ويقطع العطش إذا وضع في الفم أو تحت اللسان، ويقال إنه ينفع من الوسواس والخفقان وضعف القلب.

ومن منافعه أنه يخلع على لابسه مهابة وأبهة، وينبل

اعداد : أ.د. سامية محمد عامر
- مصر -

في أعين الناس، ويكون مهيبا موقرا منظورا إليه، مشارا إليه بالبنان.

أصناف الياقوت وخواصه:

: الياقوت الأحمر لونه أحمر بدرجاته المختلفة وهي:

١ - الياقوت الوردي.
٢ - الياقوت الخمري.
٣ - الياقوت الرماني.
٤ - البهرمان.
٥ - الياقوت الأرجواني.
٦ - الأرجوان.
٧ - الجمرى أو البنفسجي.

ثانيا: الياقوت الأصفر:

ولونه أصفر بدرجاته المختلفة من الأصفر الفاقع الى الباهت.

- الرقيق - الخلوفي - الجلتارى - الأترجي - التيني - المشمش.

ثالثا: الياقوت الأسمانجوني:

وينتظم اللون الازرق بجميع درجاته المختلفة كل أنواع الياقوت الأزرق.

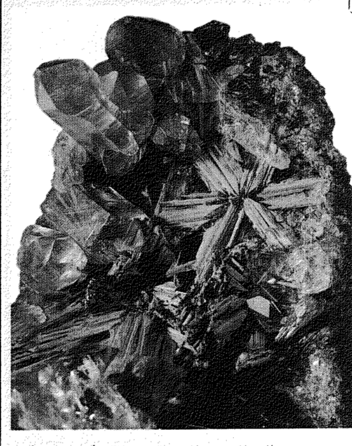
١ - الياقوت الأزرق.
٢ - اللازوردي.
٣ - النيلى أو الياقوت الذكر.
٤ - الياقوت الكحلى.
٥ - الياقوت الزيتى.
٦ - الياقوت البنفسجي.
٧ - سفير.

رابعا: الياقوت الأبيض:

جميع أصنافه الأربعة لونها أبيض.

١ - المهاى أو الأبيض.
٢ - الياقوت الذكر.
٣ - الياقوت الأنثى.
٤ - سفير أبيض.

التركيب الكيميائى لكل هذه الأنواع واحد وهو ثالث أكسيد الألونيوم لو ٢أ٣ (AL2 o 3) إلا أن النوع الأبيض يتكون من ثالث أكسيد الألومنيوم النقي Pure Corndum أما النوع الأحمر فيكون مشوبا بالقليل من اكسيد الحديديك ح٢/٣٠ والنوع الأصفر يكون مشوبا



ببعض الشوائب غير المعروفة حتى الآن، أما النوع الأزرق فيكون مشوبا بآثار طفيفة من أكسيد الحديد والتيتانيوم.

ومعامل إنكسارة الياقوت ١ر٧٦٠٦ - ١ر٧٦٨٧، ودرجة الصلابة ٩، والوزن النوعى ٣ر٩٨٩ - ٤ر٠٠٠ ، ونظام تبلوره سداسي.

ويذكر احمد بن يوسف التيفاشى أن أجود الياقوت هو الأحمر البهرمانى، الرمانى، الوردى، المشرق اللون الذى ينفذه البصر بسرعة، الخالى من العيوب.

ومن عيوب الياقوت التى تعتريه الشعرة والسوس وقيل: إن أردأ ألوانه الأحمر الوردى الذى يضرب الى البياض والسماقى الضارب الى السواد وكذلك الرمادى ويسمى السنورى أو الزيتى.

ومن خصائصه أنه يقطع كل الأحجار ولا يقطعه شىء غير الماس ولا يكون مثقوبا بغير الماس.

الياقوت في الشعر العربي:

- يقول جرير في وصف محبوبته:

إذا مشيت على الحصباء صورها
شعاع خديك ياقوتا ومرجانا

- أما البحتري فيقول:

أمـا ترى الورد يحكي خـجلة ظهـرت
في صـحن خـد من المعشـوق منعـوت
كـــأنه فـــوق ســـاق من زبرجـــدة
نثـر من التـبر في مـحـمـر ياقـوت

- وقال أبو نواس، من أروع النسيب والتشبيب:

فـــالخـــمـــر ياقـوتة والكأس لؤلؤة
في كف لؤلؤة ممشـــوقـــة القـــد.

- وقال الصنوبرى:

الجـــزع، واليـــاقـــوت، والدر
عـــيناك، والخـــدان ، والثـــغـــر

- قال حاتم الطائى:

وعلقـن في أعناقـــــهن لنـاظر
جـــمـــانا وياقـوتا ودرا مـــؤلفـــا

- وقال أبن أحمر:

كـــأن دوي الحلي تحت ثيـــابهـــا
دوي السـفـا لاقى الرياح الزعـازعـا
جـمـان وياقـوت كـأن فـصـوصـه
وقـود الفضـا زان الجيـوب الروادعـا

- وقال جميل بن معمر (جميل بثينة) الشاعر العذري:

من البـيض مـعطار يزين لبـانهـا
جـــمـــان وياقـــوت ودر مـــؤلف

أهم مناطق استخراج الياقوت في العالم:

لعدة قرون كان الصفير ذو الحجم الكبير يأتى من كشمير واليواقيت الجميلة تأتى من مايانمار «بورما حاليا» وسريلانكا، أما اليوم فقد أصبحت تايلند وكمبوديا وأستراليا وكينيا ونيجيريا مناطق استخراج رئيسية وشقت مناجم جديدة في الصين وفيتنام. وهناك نوع من «الصفير» الأزرق يأتى من مونتانا في الولايات المتحدة الأمريكية وتجدر الإشارة هنا أن ما يانمار هي منطقة المناجم الأسطورية حيث خرج من مناجم موجوك في هذه البلاد عدد كبير من اليواقيت المميزة التى جمعها مهراجات الهند وشاهات فارس وسلاطين آل عثمان. النوع الذى تنتجه هذه المنطقة يسمى «يواقيت دم الحمام» وهو النوع النادر الذى يعثر على القليل منه سنويا، إنه ذو ألق متميز بسبب الكروميوم المشع.

عمليات قطع وصقل الياقوت:

تنتشر مصانع القطع والصقل في شوارع «بانكوك» و«كانثابورى» وتبدأ معالجة الآحجار الخام بعد أن يقيم الصانع الماهر البللورات ويقرر الشكل الذى يجب أن تتخذه أحيانا تشطف حواف البلورة وتقطع وغالبا ما يتم تشكيل الأحجار بأشكال دائرية أو بيضاوية أو على شكل مثمن الأضلاع أو بأى شكل بواسطة دواليب يتم تعشيق حوافها بالماس، وتستمر عملية الصقل الى أن يتحول سطح الحجر إلى ما يشبه المرآة.

تقليد الطبيعة لانتاج الياقوت الصناعي:

يعالج معظم الياقوت والصفير، وأنواع أخرى من الأحجار الكريمة بالتسخين، وذلك لتكثيف ألوانه واكتمال صفاته، وإنتاج مجوهرات نقية قابلة للتسويق وهذه المعالجة معروفة منذ زمن بعيد. وجاء في رسالة لكاتب عربى من القرن الحادى عشر وصف دقيق لعملية تسخين الياقوت، وهى العملية نفسها التى تجرى في العصر الراهن.

وبدخول التكنولوجيا الحديثة أصبح من الممكن جعل النتائج دقيقة فالمعالجة بالحرارة هدفها تنقية الياقوت من الداخل. وتصل درجة حرارة التسخين في أفران الغاز والكهرباء المسيطر عليها بالكمبيوتر الى ٢٠٠٠ درجة سنتقريد تقريبا.

وتتنوع عمليات التسخين أو إعادة تصنيع الياقوت والصفير، وهناك اليوم طريقة جديدة تسمى «المعالجة بالتغلغل» يقوم بها تاجر أمريكى يسمى «جيفرى بيرجمان» يشترى من بانكوك أحجاراً ذات ألوان تعتبر لا قيمة لها أو عديمة اللون من الصغير السريلانكى ثم يرسل ما يشتريه الى مختبر في كاليفورنيا حيث تغلف بعنصرى التيتانيوم والحديد. وبعد طبخه لمدة ٦٠٠ ساعة في درجة حرارة عالية يتغلغل التيتانيوم والاكسيد في الحجر بطول ٤، مليمتر، ثم ترسل الأحجار المعالجة بالحرارة الى بانكوك ثانية حيث يقوم الصناع المهرة بصقلها محاذرين إزالة الطبقة الزرقاء الرقيقة ويبدو أن هذه الطريقة قديمة قدم التجارة نفسها فقد كتب بللينى قبل ١٩ قرنا أن الزجاج يمكن أن يتألق مثل اللهب عندما يغلف بطبقة معدنية مطروقة ولامعة. وبذلك نجد أن الكثير من البضاعة التى تباع على أنها ياقوت لا تعدو أن تكون مركبات صناعية من صنع الإنسان لذلك نجد أن تحديد هوية الياقوت تحديدا دقيقا بدون تدريب أمر مستحيل. ومع زيادة الطلب على الياقوت والصفير الصناعى لدخوله في كثير من الصناعات كما سبق ذكره ظهرت محاولات عديدة لصناعته نذكر منها طريقة الصهر،



حيث تجري العملية في أفران كهربائية تحتوى على المادة المصهورة «أكسيد الألمونيوم والكروميوم».

ويتم تسخين الخليط جيدا تحت درجة حرارة تتجاوز ١٠٠٠ درجة ثم توضع بذور الياقوت في قلب هذا الخليط المتوهج ويستغرق نمو بلورات الياقوت سنة تقريبا لتتحول الى ياقوت. وهناك طريقة أخرى تجرى في مختبر في لوس انجلوس تقوم بها «جوديت أوسمر» الباحثة السابقة في تنمية بلورات الفضاء، وتختلف عن الطريقة السابقة أنها لا تستخدم بذورا بلورية، مع أنها تستخدم طريقة الصهر نفسها.

وخلاصة القول في هذه الطريقة أن العمليات حين تكون دقيقة، فإن الذرات الناتجة تصطف في أشكال شبكية سداسية وتتبلور مكونة الياقوت، تماما كما يحدث في الطبيعة.

وفي الاتحاد السوفيتي السابق أجريت تجارب لإنتاج الياقوت بالتسخين المائى ولكن غالبية الياقوت الصناعى ذى السعر العالى ينتج بطريقة التسييل، وذلك لأن هذا النوع نادر نسبيا وله مظهر الياقوت الطبيعى بألوانه المتنوعة ويستجيب لميول شتى المستهلكين وعلى العكس من هذه التقنيات يستخدم أحد أكبر المنتجين العالميين للياقوت الصناعى طريقة مختلفة تسمى طريقة «الانصهار باللهب».

وهى طريقة بدأت وتطورت منذ تسعينيات القرن التاسع عشر. ويقع هذا المصنع في مونتى السويسرية بين جبال الألب وبحيرة جنيف. ويحتوى هذا المصنع على ما يقارب الألفى فرن وقودها الهيدروجين، وقد بدأ العمل باستخدام مسحوق أكسيد الألومنيوم عديم اللون، وللحصول على اللون الأحمر يضاف اكسيد الكروميوم. أما للحصول على اللون الأزرق فيضاف التيتانيوم والحديد، وللحصول على اللون الأخضر يضاف عنصر الكوبالت. أما اللون الأصفر فيمكن الحصول عليه بإضافة النيكل بدلا من الحديد. ثم يسقط المسحوق من وعاء قمعى الشكل ويمر عبر اللهب فيتحول الى سائل يستقر على بذرة بللورية حيث ينمو الياقوت والصفير خلال خمس ساعات ونصف الساعة على شكل اسطوانى بطول ٧ سم وعرض ٢ سم. وقد أصبح الآن ستة منتجين على الأقل بهذه الطريقة، اضافة الى مؤسسات اخرى تستخدم تقنيات مختلفة، وكل هذا ينتج أكثر من بليون قيراط من الكورنيوم سنويا.

استخدامات الياقوت الأحمر والأزرق الصناعي:

١ - أكبر سوق للياقوت الأزرق الصناعى في الولايات المتحدة الأمريكية حيث يباع بالجملة بأقل من ٥ دولار للقيراط، ويتم تحويل جزء كبير منه الى شرائح تستخدم كزجاج للساعات، وتكلف ساعة من هذا النوع أكثر من ٤٠٠ دولار، حيث تتكون واجهتها الزجاجية من الصفير الأزرق الذى لا يؤثر فيه أي نوع من الحوامض أو أى مادة كيماوية اضافة الى أنه ضد الخدش.

٢ - يستخدم في صناعة ساعات الكوارتز والبوصلات والعدادات الكهربائية وكخيوط مرشدة في آلات النسيج.

٣ - أكثر استخدامات الصفير تقدما تتم تطويرها في الولايات المتحدة. ففى امريكا أصبحت قضبان الياقوت الصناعى حجر الزاوية في عالم نظم أشعة الليزر ويرجع ذلك الى أهم ما يتميز به الكورندوم وهو المتانة ودرجة ذوبانه العالية وقابليته لتحرير كل أنواع الموجات، من موجة الأشعة فوق البنفسجية مرورا بموجات الأشعة المنظورة ووصولا الى الأشعة تحت الحمراء، وبواسطة إيجاد التوافق بين أطوال الموجات المهمة المطلوبة، يستطيع قضيب واحد القيام بكل المهمات.

٤ - في جو الفضاء أو المفاعلات النووية، تستطيع جزيئات الإشعاع اختراق رقائق السليكون التقليدية فتعيق هذه الجزيئات المشحونة عمل الرقائق. ولكن استخدام الصفير لتدعيم هذه الرقائق التى تستخدم في صناعة الدوائر الكهربائية يجعلها تقاوم بشكل طبيعى اختراق الأشعة وذلك لان الصفير يعتبر عازلا جيدا في معظم الأحيان.

٥ - وأخيرا هنالك خصائص مهمة للصفير ساهمت في نجاح الولايات المتحدة في حرب الخليج الأخيرة وتحرير الكويت. إن قضبان الصفير تشكل أساس عمل جهاز يعمل بالأشعة تحت الحمراء ويوجد قرب محرك الطائرة الحربية، مبرمجة اصدار اشارات قوية تجعل المحرك وكأنه نسخة ثانية من محرك طائرة العدو أو دبابته أو أى آلة من آلاته ومهمة هذا الجهاز هى تضليل صواريخ العدو.

٦ - إستخدام الصفير في صناعة أنف الصاروخ فالصفير يستعصى على الخدش والحك حين يمر الصاروخ عبر عاصفة رملية مثلا، وهكذا فإن الأنف المصنوع من الياقوت الأزرق يسمح بدخول الإشعاع الذى يحتاجه جهاز الاحساس في الصاروخ للوصول الى هدفه بدون عائق.

الحناء علاج طبي ناجح

ظاهرة النقش بالحناء كانت موجودة منذ فجر التاريخ وقد استعملت المرأة العربية النقش بالحناء منذ آلاف السنين والتي ارتبطت في البداية بالأميرات من «كيلوبترا» الى «قطر الندى» ثم شاع بين عامة النساء.. ثم اقترن بالأفراح والأعياد والعلاج.

وروي أن الحناء شجرة من الجنه وأن أول من تحنت بها السيدة «هاجر» زوجة سيدنا ابراهيم وأم اسماعيل عليهما السلام، فعندما كانت تجمع الحصى حتى لا يتسرب الماء الذى نبع لاسماعيل اخذت يدها تتشقق وعندما دبت الحياة في مكان معيشتها، مع ابنها اسماعيل جاء اناس من العرب ودلوها على وجود شجرة الحناء وحملوا لها منها وريقات طحنتها وخضبت بها يدها فشفيت والتأمت الجروح.

فما هي شجرة الحناء وما هى فوائدها؟؟:

شجرة الحناء ضاربة جذورها في اعماق التاريخ نظرا لما لها من استعمالات طبية عديدة اذ يكبر نباتها حتى يصير شجرة معمرة متساقطة الأوراق من موسم لآخر ويصل علوها ما بين ٨٠ سم الى ١٢٠ سم وقد يصل علوها أحيانا الى زهاء سبعة أمتار وموطنها الأصلى مصر القديمة وبلاد فارس ثم انتقلت الى افريقيا وأوروبا.

والحناء صلبة عديمة الشكل لونها أسمر أو أحمر قاتم تذوب جزئيا في الماء البارد وكليا في الماء المغلي.

أهمية الحناء عند المسلمين:

ترتبط الحناء عند المسلمين بجانب من الفكر الديني فاستعمالها سُنَّة وإن النبي [صلى الله عليه وسلم] قد ندب إلى استعمال الحناء للزينة أو استعمالها كدواء.. وهناك من الأحاديث للرسول [صلى الله عليه وسلم] ما رواه الامام ابو داود واحمد: أن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] ما شكا اليه أحد وجعاً في رأسه إلا قال له «احتجم» وما شكا اليه وجعاً في رجليه إلا قال له «اختضب الحناء».

وكان إذا صدع غلف رأسه بالحناء وهو يقول «إنه نافع باذن الله من الصداع» رواه ابن ماجة في سننه.

وذكر ابن القيم في فوائد الحناء.. ومن منافع الحناء انه محلل نافع من حرق النار وفيه قوة موافقه للعصب إذا ضمد به وينفع إذا مضغ من قروح الفم، وقد ورد في غير كتاب من كتب العرب الطبية ما نوه بأهمية الحنة الصحيحة فأشار «ابن عوام» في كتابه «الفلاحة» الى أن: «الحنة باردة وترطب بطبيعتها تستعمل النساء أوراقها للخضاب كزينة ويستعملها الرجال لتبرد وتهدىء المزاج».

وما من كتاب كتبه أطباء العرب القدامى إلا ذكروا فيه «الحناء» كعلاج يقول ابن سينا في كتابه الشهير «القانون في الطب» قيل انه يفعل في الجراحات فعل دم الأخوين فهو نبات ينفع لأوجاع العصب يدخل في مراهم الفالج والتمدد ودهنه يلين الأعصاب وينفع في كسر العظام يطلى على الجبهه مع الخل للصداع، وفي قروح الفم موافق لأوجاع الرحم.

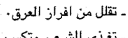
فوائد الحناء:

وللحناء العديد من الفوائد للأماكن التى توضع عليها وهي:

أولا: الرأس والشعر:

- تخفف حرارة الرأس وتنقي فروة الشعر من الميكروبات والطفيليات ومن الافرازات الزائده من الدهون.
- تفيد في علاج القشرة والتهابات فروة الرأس.

اعداد : نائلة عثمان انعيم
- الاردن -



- تقلل من افراز العرق.
- تغذي الشعر وتكسبه حيوية وقوة.
- تعتبر أفضل وسيلة لصبغ الشعر لاحتوائها على مادة لونية طبيعية تخترق الشعرة وتصبغها تماماً دون اضرار جانبية.

ثانيا: الأيدي والأقدام:

يقضي معجون الحناء على الطفيليات التى تسبب الحساسية سواء بين أصابع الأرجل أو ثنايا الجسم فهي تقضي على فطر «التينيا» الذي يصيب الأقدام فيما بين الأصابع على سبيل المثال.



- تمنع المواد القابضة المتوفرة في الحناء من تشقق الجلد وتمده بالصلابة والحيوية وبذلك تفيد في علاج شقوق الأيدى والأقدام.

فوائد عامة:

- يمتاز نبات الحناء بأن جميع أجزائه ذات فائدة صحية فيقال إن لحاء الشجرة بعد غليه يمكن تناوله كعلاج للدوسنتاريا الأميبية.
- يستخلص من أزهار الحناء عطر «التمر حنة» وهو عطر عربي شهير.
- تستخدم ثمرة نبات الحناء المغلية في علاج متاعب الدورة الشهرية وأوجاع البطن ومفيد لآلام الظهر.
- يستخدم في علاج الجروح والتئامها.
- يستخدم في علاج العين «بدول الخليج» لأنها تعزل الجسم عن حرارة الرمل وتحول دون وجع العين الذي هو أحد العوارض الناتجة عن تسرب الحرارة.
- محلل نافع من حرق النار.
- فيه قوة موافقة للعصب إذا ضمد به.
- ينفع في قروح الفم.
- يستخدم في علاج السرطان كما جاء في كتاب «الخالصي».
- يستخدم في التحنيط لاحتوائه على مادة مطهرة تقتل الفطريات التي تعمل على تحلل الجثث.
- يستخدم في الترطيب والتنظيف والتطهير.

فوائد الحناء:

بدأت شركات ومستحضرات التجميل في الخارج تدرك أهمية الحناء في صناعتها، فبدأت تستخدمه في تركيب أنواع مختلفه من الشامبو ومنظفات البشرة وكريمات معالجة تشققات القشرة، وحول هذا الموضوع سبق وأن نشرت مجلة العلوم الطبية دراسة للدكتورة «اليس كوب» الخبيرة بأمراض الشعر والتجميل تقول فيها «إن المركبات الكيميائية التي تستخدم الآن في صبغة الشعر تضعف من افراز المواد الطبيعية من فروة الرأس وأن الصبغة الوحيدة المفيدة للشعر هي الصبغات المصنعة من: مواد طبيعية مثل الحناء.

ففي الوقت الذي ادرك فيه الغرب قيمة الحناء الذي استخدمته جداتنا منذ مئات السنين وأصبح يصنعه ويعيده الينا بأسماء جديدة إلا أن المرأة العربية مازالت بعيدة عن استخدامه بل وتعتبره «موضة» قديمة.

فمتى ندرك أهمية الحناء، أهمية ما تركناه وأهملناه؟؟

فاعلية الصورة البيانية في القصة الشعرية قصيدة (دلال) للشاعر عبد الله الفيفي نموذجاً

إن التنافذ بين فن الشعر وفن القصة مما يعزز الفنين ويستثمر خصائصهما المشتركة ولا سيما حين يجتمعان في مضمار القصة الشعرية، وليس من شأن هذه السطور أن تتعرض لطبيعة الصلة ما بين الشعر والقصة لان ذلك مما تعرضت له دراسات كثيرة. فضلا عن تلك الدراسات التي رصدت القصة الشعرية في الشعر العربي منذ مرحلة ما قبل الاسلام وحتى الوقت الحاضر[١]. حتى اذا ما دخلنا رحاب هذا العصر بدت القصة الشعرية[٢] مما لا يمكن انكاره أو تجاهله في ديوان الشعر الحديث لا سيما ان الشعراء المعاصرين اتخذوا من القصة الشعرية وسيلة تعبير مهمة من خلال تنمية احد عناصر القصة داخل القصيدة. وربما طمحت القصيدة الحديثة لأن تكون قصة متكاملة «لها ما يميزها من اجواء وحدث نام واشخاص نعرفهم ونحيا مشكلاتهم»[٣].

ويطلق الدكتور عز الدين اسماعيل تسمية (القصيدة القصصية) على هذا النمط الشعري اذ يورد ان القصيدة القصصية صارت تكتب الآن على انها نوع ادبي متميز[٤] ولو شئنا أن نفرق بين مصطلحي القصة الشعرية والقصيدة القصصية لقلنا إن الشاعر حين يغلب الطابع الشعري وتكون القصة أداة فنية ثانوية فإن مصطلح القصيدة القصصية يبدو مناسباً، بيد أن مصطلح القصة الشعرية يبدو اكثر ملاءمة حين ينسج الشاعر قصة كاملة يختار لها الاهاب الشعري شكلاً، وفي هذه الحالة يكون الشكل الشعري ثانوياً قياساً بالقصة التى تنتظم القصيدة.

النموذج التطبيقي:

وفي المجموعة الشعرية الموسومة (اذ ما الليل اغرقني) للشاعر عبد الله الفيفي تتجلى ظاهرة القصة الشعرية ولا سيما في قصيدة دلال[٥] التي ستكون نموذجاً تطبيقياً للتحليل الذي سينحو منحى خاصاً يقوم على رصد الصورة البيانية بانماطها الثلاثة (الصورة التشبيهية والصورة الاستعارية والصورة الكنائية)[٦]، من حيث صلتها بعناصر القصة، فالصورة البيانية تسهم بطريقة وباخرى في رسم الشخصية ونمو الحدث. وتدخل بالضرورة في نسيج السرد الشعري. وتتولى هذه السطور الاجابة عن سؤال مهم هو: هل للصورة البيانية دور في اظهار تأثير عناصر القصة؟. وهذا ما سيكشف عنه الجانب التطبيقي من هذه الدراسة.

يتقمص الشاعر في قصيدة دلال ـ التي جاءت في اطار ثلاثة مشاهد قصصية ـ دور الراوي الذي

بقلم: الدكتورة وجدان عبد الإله الصائغ
دكتوراه في النقد البلاغي ـ العراق



دلال [*]

سارت شُعاعاً نابضاً متوقدا
فيها انتفاضات الربيع مُورّدا
تخطو على إيقاع نغم فاره
فاه الشبابُ بلحنه فترددّاً
من (كعبها) انبثّ الضياء وعانقتْ
ذرّاتُ تُرْب العاشقين المُهتدى
وعلى جديلة شعرها سالت سبا
ئكُ من كنوز الله تهمي عسجدا
هي فتنة الدنيا ملاكٌ طاهرٌ
رأت الطريق أمامها قد مُهدا
ولها دلالُ الغصن ميّاس الجنى
فتحتْ لها الدنيا يداً ثُمّ يدا

* * *

قالت: «وماذا لو رميتُ بمهجتي
في موجة الدنيا اللعوب لتسعدا؟!»
بلجتْ براعمها فألفتْ حولها
صور الجمال وكلّ مال مُغتدا
كانت يتيمة والد لم يرْعها
والأمُّ أشقى من رعاها مولدا
كانت (دلال) تُحسُّ مأساة امها
وترى حواليها الربيع زبرجدا
فمضتْ تُداري عاشقاً حيناً وحيـ
ـناً تشتري بوصالها المترددا
قد أُطْمعَتْ .. ويْلُم ما في مهجة
حرّى تخوض صراعها المتمردا!

* * *

غاصتْ بأحضان النُّضار وأغرقتْ
بالناعم الأملود .. فدأها النّدى
لكنّها سُلبتْ ثراء الروح في
لُجّ السراب وحُلمها المتوردا
ثابت .. وعادت بالجمال وقد ذوى
زهرُ الربيع.. وجفّ في العود الندى
ولربّما تنوي الزهورُ البائسا
تُ .. بفصلها .. بيد الليالي والصّدى

(*) نشرت في مجلة (المنهل): العدد ٤٤٠ (صفر ١٤٠٦هـ = أكتوبر ونوفمبر ١٩٨٥م).
المصدر: الفيفي، عبد الله: إذا ما الليل أغرقني. ط. (١) مطابع الشريف الرايض: ١٤١١هـ (١) مطابع الشريف الرياض: ١٤١١هـ = ١٩٩٠م.

يسرد علينا قصة تلك الفتاة بلمسات شعرية دالة، والراوي هنا من النوع الذي يعلم بسياق الاحداث وتطوراتها اكثر من الشخصية[٧]. لذلك يمهد في المشهد الاول للمفاصل المهمة في حياة دلال ابتداء بالاستهلالة التي تكشف عن براءة ذاتها ونصاعة روحها اذ يقول:

سارتْ شُعاعاً نابضاً متوقداً
فيها انتفاضاتُ الربيع مُورّدا
تخطو على إيقاع نغم فاره
فاه الشبابُ بلحنه فترددا

من كعبها انبثَّ الضياء وعانقتْ
ذراتُ تُرب العاشقين المُهْتَدى
وعلى جديلة شعرها سالت سبا
ئك من كنوز الله تهمي عسجدا
هي فتنة الدّنيا ملاك طاهر
رأت الطريق أمامها قد مُهّدا
ولها دلال الغصن مياس الجنى
فتحت لها الدّنيا يداً ثم يدا

يكنّي الشاعر - في البيت الشعري الاول - عن لسات الجمال الفطري والبراءة الغضة بعنقود من الصور البيانية، اذ تطالعنا الاستعارة التصريحية التي صيرت دلال (المستعار له) شعاعاً. وقد اضفى الشعاع (اللفظ المستعار) على الفتاة دلالات النصاعة والنقاء فضلا عن القدرة في اثارة الاريحية في النفوس. وينتقي خيال الشاعر لفظ (نابض) قرينة استعارية لاستعارة مكنية يستحيل الشعاع - تحت ظلالها - قسيماً استعارياً للقلب (المستعار منه) المترع بالحياة، ايحاء برهافة المشاعر والاحاسيس. وتطل من لفظ (متوقد) استعارة مكنية أخرى تصير الشعاع وهجاً (متوقدا) اشارة الى جذوة الشباب وعنفوانه، ويهب الربيع بطلة القصة الشعرية كل دلالاته المقترنة باللون الزاهي والعطر الذاكي فضلا عن التجدد والحيوية في نسيج صورة كنائية انتظمت الشطر الثاني.

ملامح البطلة حسيا:

ان هذا الاستهلال للقصة الشعرية قد أضاء جانباً من ملامح دلال الحسية وطبيعة سريرتها حيث استعانت الصور البيانية المتواشجة بتأثير ثلاث حواس هي حاسة البصر المستقاة من لون (الشعاع) الناصع، والربيع والوان وروده (موردا)، ولون التوقد (متوقدا). وحاسة السمع المستوحاة من صوت النبض (نابض). فضلا عن حضور حاسة اللمس المستمدة من وهج الوقد (متوقدا). اذ يعزز حضور تلك الحواس تأثير اللوحة الشعرية.

ولكي يفصح الشاعر/ الراوي عن ميعة الصبا وفورة الشباب فانه يستعين بالصورة البيانية التي ترصد ايقاعية خطوات دلال - بطلة القصة الشعرية - في البيت الثاني حيث يتأنسن الشباب (المستعار له) - تحت ظلال التشخيص الاستعاري - مغنياً يتسق (لحنه) مع تلك الخطوات الموقعة.

ويغدق حضور الالفاظ (ايقاع)، (نغم)، (فاه)، (لحنه)، (ترددا) على اللوحة الاستعارية طابعاً سمعياً بيناً. ويشكل تردد صوت النون والفاء مهاداً ايقاعياً اذ يتكرر صوت النون اربع مرات (ن ... ن ... ن ... ن) وصوت الفاء ثلاث مرات (ف ... ف ... ف) وفي اطار ما يُدعى بـ (التجمعات الصوتية)[٨] التي من شأنها ان تدخل في مفاصل الصورة الشعرية لتزيدها عمقاً في الدلالة وثراء في تدفق الايحاءات.

ويأتي البيت الثالث كي يكشف عن ملمح حسي آخر من ملامح دلال وهو لون بشرتها إذ تغدو بطلة القصة الشعرية (المستعار له) - تحت خيمة الاستعارة المكنية - مناراً للعاشقين بقرينة قول الشاعر (من كعبها انبث الضياء) افصاحاً عن لون بشرتها البيضاء التي تخفي تحت إهابها الفطرة الخيرة المتمثلة بنقاء السريرة وبهاء الروح وتكرس هذا المعنى الاستعارة المكنية التي شخصت (ذرات ترب العاشقين) اناسي (المستعار منه) (تعانق) خطوات دلال وتباركها.

وتظل الصورة البيانية اداة القصة الشعرية ووسيلتها في رسم ملمح خارجي آخر من ملامح دلال حيث تعكس في البيت الرابع لون شعرها وغزارته حين يصطفي خيال الشاعر (السبائك) قسيماً استعارياً مشتركاً لثلاث صور استعارية مكنية إذ تصيرها الأولى ماء (المستعار منه) بدلالة الفعل المستعار (سالت). وتجعلها الثانية والثالثة غيمة (المستعار منه) بدلالة الفعل المستعار (تهمي). تعبيراً عن نعومة شعر دلال وغزارته. ويضفي الفعلان المستعاران (سالت)



و(تهمي) على اللوحة الاستعارية سمات التجدد والحركية. ويعكس حضور اللفظين (سبائك) و(عسجد) دلالات اللون الاصفر البراق المقترن بالنفاسة والندرة.

سجايا البطلة النفسية:

ولكي يستكمل الراوي/ الشاعر ملامح شخصيته القصصية فانه ينتقل من سماتها الحسية التي اضاءتها الصورة البيانية الى سجاياها المعنوية حين يصوغ صورة تشبيهية مجملة تجمع بين دلال (المشبه المحسوس) وفتنة الدنيا (المشبه به المعقول). ولم يشأ الشاعر أن يورد وجه الشبه الذي يجمع بين طرفي التشبيه كي يترك لمخيلة القارىء سانحة انتقاء وجه الشبه الذي يخدم السياق الشعري، ويشفع الشاعر هذا التشبيه بتشبيه مفصل يعقد من خلاله الصلة بين دلال (هي) (المشبه) والملاك (المشبه به). ووجه الشبه الذي يجمع بين طرفي التشبيه هو سمة الطهر وقد ورد في نسيج التشبيه (طاهر). ويتآزر هذان التشبيهان كي يشكلا نمطاً تشبيهيا اطلق عليه البلاغيون (تشبيه الجمع)[٩]، حيث يتكرر فيه ايراد المشبه به دون المشبه وغايته هي استكمال صورة (دلال) الحسية الموحية بالجمال الاخاذ وصورتها المعنوية المقترنة بالسمو والعفاف.

وينتظم قوله: (رأت الطريق امامها قد مهدا) صورة كنائية تنم عن اقبال الحياة على البطلة، وقد رمز لها الشاعر بالطرق الخالية من العقبات.

وتمضي الصورة البيانية في اضفاء اللمسات الفنية على قوام دلال في البيت الشعري الاخير حيث يكون لفظ (دلال) محوراً لصورتين بيانيتين فهو قرينة استعارية لصورة استعارية مكنية تضفي السمات الانسانية على (الغصن مياس الجنى) (المستعار له) فيتجلى حسناء تقطر فتنة وغنجاً ويكون اللفظ ذاته (دلال) وجه شبه يجمع بين طرفي تشبيه مفصل يعقد الصلة بين بطلة القصة الشعرية المشار اليها بضمير الغائب (لها) (المشبه) و(الغصن مياس الجني) (المشبه به). ويهب المشبه به المشبه ايحاءات العطاء والجمال والتجدد. وتتآزر هاتان الصورتان البيانيتان كي تشيا باعتدال قوام دلال وتثنيه حين سيرها. ويشاء الشاعر أن يختم هذا المشهد باستعارة مكنية تستعير لـ (الدنيا) (المستعار له) من عالم الانسان (المستعار منه) سمات الكرم والعطاء المتدفق بدلالة (فتحت لها ... يداً ثم يدا) كناية عن احتفاء الحياة بها واقبالها عليها لما تمتلكه من صفات جمالية وسجايا نفسية سامية.

حركية الصورة:

ومنذ مستهل هذا المشهد نلحظ ان الشاعر يفضل ان يلتقط لبطلته (دلال) صوراً تزخر بالحركة وهي تنعكس على صوره البيانية. أو لم تر كيف يهتم بسير دلال (سارت) وخطواتها (تخطو) و(من كعبها) على صعيد الحركة المحسوسة؟ وربما كنى عن حركتها المعنوية واسلوب عيشها بـ (الطريق الممهد). وبذلك فان الشاعر يهب صوره البيانية فيضاً من الحيوية والعنفوان.

ويضم المشهد الثاني ذروة الحدث الذي تنهض به هذه القصة الشعرية حيث تتجه دلال صوب طريق

الكاتبة في سطور

- دكتوراة في النقد البلاغي.
- أستاذة النقد الادبي والدراسات البلاغية.
- لها جمهرة من الدراسات والبحوث نشرت في العديد من المجلات المختصة.
- صدر لها كتاب «الصورة البيانية في شعر عمر ابي ريشة».
- لها مجموعة من القصائد.
- شاركت في مجموعة من المؤتمرات والندوات.

لم تألفه في حياتها بل تجرب الخوض فيه وتحاول اقناع ذاتها به عبر حوار ذاتي (Monologue) (١٠). يطل علينا من خلال استهلالة المشهد الثاني في قول الشاعر:

قالت: وماذا لو رميتُ بمهجتي
في موجة الدنيا اللعوب لتسعدا؟
بلجتْ براعمها فألفتْ حولها
صور الجمال، وكل مال مُعْتَدا
كانت يتيمة والد لم يرعها
والأم أشقى مَنْ رعاها مولدا
كانت دلال تحسُّ مأساة امّها
وترى حواليها الربيع زبرجدا
فمضت تداري عاشقا حيناً وحيـ
ـنا تشتري بوصالها المتردّدا
قد أطْمعتْ ويلُم ما في مُهْجة
حرّى تخوضُ صراعها المتمرّدا

ويكون التجسيم الاستعاري[١١] أداة فنية في البيت الاول تتشكل من خلاله صورتان استعاريتان مكنيتان أما الاولى فانها منحت المهجة (المستعار له المعقول) جسماً بدلالة الفعل المستعار (رميت). واما الاخرى فقد اسبغت على الدنيا (المستعار له المعقول) اجواء البحر ودلالات عالمه الغامض بقرينة (موجة) وحرف الجر (في).

وينتقي خيال الشاعر لفظ (اللعوب) قرينة استعارية لاستعارة مكنية ثالثة تتشخص من خلالها الدنيا (المستعار له) فتاة متقلبة لا يقر لها قرار. وتشع من تواشج هذه الصور الاستعارية كناية تشي بالرغبة العارمة التي اجتاحت دلال في اختراق حواجز الفضيلة والامان والنأي عنهما.

ولقد وردت هذه الصور البيانية في اطار تساؤل ينم عن بدء استجابة البطلة لتلك النوازع اللاهثة وراء البريق الزائف.

وتنطوي الاستعارة المكنية التي شخصت الدنيا (المستعار له) على ثنائية ضديَّة تعكس نقيضين، اذ تظهر الدنيا ـ في خاتمة المشهد الاول ـ في غاية اللطف والسخاء. في حين أنها تبرز ـ في مستهل هذا المشهد ـ باهاب آخر يشي بالتغير والتقلب ارهاصاً بوقوع حدث وشيك تنقلب فيه حياة دلال رأساً على عقب.

وتسجل الصورة البيانية بداية انسياق بطلة القصة الشعرية الى ذلك السبيل الوعر حيث يطالعنا البيت الثاني باستعارة مكنية تضمنها قول الشاعر: (بلجت براعمها) حيث تستعير البراعم (المستعار له) من الفجر دلالات الانبلاج (بلجت) الموحية بالاشراق والتجدد. وتسبغ لفظة (البراعم) على الصورة ايحاءات الغضارة واللون الأخضر الزاهي. وتنبثق من هذه الاستعارة صورة كنائية تتجلى من خلالها تلك الفتاة (المكنى عنها) ايكة براقة زاهية الالوان ايماء الى أصباها الغض. وقد استجابت لها الحياة في هذه المرحلة حين زينت لها هذا السبيل واخفت امامها عواقب حصولها على ذلك المال الحرام الذي كنى عنه الشاعر بقوله: (مال معتدا).

الارتجاع الفني:

يعود الشاعر الراوي، وبأسلوب الارتجاع الفني (Flash - back) (١٢) إلى ماضي دلال، حيث يسترجع في البيت الثالث من مقطع القصيدة الثاني المهاد الاجتماعي الذي ترعرعت فيه متلبثاً عند حدث فقد الأب حين تنسج الصورة الكنائية التي انتظمت البيت خيوط مأساة تلك الفتاة مشيرة الى طبيعة الاجواء التي ادت الى انهيار القيم والمثل لديها لا سيما انها شهدت معاناة امها وخلو حياتها من الرعاية والرفد المادي. ويكرس تكرار الفعل (رعى) الذي ورد مجزوماً مرة وبصيغة الماضي اخرى (لم يرعها، و(رعاها).

أجواء الفقد والحرمان:

وتنزع شخصية الفتاة في البيت الرابع صوب السقوط ومحاولتها تبريره والاقتناع به. وتأتي الصورة



التشبيهية المرسلة كي تعقد الصلة وعبر فعل التشبيه (ترى) - بين شباب دلال المترع بالحيوية والذي رمز له بالربيع (المشبه المحسوس) وبين الثراء وقد عبر عنه بالحجر الموات (الزبرجد) (المشبه به المحسوس) ايحاء برغبة البطلة في ان تستبدل نبض الشباب وعنفوانه بسكونية الزبرجد وجموده.

لقد تفننت ريشة الشاعر في تلوين هذه الصورة التشبيهية اذ نهلت من الربيع الوانه المتجددة واستقت من الزبرجد خضرته البراقة التي ارتضتها بطلة القصة بديلا عن الوان الربيع الحية.

ولكي ترسم الصورة البيانية تهاوي تلك الفتاة في دوامة الرذيلة فانها تعكس في البيت الخامس - وتحت افق صورة كنائية - كثرة المتهافتين عليها (عشاقها) العابرين الذين تتشكل من مجموعهم صورة الشخصية الشريرة التي تلتهم الجانب الخيّر من البطلة وتمتص نضارتها وتغير مسار حياتها باتجاه الهاوية.

ومثلما منح السياق الشعري لفظة العشق (عاشقاً) ايحاءات الغواية والزيف، فان الوصال يغادر دائرة السمو والرفعة كي يدخل في اطار الضعة والابتذال حين تجسمه الاستعارة المكنية بضاعة (المستعار منه) بقرينة الفعل المستعار (تشتري) ايماء لإيغالها في اقتناص (عشاقها) بعد ان نجحوا في اغوائها ببريق المال الخادع.

ويشكل تكرار ظرفي الزمان (حيناً، وحيناً) قوام صورة كنائية نمت عن اجواء الزمن الموبوء الذي شغلته بطلة القصة بما يتنافي والقيم الخيّرة للمجتمع لاهية عن العاقبة السيئة التي تتربص بها. ويتضمن انشغالها هنا بحياتها الجديدة غياب سريرتها الخيّرة من جانب فضلا عن ضمور نضارتها ووشك أفولها تحت وطأة الزمن الذي لا ينجو من تأثيره انسان على وجه هذه البسيطة.

خاتمة المشهد:

ويتخلى الشاعر/ الراوي عن رداء الحياد في خاتمة هذا المشهد حيث يتفاعل في البيت السادس مع سياق القصة الشعرية فيشير الى مأساة بطلته وما تثيره من شجن في النفوس لا سيما ان الشاعر كنى عن خوضها في عالمها المعتم بـ (المهجة الحرى) وهي تعاني (صراعها المتمردا) وتشع من هذه الصورة الكنائية - التي انتظمت البيت - ثنائية ضدية تنمّ عن التعاطف معها على اساس انها ضحية و(قد اطمعت) تلويحاً بما تنطوي عليه النفس البشرية من نوازع انساقت اليها دلال. بيد ان طرف هذه الثنائية الآخر هو احساس الشاعر/ الراوي بالسخط عليها إذ تمادت في غيّها ولابد في هذه الحالة من ان تواجه مصيرها المحتوم كي تكون عبرة لسواها من بنات جنسها. ان هذا الانتقال من السرد الموضوعي الى السرد الذاتي له ما يبرره اذ يفرضه سياق القصة الشعرية، وهو يأتي استجابة لذروة الحدث الذي شهد سقوط القيم النبيلة في اعماق دلال وقرب ذبول ألقها وخفوت بهاء ملامحها.

ويعود الشاعر/ الراوي الى فضاء السرد الموضوعي في مشهده الثالث والأخير حيث يواصل سرده لاحداث قصته الشعرية فيستهل المشهد بوصف انغمار دلال في مباهج الحياة الزائلة إذ يقول:

غاصت بأحضان النضار وأغرقتْ
بالناعم الأملود فدّاها النّدى
لكنّهـا سُلبتْ ثراء الروح في
لُجّ السّراب وَحُلْمَـهَا المتوردا
ثابت وعادتْ بالجمال وقدْ ذوى
زهرُ الربيع وجفّ في العود النّدى
ولربّما تنوي الزهور البائسا
ت بفصلها.. بيد الليالي والصدى

يروق للشاعر في البيت الاول ان يصبغ لوحة دلال - في هذه المرحلة - باللون الاصفر البراق المستوحى من صفرة النضار. فهو لا يكتفي بحضوره - تحت افق الاستعارة المكنية - اما

(المستعار منه) تلوذ باحضانها دلال كي تحس في كنفها بالسكينة والامان. بل انه يحيل النضار - في اطار استعارة مكنية اخرى - بحراً (تغوص) في اعماقه دلال تكريساً لاجواء الاحاطة والاشتمال.

وتنهل الاستعارة المكنية التي انطوى عليها قول الشاعر (اغرقت بالناعم الاملود) من البحر ودلالاته مرة أخرى اذ يتجلى قسيماً استعارياً لـ (الترف والنعيم) (الناعم الاملود) بقرينة حرف الجر (الباء) والفعل المستعار (اغرقت) اشارة الى انقطاع دلال عما يصلها باسباب الحياة الكريمة وانغلاق عالمها على اجواء الرذيلة بعيداً عن الهواء الطلق والاجواء الخيّرة. ويضفي الفعلان المستعاران (غاصت واغرقت) على اللوحة الاستعارية ايحاءات الضياع والغرق المؤذن بالاختناق والموت الوشيك، ولكي تتقصى الصورة البيانية اجواء الثراء التي كانت تنغمس فيها بطلة القصة الشعرية فانها تصير الندى - في قول الشاعر (فداها الندى) انساناً (يفدى) دلال بكيانه في سياق استعارة مكنية نمت عن قدرتها على سلب العقول الخاوية بسحر فتنتها وبريق شكلها.

وتفصح الصورة البيانية في البيت الثاني عن الخسارة التي منيت بها دلال. صحيح انها كسبت الثراء المادي الذي يقع خارج ذاتها ولكنها خسرت سموها وعنفوانها اذ افتقرت روحها الى زاد الفضيلة وقد عبرت عنه الصورة الاستعارية - التي انطوى عليها قول الشاعر (سلبت ثراء الروح) - اذ شخصت الروح (المستعار له) انساناً مثرياً وما ذلك الا لأن دلال استبدلت الجوهر الأصيل والثابت (ثراء الروح) بما هو براق وغير حقيقي وقد كنى عنه بـ (لج السراب) الموحي بالزيف. وقد اصطبغ حلم الفتاة بلون الورد (حلمها المتوردا) كناية عن الق ذلك الحلم ولقد جاءت واو العطف كي تعطف ذلك الحلم الزاهي على اثراء الروح حيث سُلبتهما تلك الفتاة وخسرتهما معاً، بيد أنها لم تع خسارتها الحقيقية في غمرة انسجامها مع تلك الاجواء الحالكة.

ويكتنز البيت الثالث بالايحاءات التي تخدم سياق القصة الشعرية فثمة كناية تشع من قول الشاعر (ثابت) تشي بنمو في شخصية دلال اذ تستيقظ الفطرة الخيّرة في اعماقها كي تؤنبها على ما جنته يداها وتعيدها الى جادة الرشاد، وبذلك تنهي هذه الكناية رحلة البطلة الخائبة في دروب الطيش والهوى. ويشفع الشاعر هذه الكناية بكناية اخرى انتظمت قوله: (وعادت بالجمال وقد ذوى زهر الربيع وجف في العود الندى) اذ تشير الكناية الى تغيّر ملامح الجمال وتلاشي نبض الشباب وعنفوانه. لقد غيبت هذه الصورة البيانية ألق الربيع والوانه الزاهية لتحل محله صفرة الذبول ولون الهشيم، ايماء لتأثير عنصر الزمن على ملامح دلال. كما عزز الفعلان (ذوى جف) ايحاءات الافول والانكسار.

وتتضح في خاتمة القصيدة العبرة المستقاة من هذه القصة الشعرية حيث يصوغ الشاعر في البيت الرابع والاخير عنقوداً من الصور البيانية تطالعنا منها الاستعارة التصريحية التي تحل من خلالها النساء في اهاب الزهور، وتغيب هذه الاستعارة النساء لتحضر الزهور محلها. لقد اسبغت الزهور (اللفظ المستعار) على النساء (المستعار له) دلالاتها المقترنة باللون الزاهي والرائحة الشذية والملمس الناعم فضلا عن الجمال والغضارة، وتشع من قول الشاعر: (البائسات) كناية تنم عن الظرف القاسي الملفع بالشقاء. وتتشكل من قوله: (بفصلها..) تورية تشي بمعنيين احدهما يشير الى فصل الربيع وهو زمن تألق الزهور وزهوها، واما المعنى الآخر فينم عن القطف المفضي الى الافول والموت. وتضفي الاستعارة المكنية على الليالي (المستعار له) سمات الجاني فتبرز بملامح شرسة وقاسية، وتعزز القرينة الاستعارية (يد) بوصفها اداة الجاني ووسيلته في الايذاء اجواء البطش والوحشية التي تخوض في غمارها تلك الزهور اللاهثة خلف بهرج الثراء وقد اقترن في مخيلة الشاعر بالصدى فبدا

ـ وفي سياق استعارة مكنية ـ جانباً آخر يسهم في قتل تلك الزهور وسحقها. لقد لوّن الشاعر وبوعي منه خاتمة قصته الشعرية باللون الاسود المستمد من الليالي حداداً على بطلة قصته الشعرية التي أمست هشيماً وحطاماً.

وبعد:

فان الصورة البيانية التي تفنن الشاعر عبد الله الفيفي في صياغتها كانت أداة فنية أبرزت عناصر القصة الشعرية في قصيدة (دلال) ولا سيما الصورة الاستعارية بشعبتيها المكنية والتصريحية حيث أفاد الشاعر من عبقرية الاستعارة في تشخيص المعنويات والمحسوسات وتجسيمهما، تليها الصورة الكنائية فالتشبيهية بانماطها المفصل والمجمل والمرسل والجمع.

لقد مهرت الصورة البيانية في رسم ملامح بطلة القصة الشعرية الحسية منها والمعنوية، كما رصدت حركتها التي تشكل عنصر الحدث، وانصتت لحوارها الهامس مع ذاتها. ولم يحدد الشاعر ـ وبوعي منه ـ لقصته الشعرية زماناً ومكاناً معينين رغبة منه في اطلاقهما وصولا الى العبرة المستقاة من احداث القصة برمتها واشارة الى أن هذه الاحداث مما يمكن ان تقع في كل زمان ومكان.

وقد تسلل تأثير الحواس ولا سيما حاسة البصر الى نسيج الصورة البيانية، فالشاعر يستهل قصته الشعرية باللون الابيض المعبر عن النقاء والجمال ولكن سياق احداث القصة يقود بطلتها الى صفرة النضار المهدة لموتها المعنوي وانتقالها الى اجواء لا يليق بها سوى اللون الاسود المعتم الموحي بالحزن والاسى.

الهوامش:

(١) ينظر: د. جلال خياط، الاصول الدرامية في الشعر العربي، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٢، ص ٧ كما ينظر: د. بشرى الخطيب، القصة والحكاية في الشعر العربي في صدر الاسلام والعصر الاموي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٩٠ ص ٨ ـ ٩.

(٢) اطلق د. جلال خياط مصطلح القصة الشعرية على هذا النوع من القصائد. ينظر: د. جلال خياط، ص ٧ وهو المصطلح الذي تبنته هذه الدراسة.

(٣) د. محسن اطيمش، دير الملاك، دراسات نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٢، ص ٢٣.

(٤) د. عز الدين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر، دار العودة ودار الثقافة، ط ٣، بيروت ١٩٨١، ص ٣٠.

(٥) عبد الله الفيفي، اذا ما الليل اغرقني، مطابع الشريف، الرياض ١٩٩٠، ص ٦٩ ـ ص ٧٣.

(٦) ينظر: د. حفني شرف، التصوير البياني، مكتبة الشباب، ط ٢، القاهرة ١٩٧٣، ص ١٩. وينظر: د. وجدان عبد الاله الصائغ، الصورة البيانية في شعر عمر ابي ريشة دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٩٧، ص ١٨١ وما بعدها.

(٧) ينظر: د. سيزا قاسم، بناء الرواية، دار التنوير، بيروت ١٩٨٥، ص ١٨٠.

(٨) د. محسن اطيمش، ص ٣٢٤.

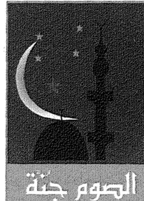
(٩) ينظر: الخطيب القزويني، الايضاح في علوم البلاغة، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، ط ٥ ، بيروت ١٩٨٠ ص ٣٧١.

(١٠) ينظر: مجدي وهبة، معجم مصطلحات الادب، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٧٤، ص ٣٢٩.

(١١) ينظر: سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار المعارف (دون تاريخ) ص ٦٣. كما ينظر: د. وجدان عبد الاله الصائغ، الصورة الاستعارية في شعر الاخطل الصغير، رسالة دكتوراه مخطوطة، كلية الاداب/ جامعة الموصل، الموصل ١٩٩٥ فصل التجسيم الاستعاري، ص ٦١ وما بعدها.

(١٢) ينظر: مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٧٤، ص ١١٠.

أطفالنا والصيام



مرحلة الطفولة في حياة كل منا هي أهم مرحلة ففيها نتعلم ونتعرف على الأشياء.

نتعلم القيم والمبادىء، نتعلم المعنى الحقيقي للإيمان وكيف نصبح مسلمين بكل هذه الكلمة من معان عظيمة وجميلة وعلى حد قول الكلمة المأثورة - العلم في الصغر كالنقش في الحجر - فكل ما نتعلمه في طفولتنا ونشب عليه يحفر داخلنا ويصبح هو اسلوبنا في الحياة وفي تعاملنا مع الآخرين لذا على كل أم وأب أن ينتهز المناسبات الدينية ويعلما صغارهم تعاليم الدين الحنيف بالقول والفعل وبأن يكونا قدوة حسنة لهم.

وبمناسبة قدوم شهر رمضان المبارك علينا أن نوضح لأبنائنا المعنى الحقيقي للصيام ويجب أن نوضح أن معنى الصيام في شهر رمضان ينقصه الكثير من التوضيح حتى تصل الفكرة واضحة للطفل، فمن القصور الشديد أن يصل معنى هذا الشهر للطفل على أنه فقط ابتعاد عن الطعام والشراب مما يؤدى الى تعجب الطفل وتساؤله لماذا ينهانا الله عن تناول هذه المأكولات والمشروبات وقد تعودنا عليها وسمح لنا بتناولها؟! ولكى يجد الطفل إجابة عن تساؤلاته ولكى تكتمل هذه الصورة أمام الطفل نحتاج الكثير من الاهتمام الحقيقي لتوصيل الفكرة الحقيقية للصيام مثل التآخى بين الناس فمواعيد الإفطار واحدة والإمساك عن الطعام واحد أيضا وهذا يقوى روح الجماعة بين المسلمين، خاصة أن الاسلام يحض ويشجع على العمل الجماعي.

وأن للصيام فوائد اجتماعية وخلقية عظيمة الشأن فهو يربى في الإنسان فضيلة التقوى وهذا ما أشار إليه الحق سبحانه وتعالى في قوله تعالى {يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون} (البقرة/١٨٣).

والصيام يعود المسلم على الصبر وقوة التحمل والإرادة والعزيمة وهى من الصفات الضرورية للمسلم الصغير.

كما يربى الصيام لدى الطفل صفة المراقبة والانضباط الذاتى فالصائم لا يراقب أحدا بصومه إلا الله سبحانه لأنه هو المطلع عليه.

والصوم فيه إحساس من الغنى بآلام الفقير الذى لا يجد قوت يومه فالغنى إذا ما صام فسوف يحس بآلام الجوع وهنا يدرك ما يعيش فيه الفقير الذى يصاحبه الجوع في رمضان وغير رمضان.

والصوم فوق كل هذا فيه وقاية للمجتمع المسلم من الشرور والآثام لأن الصائم لا يمسك فقط عن الطعام والشراب وإنما يهجر جميع المعاصى والسيئات فجوارحه تصوم عن كل ما هو خبيث من القول والعمل.

شروط صيام الأطفال:

قد اختلف الأئمة على تحديد السن التى يجب على الآباء والأمهات أن يأمروا أولادهم عندها بالصيام فبينما قال الشافعي وأبو حنيفة «يؤمر الولد بالصوم وهو ابن سبع سنين» نرى الإمام أحمد

سهير ابوبكر عبدالوهاب
- مصر -



يحدد بداية الصوم بعشر سنين وقال اسحاق «إن من واجب الآباء والأمهات أمر أولادهم بالصوم عند بلوغهم للأثنى عشر ربيعا».

ويقول الإمام الأوزاعى «إذا أطاق ثلاثة أيام تباعا لا يضعف فيهن حُمل على الصوم» ويستحسن تدريب الصبيان المميزين على الصوم لما روي عن الربيع بن مسعود قال «أرسل رسول الله [صلى الله عليه وسلم] - غداه عاشوراء - إلى قرى الأنصار التي حول المدينة من كان أصبح صائما فليتم صومه ومن كان مفطرا فليتم بقية يومه فكنا بعد ذلك نصومه ونصوّم صبياننا الصغار منهم ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه إياه عند الإفطار» رواه البخارى.

كما يجب تشجيع الأطفال على الصيام إذا كانت صحتهم تتحمله ولا يجب أن يدفع الخوف على الأبناء أو على قدراتهم على الإستذكار والتحصيل حتى لا نزرع في الأطفال أن المهم هو فقط التفوق الدراسى أما الشعائر الدينية فهى أشياء ثانوية نقوم بها عندما تسمح الظروف وهذا عكس ما نرغب في ترسيخه في عقول وضمير أبنائنا وهو أن الدين هو القيم والإلتزام، وهى الأهم والأكثر أهمية وإذا التزمنا بها فسوف ننجح في كل أمور حياتنا بعد ذلك .

دربوا أطفالكم على الصوم بالرفق واللين:

إذا كان تدريب الأطفال على الصيام أمر مستحب فإن ضربهم على ذلك حرام لما قد يؤدى بهم إلى الانحراف مستقبلا فإن إجبار الطفل على الصوم قد يدفعه الى تناول المفطرات سرا ثم يتظاهر بالصوم وتكبر معه هذه الخيانة لأن الطفل عادة لا يقدر معنى الأمانة ولا يحترم المسئولية. لذا يجب على الآباء والأمهات أن يدربوا اطفالهم على الصوم وأن يحببوا إليهم ذلك بالرفق واللين.

ويجب على الآباء والأمهات أن يتدرجوا عند تدريب اطفالهم على الصيام وليكن هذا التدرج على النحو التالي:



١ - عند وصول الطفل إلى سن سبع سنوات يمنع عنه الطعام والشراب لمدة ثلاث ساعات يوميا ويفضل أن تبدأ هذه الفترة من العصر وحتى الإفطار على أن يتم ذلك مرة واحدة أو مرتين كل أسبوع.

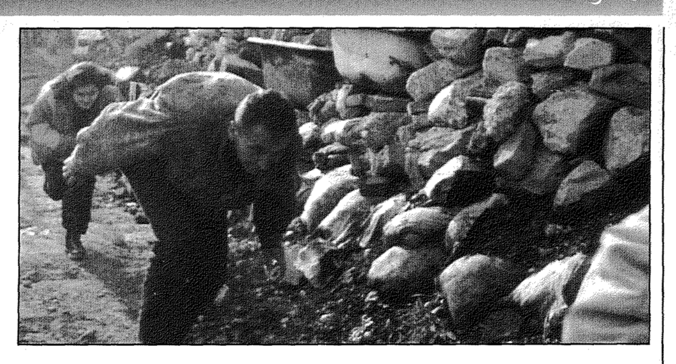
٢ - وفي الثامنة من عمره يبدأ الطفل في صيام ثلاث ساعات كل يوم طوال شهر رمضان.

٣ - وفي التاسع من عمره يمكن مد فترة الصيام من الصباح وحتى آذان العصر على أن يكون ذلك يوما بعد يوم.

٤ - وفي سن العاشرة يدرب الطفل على صيام ثلاثة أيام كل أسبوع صوما عاديا أى منذ الفجر حتى آذان المغرب.

٥ - وفي العام التالي، أى عندما يبلغ سن الحادية عشرة من عمره يكون الطفل قادرا على صيام أيام الشهر الكريم كلها منفذا لأوامر الله [يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون].

بهذا نجعل الطفل مخلوقا يرقى ويرتقى نحو الخير والتقوى والصلاح ويصبح فردا سويا في هذه الحياة.



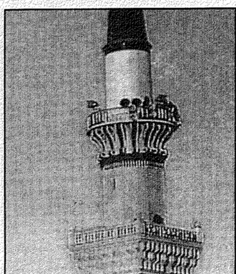
حبيس الجدران

** هذه محاولة في الطريق لطالبة في المرحلة المتوسطة..

تعال واذرف دمعة الأحزان
على ثرى الحبيس في الجدران
جدار نفس قد طغت شهواتها
فصار لها عبدا مدى الأزمان
جدار أنانية وحب لذاته
جعلته يرجو الشيء كالصبيان
لا يرى في الكون حقا لغيره
فهو الوحيد صاحب الوجدان!!
هو الذي يعاني الهم وحده
ما الكون غير ظالم هدّام!!
يرى حلي الدنيا في وصل صحبه
ويرى خراب العمر في الهجران
يعيش بين نار حب وغيرة
وتواصل وتشاجر وكلام
تقول له إن أنت إلا فارغ
ألا ترى قذائف النيران؟؟
على إخوانك في الدُنا تصليهمُ
فيقول مالي همي قد كفاني!!
تقول له أخي انظر إليهمُ
ألا تراهم مقطعي الأبدان؟
ألا ترى الأيتام تبكي أهلها؟
ألا ترى الثكالي في الخيام؟

نور محمد البار
- جدة -

رمضان يا قطر الندى

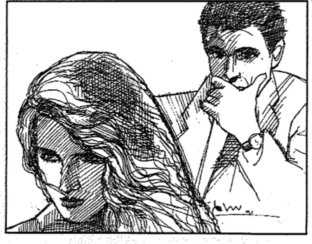


سهام مهران عبدالله
- سوريا -

اليوم أنسج للمبارك بردتي
من عسجد، وزمرد تنداحُ
اليوم والشهر الفضيل مكرَّم
رمضان - يا قطر الندى - فوّاح
أجهز على التخريب تنجزْ عبرة
للمفسدين ، ويكمل الإصلاح
واقطف زروع الشر في ريعانها
فهم أتاحوا قطفها، وآلاحوا
وهب الجموع هداية، ومناقباً
ولأنت منّاح الهدى وفلاح
ولقد قصدتك يا حبيبي لائذاً
بحسان فعلك والندى وضّاح
كنت الفضيل مدى السنين منائراً
فشموس هديك نعمة، ونجاحُ

رحيل

سهام مهران عبدالله
- سوريا -



أزف الفراقُ حبيبتى لا ترحلي
وترفقي .. هاك الفؤاد.. تمهلى
لا تعجلي فالقلبُ يأتي عودة
فإذا ذهبت تركتنى جسداً خلى
والعقلُ دونك مهمل ومكبل
كيف الحياة بدونه.. هل تقبلى؟!
فإذا أبيت سوى الرحيل وفرقتى
فلتهملي هذا الفؤاد وتقتلى
لا تعبئى أبداً بصب عاشق
يكوي الغرام فؤاده.. لا تسألى
الله لى بعد الفراق حبيبتى
الله لي .. فالعمر بعدك ينجلى
حسبى سناك على النجوم موزع
حسبى هواك فإنه هو قاتلى

رسالة من زكي مبارك إلى السيدة الجميلة

حبيبتي يا حسناء قريتي - سنتريس:

رسالتى إليك اعتراف وعرفان في نفس الآن .. اعتراف بجميل حبك ورقيق إحساسك نحوى وحنو قلبك عليَّ فها أنت في سنتريس لما علمت بقرب مغادرتى الوطن إلى باريس فلم تشئي أن تعوقى رحلتى فتذرفي الدموع وتطلقى الآهات وتبعثى التنهدات حارة جارفة حزنا على فراقى لك.. غير أنك كنت خير من أضرم فيّ طموحات الأمل والانطلاق إلى الرفعة والعلاء، والتزود من عاصمة النور بالنور.. نور الفكر، ونور العلم، ونور الحضارة حتى أعود إلى وطنى - مصر - برسالتى التى نذرت لها روحى وحياتي ومصيرى.. كنت خير من أحيا في وجدانى طموحات الأمل بغير أن تراودك غيرة من أن أتمرد على حبنا فيزيغ بصرى، هنا أو هناك حيث الحسناوات في باريس لا يكففن عن المعابثة وإطراح شباك الغرام وشراك الهوى على أمل أن يقع في هواهن واحد مثلى؛ وإن كنت لا أعرف سر غرامهن بأبناء الشرق، وشدة لهفتهن على مطارحتهم الغرام وإهدائهم عطور الحب لعلهم يستجيبون لأهوائهن ونزواتهن.

إنني يا حبيبتى أجاهد وأجاهد وأضرب على نفسى - في كثير من الأحيان - عزلة شبيهة بعزلة أبى العلاء حتى أتقى حسناوات باريس.. فهن دائبات على مناوشتى، دائبات على اختلاق الحيل لملاقاتى ومطارحتى بكلمات الهوى والغرام.

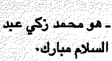
في إحدى الليالى قمت بنزهة قصيرة على ضفاف السين عند الأصيل، وكان الجو شبه غائم. ومع ذلك فالنسمات الرطبة الحلوة تداعب وجوه الذين يتنزهون كما تداعب أمواج النهر وكأنها تتغنى بألحان الهوى والغرام.. يا عجبا: كل شيء هنا ينتشى بالغزل: الماء والسماء، والأشجار والنسمات، فكأننى، والحق أقول كنت أسير في جنان كل أنيسها من الحور العين.

ماذا أقول يا حبيبتي؟ اغفرى لي هذا الاعتراف.. أرجوك، أرجوك، ولا تتوجسى منى خيفة ولا تخامرك الشكوك فقلبي لك وبك يا حسناء سنتريس.

أجل، سرت على ضفاف السين عند الأصيل.. خامرتنى ظنون كثيرة، بل غازلتني مغريات أكثر؛ ولكن سرعان ما رجعت إلى روحي، ورجعت الى ضميري فتذكرت رسالتى التى جئت من أجلها ونذرت نفسي لها وسعيت غاية السعي لأحققها؛ فقلت لحسان السين:

يا جيرة السين يحيا في مرابعكم
فتى إلى النيل يشكو غربة الدار
جنت عليه لياليه وأسلمه
إلى الحوادث صحب غير أبرار
أحاله الدهر في لأواء غربته
روحا مُعَنًّى وجسما نضو أسفار
يسعى الى المجد ترميه مخاطره
بنافع من شظاياها وضرار

بقلم: محمد عبدالواحد حجازي
- مصر -



عــزاؤه أن عــقــبى كل عــادية
يشـقى بهـا الحـر إكليل من الغـار

ومن هنا تدركين يا حسنائى أننى كنت دوماً في شقاق حاد بينى وبين نفسى، أحيانا كان يطيف بي لواذع ملحفة من الإحساس بالضيق والملال وكأننى أدخلت في سجن لا أنيس فيه ولا جليس. فلا يسعنى سوى أن أذرف الدموع فتنزل حارة على كبدى ذلك لأننى كنت أحس بوطأة الغربة تطبق على أنفاسى فتضيق من الدنيا الواسعة وتصير بزخرفها وزينتها الخلوب كالحة مربدة.. ومن ثم كنت أشكو باريس إلى باريس؛ فقلت لها مرة:

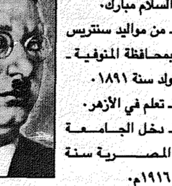
يا جنة الخلد كــيف يشـــقى
في ظلك النازح الغــريبُ
الناس من لهــو نشــاوى
ودمــعــه دافق صــبــيب
يقــتــات أشــجــانه وحــيــدا
فــلا صــديق ولا قــريب
أقــصى أمــانيــه حين يمسى
أن يهــجع الخــفق والوجــيب

حبيبتي يا حسناء قريتي:

في هذا القلق الضارى الذى ينشب أظفاره في سواء وجدانى فيدميه، كنت لا أجد منقذاً ينتشلنى من ذلك العذاب الواصب، سوى ذكريات عشقنا في وصالنا وتباعدنا، في تهيامنا وتعاتبنا.

هل تذكرين يا حبيبتي يا حسناء سنتريس يوم أن اتهمونى بحبك وكأن الحب جريمة يعاقب عليها صاحبها.. الحق أننى عجبت لهم:

عـجـبت لهم أنى رمـونى بحبـهـا
ولا مـهـجـتى رهن لديهـا ولا قلبى



- هو محمد زكي عبد السلام مبارك.
- من مواليد سنتريس بمحافظة المنوفية - ولد سنة ١٨٩١.
- تعلم في الأزهر.
- دخل الجامعة المصرية سنة ١٩١٦م.
- نال اجازة الدكتوراه في الأدب سنة ١٩٢٤م.
- هاجر الى فرنسا سنة ١٩٢٧م.
- نال إجازة الدكتوراه في الأدب من السربون.. ودبلوم الدراسات العليا في الآداب من مدرسة اللغات الشرقية في باريس سنة ١٩٣١م.
- عمل بالتدريس بمصر وبغداد وبعد عودته من العراق عين مفتشا بوزارة المعارف (التربية).
- توفي سنة ١٩٥٢م.

** من آثاره الفكرية:
- الأخلاق عند الغزالي.
- التصوف الإسلامي.
- مدامع العشاق.
- النثر الفنى في القرن الرابع الهجرى.
- ليلى المريضة في العراق.
- ديوان زكي مبارك.

فــيــارب صــدق في هواها عــواذلى
فــــإن عــنائـى أن ألام بـلا ذنب
وإلا فــــلا تقطع عليَّ مــلامــهــم
فــــإن مــلام المرء فــاتحــة الحب

وأحيانا كنت أنحى باللائمة على قلبى الذى كلف بك واستهام فيك حتى أضنانى معه، إذ كانت أشواقه عارمة لا قدرة لى على رده، ولا قدرة لى على إقناعه بالتريث، فلا يندفع جموحاً بغير تؤدة أو تعقل.. كنت

أخاطبه، بل أهمس إليه، بل أناجيه خيفة الرقباء والوشاة.. خاطبته فقلت له:

رويدك أيهـــا القلب
فـــقـــد أودى بك الحب
وقـــد أصـــبـــحت لا تسلو
فلو أمـــســيت لا تصــبــو
وبين القـــلـــب والـعـــين
ســـجـــالا كـــانت الحـــرب
فــتــنكــيــه ويبكيــهـــا
لـعـــمـــرك إنه خطب
لقـــد أســـرفت في حـــبى
كـــذلك يفـــعل الصب

ولا تعجبى من اعترافى لك بحبى فأنت أدرى بوجيب قلبى، ودلالات كلماتى، ورموز إشاراتى.. فبعد أن خاطبت قلبى ونصحته فإننى أوضحت له المخاطر التى يمكن أن تلحق به فتصيبه بجراح ماله قدرة على احتمالها، فذكرت له عنادك ومطالك وتغافلك عني؛ فقلت له:

وأصـــغـــيت الهـــوى حـــبـــا
لـــه من دلـــه حــــــجـــب
فـــمنه الصـــد والبـــعـــد
ومنى العـــفـــو والقـــرب
فلو عـــاتبـــتـــه يومـــا
لـزاد عـنـاده العـــــتـب
وقـــد راسلتـــه جـــهـــدى
فـــضـــاعت عنده الكتب

لكنى لم أجد مناصاً من أن أضرع إليك وأستميحك العذر في أن ترفقى بقلبى، وأن ترفقى بروحى فلا تعذبيها فمالها طاقة على تأبى الدلال:

فكن يا ســـيـــدى بـــراً
بـصـــب مـــــالـــه ذنب
لئن ضـــيـــعـــتنى قلبى
فـــأنت الروح والقـلـب
وإن آثـرت إبـعـــــادي
ولـم يـشـــــفـع لـى الحـب
فـــإن عـــقـــابكم عـــدل
وإن عـــذابكم عـــذب

حبيبتي يا حسناء قريتي:

هل تذكرين مساء يوم الثلاثاء ١٤ ديسمبر سنة ١٩٢٧؟ حين التقينا عند ساقية «أبو حجاج» بين مخارف الصفصاف وأشجار التوت.. هل تذكرين؟ كان لقاؤنا حديثا، رأيتك تنكرين حديثنا وكأننى قد اجترحت إثما مبينا فصرت كالعاصفة المروعة ترغين وتزبدين بكلمات قاسية نزلت عليَّ كالصاعقة المدمرة.. إيه يا حسناء سنتريس:

مـــــا الذى أنكرت منى
في مـــســـاء الثـــلاثاء؟
فـــحـين نام الدهـر عنـا
وتـولـى الرقـــــبـــــاء
أنـا لا أذكـــر شـــيـــئـــا
يقـــتـــضى هذا الجـــفـــاء

بعد هذه الحادثة السعيدة، حادثة الثلاثاء صرت لا تردِّين عليِّ رسائلى التى كنت أرسلها اليك من القاهرة، فملأنى الخوف منك والخوف عليك.. فقد استبنت أنك وجدت في الهجران راحة لك وعقاباً لى على ما جنيته منك فتجاسرت وبعثت إليك رسالة أعلنك فيها حرباً بحرب وسلوانا بسلوان، وتباعداً بتباعد..



قلت في رسالتي:

أيهـــا المســـرفــون في النَّيْل منَّا
بين صــــد يدمى الفـــؤاد وضن
لا تدلّوا بحـــسنكم قـــد سلونا
وأمنا من هجـــركم والتـــجني

لكنما الشوق غلاب ٠٠ فلم أصبر على صدودك وانقطاع ما بيننا من أسباب الوصال، فوسطت إحدى قريباتى لترأب الصدع الذى بيننا فنرجع كما كنا حبيبين عاشقين، ولكنها استغرقت في وساطتها وقتا طويلا حتى ظننت أنها فشلت في مهمتها، وهنا ساءت حالتى فدبت الأسقام والآلام في جسمى وروعتنى الأتراح من كل صـــوب٠٠ آه يا حـــسنائى ٠٠ آه يا مولاي:

مـــــولاى لو أبصــــرتني
لفـــزعت من دمــــعي الطليق
وشـــجـــاك جـــســمى ناحـــلا
وكـــــأنه الطـيف الطروق
أشـــكــــو إلـــيــك وإنمـــا
يشكو المضــيم الى الشـــفـيق
فـــارحم فـــديتك مـــهـــجـــة
أودى بهـــا الحـــزن العـــميق
حـــزن يقطع في الحـــشـــا
فكأنه غــــــدر الصــــديق
يـــا ويــح قـــلـــبــى لــم يـزل
يهـــفـــو به الروح الخـــفـــوق
وتـقـــوده الـذكــــرى الى
عـــهــد الهــوى الغض الرفــيق
أيام نمرح فـي الصـــبـــا
فـي ذلك العـــيش الأنـيق
أيام نُســـــقـى في الهـــوى
والود كـــأســـاً من رحـــيق

حبيبتي يا حسناء قريتي:

لا يخطر ببالك يا حبيبتى أننى ممن تسبيه حسان باريس أو تخدعه أفانين الهوى اللعوب التى يجدنها ويحسن بها مخادعة القلوب٠٠ أقول لك، بل أقول للنيل، بل أقول لنفسي:

مـــغـــانى النيل كـــيف أقـــصت
ريــــب أزهـــارك الخـــطـــوب
وكـــــيف ألقـــيـــتـــه بأرض
أصح أحـــلامـــهـــا كـــذوب
أديم أجـــوائـهـــا ســـواد
فـــلا شـــروق ولا غـــروب
وحب غـــاداتـهـــا مـــوات
فـــلا سكون ولا هـبـــوب
ومن تبع جـــســـمـــهـــا بشيء
فـقلبـــهـــا مـــقـــفـــر جـــديب

ولئن كان للباريسيات شيء في نفسى فإننى كنت أثوب للعقل والحكمة فقلت:

فـــيـــالك من صب على البين مـــولع
أثارت شـــجـــاه أعين وخـــدود
رشـادك لا تجـزع فكم من صـبـابة
تحـمل عنهـا القلب وهو عـمـيـد
ستـنسـو عذارى النيل آثار ماجنت
عليك عـــذارى السين حين تعـود

وبعد:

أقول في ختام رسالتي:

رعى الله في الوادى العـزيز عـقـيلة
عـزيز عليـهـا أن يقـال بعـيد

١٠٣٣ ـ أبو عواد:

حاولت اكثر من مرّه أن أجد تفسيراً لهذه اللامبالاة في طباع بعض الزوجات، فلم أجد غير ثقتهن بأن أزواجهن لا يفكرون أو لا يستطيعون الزواج عليهن، ولو عرفت الزوجه أن النار من مستصغر الشرر لوقفت على باب زوجها كالحاجب المتحفز.

١٠٣٣ ـ أم عمرو:

يجب ان تقوم العلاقة بين الزوجين على الحب والاحترام المتبادل والثقة وفوق كل هذا الإحساس بالأمان اما اذا تحولت إلى حرب بارده يهدد كل من طرفيها الآخر بما يملك من اسلحة، هنا يصبح انهاء هذه العلاقة افضل لأنها ببساطة فقدت اهم مقوماتها وهو ان يكون كل من الزوجين سكن للآخر.

١٠٣٤ ـ أبو عواد:

إن مشكلة العنوسة، وبروز علاقات غير طبيعية في المجتمع لم تبرز إلا عندما أحكمت المرأة سيطرتها على الزوج، وأقر طوعاً أو كرهاً أنه زوج لامرأة واحدة حتى تموت أو يقضي الله أمراً كان مفعولا.

١٠٣٤ ـ أم عمرو:

ان كل الإحصاءات المعروفة تؤكد ان عدد الرجال اكثر من عدد الإناث لكل مراحل العمر ولذا تصبح لمشكلة «العنوسة» المذكورة أسباب كثيرة من أهمها عزوف الرجال عن الزواج ممن تقل عندهن نسبة الجمال والمال وتزيد عندهن نسبة العقل. لذا نقول ليس هناك داع للحجج الواهية.

١٠٣٥ ـ أبو عواد:

نعم تصبح عين الرجل فارغه عندما تبدأ الزوجة في عدم الاهتمام بنفسها كما رآها واختارها أول مرّه، وعندما يدرك أن الآخر كانت اهتماماته وسيلة بوقوع الضحية في الشرك لم يعد لها حاجة، عندها يجد أن التى ملأت بصره وسمعه لم تعد قادرة على المواصلة، فيما هناك أخرى قادرة على تعويض ما بدأ يفقد.

١٠٣٥ ـ أم عمرو:

ما دامت عادة الزوجات الإهمال في مظهرهن بعد حصولهن على الزوج فماذا يفعل هذا الزوج اذا حذت الثانية حذو الأولى؟ الزوجة تتفانى في تحسين نفسها لزوجها اذا التفت الزوج الى ذلك وعلق عليه وامتدحه واذا لم تكن قد وضعت بين رحى البيت والغيظ بدون رحمه.

١٠٣٦ ـ أبو عواد:

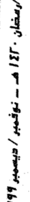
لا أقول أن كل تفكير عند الزوج للزواج من أخرى سببه الزوجه.. ولكني أقول أن هذه هي القاعدة ولكل قاعدة استثناء.

١٠٣٦ ـ أم عمرو:

الكل يعرف أن أهم أسباب الزواج الثاني وصول الزوج الى مرحلة المراهقة المتأخرة واعتقاده ان امرأة أصغر واصبى ستعيد الشيخ الى صباه وهيهات ان يصلح العطار ما أفسد الدهر.

١٠٣٧ ـ أبو عواد:

عقد الزواج يعني أن فلانه هي زوجة فلان بمعنى أنها على ذمة رجل.. ولكنه لا يعني أبداً أن (الطرطور) فلان ملزم أن يكون زوجاً لفلانة فقط طالما أن الشرع أباح له حتى الزوجه الرابعة.. لكننا ينطبق علينا قول الشاعر:





نرقع دنيـــانا بتــمـــزيق ديننا

فــلا ديننا يبــقى ولا مــا نرقع

١٠٣٧ - أم عمرو:

عقد الزواج يعنى ان فلانة هي زوج فلان، وفلاناً هو زوج فلانة «وياريت» نكبر عقولنا ونفوسنا وننميها بدرجة تسمح لنا ان نجد ما يشغل اوقاتنا ويسلينا غير الزواج، هنا سنفهم ديننا ودنيانا معاً بصورة صحيحة بدلا من الإنتقاء والإختيار حسب اهوائنا وامزجتنا الشخصية الفردية.

١٠٣٨ - أبو عواد:

لا تريدي أن يتزوج زوجك عليك؟! حسناً، كوني له مدى الحياة على الأقل في تعاملك كما كنت في أيام زواجكما الأولى.. هل تذكرين تلك الفراشة الملونة والقطة الاليفة والحمل الوديع؟.. ما رأيك عندما يصبح نحلة تلسع، وهراً يخربش، وحملا ينطح؟!.. هل يتشابهان؟.

١٠٣٨ - أم عمرو:

الفراشة الملونة والقطة الأليفة والحمل الوديع؟! ما هذا؟! ما الذى يحدث لو سمينا الأشياء بأسمائها الزوجة انسان بكل ما تحمله هذه الكلمة من ايجابيات وسلبيات، من حقوق وواجبات. اليس ذلك افضل واوقع من حديقة الحيوانات هذه؟.

١٠٣٩ - أبو عواد:

إلى السيدة «س» «يصعب على الطيار أن يقرر الهبوط وينفذه في لحظة الاقلاع وعنفوانها».

١٠٣٩ - أم عمرو:

اذا قرر الطيار الإقلاع فعليه أن يقلع ويذهب بعيداً حيث لا يرى مرة ثانية.

١٠٤٠ - أبو عواد:

إلى زوجتي العزيزة: «اطمئني لا أفكر في الزواج فقد أحسنت توريطي في بناء بيت هو عظيم كصاحبه حتى ساعة اعداد هذه الورقة والديون أشعلت رأسي شيباً.. لكني ومع ذلك قد أفعلها ولو سراً.. ككل الجبناء من الزملاء أو أحتسب صبري عليك عند واحد أحد.

١٠٤٠ - أم عمرو:

اذا تورط الزوج في الديون فلن يكون ذلك بسبب اسراف زوجته ولكن بسبب عدم قدرته على ادارة بيته اقتصادياً وتشجيع زوجته على المشاركة في ذلك ولذا سيصنع نفس الشيء مرة أخرى سواء كان شجاعاً أو جبانا وتزوج جهراً أو سراً وبالمناسبة كثير من الزوجات تصرف نقود زوجها على اساس القول المأثور «قص ريش طيرك ليطير لغيرك».

١٠٤١ - أبو عواد:

لو كنت امرأة وتزوج عليّ بعلي.. لتصرفت بحكمة وذكاء يجعلانه يعود إليّ ليقدم لي كل باقات الأسف حين أثبت له أنني زوجة لا يمكن تعويضها بأخرى ولو كانت أجمل منها.

١٠٤١ - أم عمرو:

الزواج ليس مسابقة ولا مغامرة، الزواج شراكه ومسار واحد لهدف واحد.. الزواج قبل وبعد كل شيء وعى ونضج بالمسئولية المشتركة مسئولية الفرد تجاه نفسه وتجاه الأسرة التى ينتمى إليها.

١٠٤٢ - أبو عواد:

وحتى لا أتهم بالتحيز (وقد حصل).. على الزوج أن يقابل ما تبديه الزوجة من اهتمام به من خلال نفسها باهتمام مماثل بها من خلال نفسه، فأيضا بعض الزوجات عيونهن فارغة ولو من طرف واحد على الأقل.

١٠٤٢ - أم عمرو:

يجب ان يهتم الإنسان بنفسه لنفسه فإذا رضي هو عنها سيرضى عنها الآخرون. أما فروغية العين هذه فكما هو معروف مرض يتفشى بين جنس الرجال.

الرئيس موسى بن ميمون (أبو عمران) وتعاليم التلمود

(٥٢٩ ـ ٦٠١هـ/ ١١٣٥ ـ ١٢٠٤م)

***** في الحلقة السابقة من هذه الدراسة القيمة، تحدث الدكتور البار عن ترجمة موسى بن ميمون ونشأته، وقصة اعتناقه الاسلام، وذهابه الى المغرب، وعمله بالطب، واشتغاله بالتلمود، وآرائه وفلسفته للحياة والاحياء. وفي هذه الحلقة يكمل ما انقطع من حديث!.**

إنقاذ الحياة:

يتحدث إسرائيل شاحاك[١] في كتابه القيّم «الديانة اليهودية وتاريخ اسرائيل» عن ما يقوله الحبر الأعظم موسى بن ميمون وتعاليم التلمود حول إنقاذ حياة اليهودي وغير اليهودي فيقول:

«فبحسب الهالاكاه (قانون التلمود) فإن واجب إنقاذ حياة اليهودي لا يعلو عليه واجب آخر.. أما بالنسبة للأغيار فإن المبدأ الأساسي التلمودي يقول بوجوب الإقلاع عن إنقاذ حياتهم.. ويعبر التلمود عن نفسه عن ذلك بالحكمة القائلة بوجوب ألا يرفع الأغيار من البئر إذا وقعوا فيه، وألا يدفعوا إليه» ويشرح ابن ميمون ذلك بقوله: «أما بالنسبة للأغيار الذين لسنا في حالة حرب معهم فينبغي ألا نتسبب في موتهم، ولكن إنقاذهم ممنوع.. فإذا شوهد أحدهم على سبيل المثال يسقط في البحر ينبغي الامتناع عن إنقاذه لأنه مكتوب «وأنت لن تقف ضد دماء قرينك ولكن الأغيار ليسوا أقرانك».

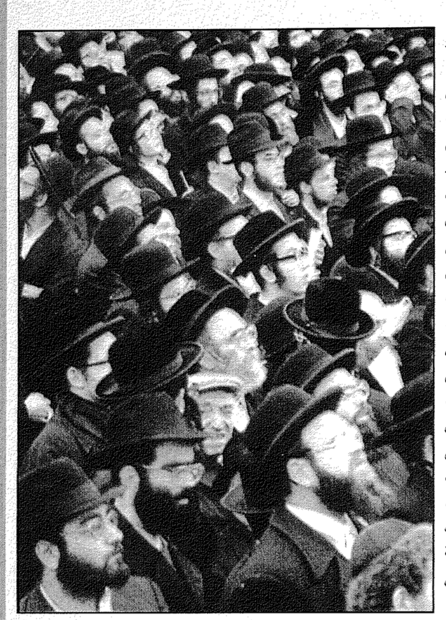
«وينبغي للطبيب اليهودي خصوصا ألا يعالج مريضا من الأغيار» وابن ميمون هو نفسه طبيب لامع واضح تماما حول هذه النقطة فهو يكرر في فقرة أخرى: «الفارق بين قرينك وبين الإغيار» ليستنتج قائلا: «إلا أن رفض اليهودي وخاصة الطبيب اليهودي إنقاذ حياة الأغيار قد يثير، إذا شاع الرفض، عداء الأغيار من ذوي النفوذ مما قد يعرض اليهودي للخطر، وعندما يكون هنالك خطر من هذا النوع فإن واجب تفاديه يحل محل الحظر المفروض على مساعدة الأغيار»، وهكذا يتابع موسى بن ميمون فيقول «ولكنك إذا كنت تخشاه أو تخشى عداوته فاعمل على شفائه لقاء أجر وإن كان ممنوعا عليك فعل ذلك بدون أجر».

وهذا ما كان يفعله موسى بن ميمون نفسه، رغم شهرته الواسعة في مصر، وحصوله على الأموال والضياع من صلاح الدين الأيوبي وابنه الملك الفاضل ورجال دولته، إلا أنه لم يكن يعالج مجانا أحدا من المسلمين، ولو كان فقيراً، بل كان دائما يصر على أخذ الأجر، وكما يقول إسرائيل شاحاك: «فإن إصراره على أخذ الأجر كان من أجل تأكيد أن عمله هذا ليس من أعمال الخير والبر والإحسان بل واجب لا يمكن تفاديه».

ويبدو أن الأطباء من أهل الذمة وخاصة من اليهود كانوا يسقون مرضاهم السم ليقتلوهم إذا كان هؤلاء المرضى من العامة الذين لا سلطة لهم ولا نفوذ، وبحيث يعسر كشف الجريمة. وبما أن



بقلم: د. محمد على البار
مستشار الطب الاسلامي ـ جده ـ



قتل الأغيار وعدم إنقاذهم من الأمور التي يأمر بها التلمود ويتقرب بها اليهودي إلى الله، بشرط ألا يحدث أي ضرر من هذه الجريمة على اليهود، فإننا نرى عبد الملك بن حبيب الألبيري فقيه الأندلس المتوفي سنة ٢٣٨هـ يقول في رسالته الموجزة «الطب النبوي»: «وإن كان الطبيب من أهل الذمة فسقى المسلم دواء، فمات، فعلى السلطان أن يكشف عما سقاه، وإن كان طبيبا معروفا بالطب والبصر به، للمظنة التي تواقعه لعداوة اليهود والنصارى للمسلمين»[٢]، ويبدو أن هذه الحوادث قد تكررت وزادت في عهد ملوك الطوائف عندما قوي نفوذ اليهود وتولوا الوزارات مثلما فعل ابن النغريلة٠٠ وقد أدى ذلك فيما بعد إلى أن شدد المرابطون، وبعدهم الموحدون، المراقبة على هؤلاء الأطباء من اليهود والنصارى، وبما أن الحوادث قد كثرت من اليهود خاصة، فقد فرض الخليفة الموحدي على اليهود في قرطبة أن يسلموا أو يغادروها إلى حيث شاءوا٠

وقد استطاع اليهود رغم ذلك إخفاء نواياهم بذكاء شديد، واستطاع موسى بن ميمون نفسه الذى كان يأمر أتباعه بعدم إنقاذ الإغيار، ومنهم المسلمين، من خداع القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي، وزير صلاح الدين، ورئيس ديوان الكتابة والإنشاء، وبواسطته استطاع أن يخدع صلاح الدين الأيوبي نفسه، ويقال أن صلاح الدين كان أول حاكم يسمح لليهود بأن يسكنوا القدس من عهد تيطس الذي دمر الهيكل تدميرا كاملا سنة ٧٠ بعد الميلاد تحقيقا لنبوءة عيسى عليه السلام «لا يبقى حجر على حجر في هذا الهيكل» وطرد اليهود ومُنعوا من دخول أورشليم (القدس، إيلياء) وعندما وقع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عقد تسليم القدس من بطريقها كان أول شرط ألا يسكن القدس يهودي٠٠ وقد وفي المسلمون بهذا الشرط ولم يسمح لليهود بالسكن فيها حتى جاء الصليبيون واحتلوا القدس ونقضوا كل العهود ووصلت الدماء للركب ودمروا كل شيء، فلما أنقذ صلاح الدين الأيوبي القدس وحررها من ظلمهم وظلماتهم، اعتبر أن العهد القديم قد ألغي بسبب أفعالهم٠ وبتأثير موسى بن ميمون سمح صلاح الدين لأربع أسر يهودية بأن تسكن القدس وذلك بعد مرور

ألف ومائتي عام تقريبا على طرد اليهود وعدم السماح لهم بالسكن فيها.

واستطاع موسى بن ميمون بذكائه وخداعه أن يوهم المسلمين وغيرهم أنه يسعى لخير الإنسانية. وقد وضع دعاء نسب إلى ابن ميمون بواسطة طبيب ألماني يهودي يدعى ماركس هرتس في القرن الثامن عشر وتذكره كتب أخلاقيات مهنة الطب باسم دعاء ابن ميمون لإظهار إنسانية هذا الرجل وحبه للخير وللبشرية عامة. وهو كذب وافتراء تنقضه كتب ابن ميمون نفسها كما تنقضه الكتابات الحديثة، ومنها كتاب اسرائيل شاحاك «الديانة اليهودية وتاريخ اليهود» الذي نقلنا عنه فيما سبق وفيما سيأتي.

دعاء موسى بن ميمون المزعوم:

لقد أوردت نقابة الأطباء المصرية في كتابها «نظام وواجبات الطبيب وآداب المهنة»[٣] هذا الدعاء مترجما عن اللغة الإنجليزية التي وضعها الأديب الفريد نوالد عن الأصل الألماني: «يا إلهي القادر على كل شيء لقد خلقت جسد الإنسان بحكمة متناهية وباركت أرضك وأنهارك وجبالك فمنحتها مواد شافية، وهي تعين مخلوقاتك على تخفيف معاناتهم وتشفي أمراضهم، ومنحت الحكمة للإنسان ليخفف معاناة أخيه الإنسان وللتعرف على متاعبه، واستخلاص المواد الشافية، ولاكتشاف قدراتها، ولإعدادها واستخدامها لتناسب كل داء واخترتني بحكمتك الإلهية للعناية بحياة وصحة مخلوقاتك، وأنا الآن على وشك أن أكرس نفسي لواجبات مهنتي فيا إلهي القدير هبني العون في هذه الأعمال الجليلة لتفيد الجنس البشري لأنه بدون مساعدتك فلن يكلل بالنجاح أبسط الأشياء.

«رب ألهمني لمهنتي ولمخلوقاتك ولا تدع التعطش للربح والطموح للشهرة والإعجاب أن تتدخل في مهنتي، ويمكنها أن تقصيني عن المهمة الكبرى المتمثلة في صنع الخير لمخلوقاتك.. اللهم احفظ قوى بدني وروحي بحيث تكون مستعدة دائما ببشاشة لمساعدة ومعاونة الغني والفقير، والصالح والشرير، والصديق والعدو، على حد سواء. رب دعني لا أرى فقط فيمن يعاني الجانب الإنساني وحده، وأنر عقلي، حتى يمكنه التعرف على ما هو موجود فعلا، الأمر الذي يساعد على تفهم ما هو غائب وخفي».

ويواصل دعاءه طالبا من الله أن يهبه الحكمة والقناعة في كل شيء إلا في العلم العظيم الخاص بمهنة الطب، وأن لا يدع الغرور يتملكه، وينهي دعائه بقوله: «يا إلهي قد اخترتني برحمتك للعناية بأمر حياة وموت مخلوقاتك، وإني لأكرس نفسي لمهنتي فأعني على أداء هذه المهنة الجليلة لكي أنفع الجنس البشري فبدون عونك لن ينجح حتى أبسط الأشياء».

وهذا الدعاء لا علاقة له بموسى بن ميمون وإنما وضع بعد وفاته بأكثر من ستة قرون، وبلغة لا يفهمها ابن ميمون، وهي اللغة الألمانية. والسبب في ذلك أن اليهود يريدون تلميع صورة موسى بن ميمون وإظهاره بصورة الطبيب الإنسان المحب للخير والإنسانية رغم أن كتاباته واضحة جدا في التزامه بتعاليم التلمود، وعدم إنقاذ الأغيار إلا في حالة تعرض اليهود للمخاطر.. ولابد من كسب ثقة الأغيار وخداعهم وخدمتهم، خاصة ذوي السلطان والمكانة، ومع هذا فينبغي خداعهم في جميع الأحوال، وأخذ الأموال الهائلة منهم.. وأما العامة فإن أمكن قتلهم بعدم إنقاذهم، أو حتى زيادة الجرعة الدوائية، بحيث لا يمكن اكتشاف سبب الموت، فالواجب الذي يحتمه التلمود هو التخلص منهم بأي وسيلة لا تثير حنق الأغيار على اليهود.

تجربة العقاقير على غير اليهود:

ويذكر إسرائيل شاحاك في كتابه الديانة اليهودية وتاريخ إسرائيل أن موسى بن ميمون قال: «ومن المسموح تجربة عقار من العقاقير على كافر إذا

كـان ذلك يفي بغـرض مـا» وهذا مـا يكرره أيضـا، حسب قول شاحاك، الحاخام الشهير موسى ايسرلس، وبالتـالي يجـوز أن يجرّب على الأغيار أي عقار حتى قبل أن يجرب على الحيوانات، وليس من المهم مـا قد يحدث من مخاطر ومضاعفات على صحة متعاطي العقار لأن المتعاطي من الأغيار، ولا يوجد ما يمنع من الإضرار بهم أو حتى قتلهم.. كل ذلك بشرط واحد هو أن لا يكشف هذا الأمر، وأن لا يؤدي مثل هذا العمل الإجرامي للإضرار بالطبيب اليهودي، وبصورة أهم أن لا يؤدي ذلك إلى النقمة ضد اليهود والإضرار بهم، فإذا تم تجنب ذلك فمن المحبّذ إجراء التجارب على الأغيار حتى إذا أدى ذلك إلى إصابتهم بأضرار بالغة، أو ما هو أعظم من ذلك إلى فقدان حياتهم، إذ أن حياة غير اليهودي لا تساوي، كما قال التلمود حياة كلب أو خنزير، فالكفرة الأغيار كلهم أنجاس وخنازير، ولا يجوز التفريق بين هؤلاء الأغيار ولا بين مللهم فكلهم من القاذورات ولكن من المهم جدا التفريق بين من يضر ومن ينفع من هؤلاء الأغيار، وبالتالي اجتناب ضرره وأخذ منفعته أما العامة الضعفاء الذين لا صولة لهم ولا جولة فينبغي أن يعاملوا بكل قسوة بشرط واحد هو عدم إثارة النقمة ضد اليهود.

انتهاك حرمة السبت:

يقول اسرائيل شاحاك[٤] أن انتهاك حرمة السبت يصبح واجبا عندما تتطلب ذلك الحاجة الى إنقاذ يهودي ولا يثير التلمود مشكلة إنقاذ حياة الأغيار أيام السبت كمسألة دينية بما أنها ممنوعة، على كل حال، حتى في أيام الأسبوع.

«ويقرر التلمود إذا كانت هناك قابلة يهودية ودعيت لتوليد امرأة من الأغيار في أيام الأسبوع (غير السبت) فعليها أن تقوم بذلك إذا كان ترك المرأة سيؤدي الى ضرر لليهود وعليها أن تأخذ أكبر أجر ممكن، أما إذا دعيت يوم السبت فعلى القابلة أن تتعلل بأن شريعة دينها تحرم عليها انتهاك حرمة السبت» وقد قرر ذلك بكل وضوح موسى بن ميمون حيث يقول: «ينبغي الإمتناع عن مساعدة امرأة من الأغيار في حالة الولادة يوم السبت حتى لقاء أجر، كما ينبغي عدم الخوف من العداء حتى عندما لا ينطوي هذا النوع من المساعدة على انتهاك لحرمة السبت».

وذلك لأن الأصل عدم مساعدة الأغيار في جميع أيام الأسبوع ولكن بما أن ذلك سيثير عداء الأغيار ضد اليهود ويسبب لهم مشاكل عدة، فإن المراجع الحاخامية الكبرى ومن ضمنها ابن ميمون تبيح مداواة الأغيار أثناء الأسبوع لقاء أجر، ولكنها مع ذلك تمنع المداواة يوم السبت بحجة عدم انتهاك حرمة السبت».

وأما الشخصيات الهامة مثل النبلاء والحكام فيجب مداواتهم حتى في أيام السبت كما يقرر الحاخام يوئيل سركس ولكن عندما يمكن التدليس على الأغيار بعذر مراوغ فإن الطبيب اليهودي يرتكب معصية لا تحتمل إذا عالج أحد الأغيار يوم السبت.

ويقرر ذلك أيضا موسى بن ميمون وحاخامات ميتز في فرنسا الذين سمحوا للطبيب اليهودي بأن يداوي الحاكم العظيم يوم السبت، وأن يعبر الجسر أيضاً للوصول إلى قصره أما الأغيار الأقل مكانة فلا يجوز عبور الجسر من أجلهم ولا مداواتهم يوم السبت.

ويقرر الحاخام حاتام سوفير المتوفي سنة ١٨٣٢ في بحثه Responsa أن المسلمين والنصارى ليسوا فقط عباد أوثان وإنما ينبغي الامتناع البتة عن إنقاذ أي واحد منهم ويشبههم بالعماليق الذين كانوا في فلسطين أيام موسى ويوشع بن نون، والتلمود واضح في قوله: «من المحظور إكثار بذرة العماليق» وعليه فإنه محرم على اليهودي مساعدة هؤلاء الأغيار طوال الأسبوع وبما أن الفلسطينيين هم من نسل العماليق والكنعانيين فإنه ينبغي العمل بكل وسيلة على

إنقاص نسلهم وعدم إنقاذ أي واحد منهم يقع في خطر. ومن الواجب المحتم على كل يهودي أن يعمل على إبادتهم وطردهم من إسرائيل، وخلاصة القول كما يقول شاحاك: «إن خداع الأغيار عوضا عن مساعدتهم أمر لا بأس به إذا كان من الممكن تفادي العداء».

وقد نُشر في القرن العشرين كتاب معتمد بالعبرية، ومختصر له بالإنجليزية بعنوان «القانون الطبي اليهودي» وقد نشرته مؤسسة موساد هارف كوك ـ كما يقول إسرائيل شاحاك. وفيه النص التالي:

«يمنع بموجب الحكم الوارد في التلمود ومجموعة الشرائع اليهودية انتهاك حرمة السبت من أجل إنقاذ حياة مريض من الأغيار في حالة خطر، ويمنع أيضا توليد امرأة من الأغيار في يوم من أيام السبت»، ولا يستثنى من ذلك إلا مداواة ذوي النفوذ أو عند توقع نقمة من الأغيار ضد اليهود وفي هذه الحالة فقط تجوز مداواة الأغيار يوم السبت بشرط ألا يكون في نية الطبيب إبراء المريض ومساعدته بل تجنب الخطر المتوقع على اليهود.

كتاب شرائع موسى بن ميمون:

يقول اسرائيل شاحاك[٥]: في عام ١٩٦٢ نشر في أورشليم (القدس) باللغتين العبرية والانجليزية جزء من كتاب الشرائع لموسى بن ميمون والمسمى كتاب المعرفة والذي يتضمن قواعد أساسية جداً للإيمان اليهودي، ويظهر في النص العبري الوصية الكاملة القاضية بإبادة الكفار وهم جميع الأغيار والقائلة: (ان واجب المرء إبادتهم بيديه). أما الترجمة الإنجليزية فتقول: من واجب المرء أن يأخذ اجراءات فعلية لتدميرهم وفي النص العبري أمثلة للشخصيات الهامة من الأغيار التي يجب إبادتها مثل يسوع الناصري وتلاميذه وتسادوك وباتيوس وتلاميذهما ولا تظهر أي كلمة من هذه الكلمات في النص الإنجليزي.

وكان موسى بن ميمون بالإضافة إلى موقفه تجاه الأغيار عموما والمسيحيين خصوصا عنصريا معاديا للسود، ففي كتابه «دلالة الحائرين» كما يقول إسرائيل شاحاك: «يقول موسى بن ميمون في الكتاب الثالث الفصل ٥١: «بعض الأتراك والبدو في الشمال والسود والبدو في الجنوب وأولئك الذين يشبهونهم في أقاليمنا فطبيعة هؤلاء البشر كطبيعة الحيوانات البكماء. وهم بحسب رأيي ليسوا في مستوى البشر ومستواهم بين أشياء الوجود هو دون مستوى الإنسان وأعلى من مستوى القرد لأن لهم أكثر مما للقرد من صورة الإنسان والشبه له»».

ويقول اسرائيل شاحاك: «لا ريب أن عددا لا بأس به من الحاخامات المؤيدين لمارتن لوثركنج (أحد السود الأمريكان المنادين بالمساواة والذي اغتيل في الستينيات) كانوا إما معادين للسود، وقد دعموه لأسباب تكتيكية تتعلق بمصلحة اليهود أو منافقين بارعين إلى حد انفصام الشخصية، قادرين على الانتقال السريع جداً من المتعة الدفينة بالعنصرية المسعورة إلى الارتباط المعلن بنضال معاد للعنصرية والمراوحة بين هذه المتعة وذاك الارتباط.

ومن يستطيع القيام بهذه الأدوار المتناقضة سوى أحبار اليهود إتباعا لتعاليم التلمود وموسى بن ميمون، الذي خدع القاضي الفاضل والسلطان العظيم صلاح الدين الأيوبي، وابنه الملك الأفضل، وبقية الأمراء وأفراد الحاشية في البلاط الأيوبي.. حتى مدحه الشعراء ومنهم القاضي السعيد بن سناء الملك الذي قال فيه[٦]:

أرى طب جالينوس للجسم وحده
وطب ابن عمران للعقل والجسم
فلو أنه طبَّ الزمان بعلمه
لأبراه من داء الجهالة بالعلم
ولو كان بدر التم من يستطبُّه
لتم له ما يدّعيه من التّم

وداواه يـوم الـتـم مــن كــلــف بــه
وأبراه يوم الســـرار من السُــــقم

تأثر موسى بن ميمون بالثقافة الإسلامية:

إن موسى بن ميمون هو نتاج الثقافة السائدة في عصره وقد نهل من تلك الثقافة في الأندلس في مدينته قرطبة التي حفلت بالعلم والعلماء، وكان معاصره ابن رشد أحد أبرز أعلامها.

وفي فاس في المغرب حيث توسع في الثقافة ودرس الفلسفة الأرسطية ـ الرشدية، كما تعلم الطب بالإضافة الى دراسته الفقه المالكي وعقائد المعتزلة والأشاعرة وأشعار الصوفية.

ونجد التأثيرات الفقهية وكيفية تقسيم أبواب الفقه واضحاً جلياً في كيفية تقسيم كتابه الموسوعي (مشنا توراة) (مراجعة التوراة) الذي كتبه بالعبرية، واستغرق فيه عشر سنوات. وقد بدأه في سن الثالثة والثلاثين وانتهى منه في سن الثالثة والأربعين. وقد جمع هذا الكتاب دراسة للتوراة والتلمود، واستنباط الأحكام منهما بصورة مقاربة لكتب الفقه الإسلامي، وكتابه هذا مع كتابيه الآخرين الهامين (السراج)، وهو تعليقات على شروح المشنا، وكتابه الديني الفلسفي (دلالة الحائرين)، توضح الى أي مدى استفاد موسى بن ميمون من دراسته للقرآن والفقه الإسلامي والمذاهب الإسلامية، ففي كتبه الثلاثة الهامة حاول أن ينفي التجسيد الفظيع الذي تميّزت به التوراة والتلمود لله سبحانه وتعالى، فالتوراة تصور الله في صورة آدمي بل تنص على ذلك نصوصا واضحة، جاء في سفر التكوين الإصحاح الأول: «وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا.. فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه» وكان الرب يتمشى في الجنة، ففي سفر التكوين أيضا أن آدم اختبأ وامرأته من وجه الرب الإله وسط شجر الجنة، فنادى الرب الإله آدم وقال له: يا آدم أين أنت؟».

والرب عندهم يظهر لإبراهيم ويعقوب ويصارع يعقوب طوال الليل فلا يستطيع أحد منهما أن ينتصر على الآخر. والرب عندهم يكلم رفقة زوجة إسحاق، عندما كانت حاملا وذهبت تسأله عن حملها فأخبرها أنها حامل بتوأم.. والرب ينزل من السماء ليقتل ابن موسى في حواري مصر، ولكن صفورة أم الغلام، وزوجة موسى، تخطف الغلام وتقطع غرلته، وتمسح ساق الرب (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا) بدم الغرلة، فينفك الربُّ عنها.. والربُّ يحب اللحم المشوي جداً حتى أنه مستعد حسب زعمهم الكاذب أن يعطي نصف مملكته لمن يقدم له قرابين اللحم المشوي اللذيذ بشرط واحد هو أن يكون مقدم اللحم أحد الأحبار اليهود، وبالذات من سبط هارون لأنه قرر ألا يكهن لديه إلا سبط هارون. وهو فرع لسبط ليفي (اللاوي).

ولهذا قرر ابن ميمون أن كل ما ورد في التوراة أو التلمود من صور بشعة من التجسيم لله سبحانه وتعالى ينبغي أن يؤول. ويقول روجيه جارودي في كتابه «الإسلام في الغرب: قرطبة عاصمة الروح والفكر[٧] في الفصل الذي عقده عن موسى بن ميمون: «ويأخذ الميموني على عاتقه تفسير مجازات النبوة وهو يفعل ذلك استنادا الى دراسة دلالية (علم الدلالة) حيث يقول الميموني في كتابه «دلالة الحائرين» «والتوراة تتكلم بلسان البشر وعلى ذلك فنحن نطبق بالضرورة على الله مجازاً ألفاظاً مستعارة من الخبرة الجسدية لدى البشر.. فبواسطة الفكرة الجسمانية نحن نجعل الأذهان تفهم أن الله موجود، وبواسطة فكرة الحركة نجعلها تفهم أنه حي» فالبشر مغرمون عند الحديث عن الله إلى استعارة صورة العالم المرئي لكي يستحضروا اللامرئي.

والميموني في نقده للتجسيم هو أكثر جذرية من ابن رشد ويجب أن ننفي عن الله أي شبه بينه وبين أي من الكائنات»، ولنا هنا تعليق سريع فابن رشد لم يكن يواجه تجسيما شديدا كما هو لدى اليهود في توراتهم

وتلمودهم بل إن أشد الطوائف المجسمة بين المسلمين يقرون بأن الله ليس كمثله شيء، وأنه لا يشبه أياً من مخلوقاته، بينما التوراة والتلمود تصف الله بأنه ينام ويصحو ويدرس التوراة على يد الأحبار، ويلعب مع الحوت ملك الأسماك، وهو كثير النسيان سريع الغضب وشديد الحقد إلا على ابنه البكر اسرائيل.. وهو يحارب معهم حتى أنه وقع في الأسر ذات مرة وأسره الكنعانيون في فلسطين!! صورة مضحكة مزرية.. ولهذا كان على موسى بن ميمون الذي تثقف بالثقافة الإسلامية أن يكون أكثر جذرية في محاربة هذه الخزعبلات ورفض التجسيم البشع لله تعالى.

ونرى تأثيرات الفرق الإسلامية من أمثال الأشاعرة والمعتزلة في فكر موسى بن ميمون عندما يقول: «ليس بوسعنا أن نقول ما هو الله في ذاته» وهو أمر متفق عليه عند جميع فرق المسلمين والنبي [صلى الله عليه وسلم] يقول «لا تتفكروا في ذات الله وتفكروا في مخلوقات الله وكل ما خطر ببالك فالله غير ذلك وخلاصة القول «ليس كمثله شيء».

ويقول ابن ميمون: «ما من وسيلة لإدراك الله ومعرفته إلا عن طريق أعماله ومخلوقاته، وصفاته عين أفعاله» ولا يمكن الخلط بين فعل الله والفعل الإنساني لأن الفاعل بالنسبة له ليس سابقا على فعله، خلافا للفنان من البشر الذي هو سابق وخارجي بالنسبة لأعماله، من حيث أن فعل الله هو ذات جوهره».

وعلم الله ليس من شاكلة علمنا.. فعلمنا لا يشبه علم الله في شيء إلا في الاسم لأن ما نعرفه نحن إنما نعرفه من خلال تأمل الكائنات لذا فإن علمنا لا يشمل المستقبل ولا المطلق.. وليس الأمر كذلك بالنسبة لله فهذه الأشياء رهن علمه الذي سبق وجودها، وهو الذي أوجدها، والله هو الخلاق، ذو الخلق الذي لا ينقطع، هو فعل.. وجوده وجود كل الأشياء، لا يدّعي كل منها وجودا إلا من قبيل المجانسة.. إنه لا يحد، ولا يمكن لشيء مما هو موجود في الكون أن يقارن به إلا مجازا.. والصفات السلبية هي التي يجب أن نستخدمها لنهدي الذهن الى ما يجب أن نعتقده بخصوص الله، أي ليس كمثله شيء.

«إن الله يرسل إلى كل شعب أنبياء يتكلمون بلغة أبناء هذا الشعب ويخاطبونهم على قدر عقولهم». ويقول: «اعلم أن هذا الكون يشكل في مجمله شيئا واحدا.. ووحدة العالم هذه تنبع من وحدانية الله، وكما أن من المستحيل عزل أو فصل القلب أو الكبد عن الجسم البشري.. فإنه من المستحيل على بعض أجزاء الكون أن توجد دون البعض الآخر» ولكنه يؤكد أن الله ليس هو الكون، بل هو منفصل عنه، ويقول: «ما من شبيه لله بين الكائنات.. وحيث أن الله ليس بجسم فليس ثمة علاقة بينه وبين الزمن، ومن باب أولى بينه وبين المكان، والمهم ليس أن نقول ماهية الله ولكن أن نقول ما يفعله. إن هذا الكون يدلنا بالضرورة على خالق يتصرف بقصد ومشيئة، ويقول: «فكما أننا لا نستطيع أن نعرف العلة النهائية لوجود الله فإننا لا نستطيع بعقولنا القاصرة أن نعرف العلل النهائية لمشيئته «فالتنزيل هنا يحل محل العقل».

مسألة النبوة:

والنبوة عند ابن ميمون هي المرتبة الأكثر رفعة للإنسان والتعبير عن الكمال الذي يمكن لنوعه أن يبلغه.. فالمسألة الجوهرية ليست إذاً في معرفة فيما إذا كان بوسع الإنسان أن يبلغ ذلك بقدراته وحدها أو أنه بحاجة الى اللطف الإلهي للوصول إليها وهو يعتقد اعتقادا جازما أن النبوة لا يدركها الإنسان بجهده بل هي منحة من الرب الكريم للشخص المختار ذي الصفات الخاصة التي خلقه الله عليها «لأن التنزيل سيكون بلا فائدة إذا كان بوسع العقل منفردا أن يقودنا إلى الله». وهنا نرى صدى عقائد المسلمين وخاصة أهل السنة، خلافا لبعض الفلاسفة مثل ابن الطفيل الذي يرى أن الفيلسوف والمفكر يستطيع أن

يصل إلى الله دون الحاجة للوحي، وإنما العامة هي التي تحتاج للوحي للوصول إلى الله.

الشريعة:

يقول ابن ميمون: «بإبراهيم (عليه السلام) تم تحقيق الهدف الرئيسي معرفة الله الحق وإلقاء الوثنية والشريعة تعني الاستجابة اللامشروطة لدعوة الله وأوامره، فالشريعة تجعلنا نتذكر الله من جديد ونحبّه ونطيعه».

ويقول: «كل جاهل يتخيل الكون برمته لم يوجد إلا لشخصه هو، كما لو لم يكن ثمة مخلوقات أخرى سواه.. والشهوات الوهمية كالصحة والثروة والأولاد، كان أيوب (حسب القصة الواردة في التوراة المحرفة) يعتبرها هدفاً لأنه لم يكن يعرف شيئا إلا عن طريق التقاليد والسنة، لا عن طريق التأمل والتفكر».

ويجب أن ننزه الله عما نظنه خيراً أو شراً نسبيا فيقول: «عندما نعتقد أننا اكتشفنا تناقضات في العالم الذي خلقه الله أو في كتبه المنزلة فذلك لأننا نحكم بعلمنا نحن، الذي لا يشترك في شيء من علم الله، إلا في الاسم».

حب الله:

يقول: «إذا كان أبونا إبراهيم قد سارع في التضحية بإسحاق (الحق أن الذبيح هو إسماعيل) فليس ذلك خوفا من أن يهلكه الله أو يفقره، بل فقط لأن من واجب البشر أن يحبوا الله ويخشوه، بمعزل عن أي طمع في الثواب أو خوف من العقاب»، وهنا يظهر صدى كلام رابعة العدوية والصوفية في حب الله والمسارعة إلى طاعته.. ويكرر ابن ميمون هذا المفهوم في كتابه دلالة الحائرين عندما يتحدث عن الإنسان الذي يعبد الله بدافع الحب: «إنه ليس مدفوعا بالخوف من العقاب، ولا بأمل الحصول على الثواب، ولكنه يطبق شريعة الحق لأنها الحق، والسعادة تأتي فضلا عن ذلك، وهذه المرتبة من العبادة مرتبة رفيعة لا يرقى إليها كل حكيم، وقد بلغها أبونا ابراهيم الذي كان القدس (الله) عز وجل يدعوه خليلي».

ما معنى أن نحب الله كما يجب؟ ذلك يعني أن نخصه بحب كبير قوي في غاية القوة حتى أن النفس تغدو مقيدة بهذا الحب وتحيا هاجسه بشكل مستمر كما لو كان المرء سقيما من الوجد الذي يشغل تفكير المحب بحبيبه دائما، ويدفعه الى التفكير في ذلك على الدوام، قاعدا أو قائما وحتى عندما يأكل أو يشرب، إن حب الله أعظم في قلب أحبائه الذين يجعلونه شغلهم الشاغل، ويجعلون منه كما تأمر التوراة «حبا من كل قلبك ومن كل روحك ومن كل طاقتك» (سفر التثنية ٦:٥)، ولم يقل سليمان مجازا، إلا ما هو مبسوط في هذا المقطع وذلك عندما يصرح: لأني سقيم من الحب (نشيد الأنشاد ٥:٢) ونشيد الأنشاد ليس في الواقع إلا مجازا واستعارة لحب الله.

ملاحظة: نشيد الأنشاد غزل جسدي فاضح منحط أشد الانحطاط.

وهكذا نرى تأثير المتصوفة من المسلمين في كلام ابن ميمون، وخاصة رابعة العدوية، حين تقول:

أحبك حبين حب الهوى
وحبا لأنك أهل لذاك
فأما الذي هو حب الهوى
فشغلي بذكرك عمن سواك
وأما الذي أنت أهل له
فكشفك لي الحجب حتى أراك

وتقول: «إلهي ما عبدتك خوفا من نارك ولا رغبة في جنتك ولكن حبا لك..»

وكانت تقول مستغربة: «أو لو لم يخلق الله الجنة والنار ما عبده أحد؟» وكانت تسمي الذين يعبدون الله خوفا من العقاب بأنهم كالعبيد، والذين يعبدون الله رغبة في الثواب كالتجار، ولكن الأحرار هم الذين

يعبدون الله حبا له دون أمل في الثواب أو خوف من عقاب.

وقد تأثر موسى بن ميمون تأثرا كبيرا بابن رشد وكلاهما عاش في قرطبة في زمن واحد تحت حكم الموحدين.. ومن ذلك محاولة ابن ميمون للتوفيق بين الديانة اليهودية والفلسفة، وهو نفس ما قام به ابن رشد في كتابه: «فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال» وفيه أظهر مطابقة الحكمة (الفلسفة) للشرع، وأن الشريعة قسمان ظاهر ومؤول وأن الظاهر منها هو فرض الجمهور، وأن المؤول هو فرض العلماء. وأما الجمهور ففرضهم فيه حمله على ظاهره وترك تأويله.. ويذكر ابن رشد أن حقيقة الشرع هي حقيقة العقل أيضا.. ولكن للعقل مجاله المحدود الذي لا يتجاوزه ومع هذا فلا يمكن أن تتصادم حقيقة عقلية مع نصوص شرعية.

ونتيجة تأثر ابن ميمون بذلك كله من فقه وعقائد وفلسفة إسلامية وظهور ذلك في كتابه «دلالة الحائرين» فإن كثيرا من الأحبار وقفوا ضده، وخاصة في بداية الأمر، وشنوا عليه حملات شديدة وسموا كتابه «ضلالة الحائرين» و(الضلالة) ولم يقتصر ذلك على يهود المشرق الذين هالهم استخدام ابن ميمون للتأويل في فهم التوراة وخاصة في نفي التجسيم الفظيع الذي تميزت به التوراة والتلمود، وإنما امتد ذلك إلى يهود المغرب والأندلس بل وإلى يهود أوروبا فنرى الحاخام سلومون (سليمان) كبير حاخامات مونتبلييه في جنوب فرنسا يشن حملة صاعقة على كتاب موسى بن ميمون «دلالة الحائرين» ويتهمه بالهرطقة واستطاع أن يقنع السلطات الكنسية المسيحية بمنع هذا الكتاب، وإحراق النسخ الموجودة منه، وذلك عام ١٢٣٣ م، أي بعد أقل من ثلاثين عاما على وفاة موسى بن ميمون[٨].

ولكن ما لبثت آراء موسى بن ميمون أن اكتسبت تأييد كافة أحبار اليهود إلا من شذ منهم، وأصبحت كتبه من المصادر الهامة الأساسية لدراسة التوراة والتلمود، والتي يرجع إليها اليهود إلى يومنا هذا.

ثبت بكتب ابن ميمون[٩]:

١ ـ رسالة المصطلحات المنطقية.. وضعها وهو في سن السادسة عشرة وهو لا يزال في قرطبة باللغة العربية.

٢ ـ كتاب السراج: وهو شروح وتعليقات على المشنا، وبدأه وهو في سن الثالثة والعشرين، وانتهى منه في سن الثالثة والثلاثين، ووضعه بالعربية.

٣ ـ الكتاب الموسوعي «مشنا توراة» أي مراجعة التوراة وقد استغرق أيضا عشر سنوات، وظهرت فيه آثار الثقافة الإسلامية، وتأويله لكل ما في التوراة من تجسيم لله تعالى، وقد وضعه باللغة العبرية، وجمع فيه أقوال التلمود ورتبها ترتيبا قريبا من أبواب الفقه الإسلامي.

٤ ـ سفر الوصايا أو القواعد الأخلاقية ووضعه بالعربية.

٥ ـ قوانين أورشليم: وهو مختصر تعاليم التلمود بالعبرية.

٦ ـ دلالة الحائرين: وهو أهم كتبه وأشرنا إلى ما فيه من فلسفة وعقائد وكيف حاول أن يوفق بين الشريعة والحكمة (الفلسفة) مما أدى الى اتهامه بالهرطقة، والتأثر بالفكر الإسلامي.. ولكن ما لبث اليهود أن تقبلوا هذا الكتاب وأصبح من أهم مراجع كتبهم الدينية.

٧ ـ رسالة اليمن (إجريت تيمن) كتبها ليهود اليمن، وكيف يتحايلون على الحكام والقضاة من المسلمين. وقد قيل أن اليهود في اليمن في زمنه كانوا يعانون من التضييق مثل ما حصل في الأندلس والمغرب على عكس الوضع في الشام ومصر والعراق.

٨ ـ رسالة الردّة.

٩ ـ رسالة في الفلك (التقويم اليهودي).

١٠ ـ كتاب الفرائض: وتناول فيه كل ما أحلّته الشريعة اليهودية وما حرّمته.

١١ ـ رسائله الى أصدقائه: وقد جُمعت هذه

الرسائل، وأغلبها بالعربية، ثم ترجمت إلى العبرية، وكان لها رواج عظيم عند اليهود.

١٢ ـ رسالة الي يهود المغرب (إجروت هشماد).

أما كتبه الطبية فكانت تجميعا ونقلا عن كتب من سبقه من الأطباء مثل ابن سينا والرازي وابن زهر وفصول أبقراط وغيرها. ولم يكن فيها أبحاث جديدة أو ملاحظات ذات قيمة، ولهذا فإن كتبه الطبية على عكس كتبه الفلسفية والدينية لم تحظ بأي اهتمام وهي:

١٣ ـ كتاب الفصول: ويعرف بفصول القرطبي حاول فيها تقليد الفصول لأبقراط.

١٤ ـ رسالة شرح أسماء العقار وفيها أسماء العقاقير وشرحها.

١٥ ـ المقالة الأفضلية في تدبير الصحة: وضعها للملك الأفضل علي بن يوسف (ابن الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي).

١٦ ـ رسالة في البواسير.

١٧ ـ تلخيص كتاب «حيلة البرء».

١٨ ـ رسالة في الجماع.

١٩ ـ مقالة في الربو ومقالة في بيان الأعراض.

٢٠ ـ الرسالة الفاضلية في تدبير المنهوش، كتبها للقاضي الفاضل ولي نعمته، وهي الرسالة التي سماها ولغنسون «رسالة السموم والتحرز من الأدوية القتّالة».

٢١ ـ مقالة تشتمل على فصول في كتاب الحيوان لأرسطو.

٢٢ ـ تهذيب الاستكمال في الرياضيات، وهو التهذيب لكتاب ابن هود.

٢٣ ـ تهذيب كتاب ابن أفلح في الهيئة.

هذه هي كتب ورسائل ابن ميمون، ولا قيمة حقيقية لكتبه في الطب أو الرياضيات أو الحيوان. إنما قيمة كتبه في النواحي الدينية والفلسفية، وقد أثّرت على اليهود على مدى القرون، ولا تزال من المراجع الهامة إلى يومنا هذا.

وقد قال عنه ابن القفطي في كتابه «إخبار العلماء بأخبار الحكماء»، أنه كان يشارك الأطباء ولا ينفرد برأيه لقلة مشاركته، ولم يكن رفيقا في المعالجة والتدبير»، وقال «أنه صنّف مختصرا لواحد وعشرين كتابا من كتب جالينوس، فجاء في غاية الاختصار، وعدم الفائدة، لم يفعل فيه شيئا».

وهكذا يبدو أن شهرة موسى بن ميمون في الطب لم تكن في محلها، وذيوع صيته كان من حظه في مداواته للقاضي الفاضل. . أما كتبه الطبية فلا قيمة لها.

الهوامش:

(١) اسرائيل شاحاك: الديانة اليهودية وتاريخ اسرائيل، ترجمة رضى سلمان وتقديم إدوارد سعيد، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٩٧، ص ١٣٦ وما بعدها.

(٢) عبد الملك بن حبيب الألبيري: الطب النبوي، شرح وتعليق وتحقيق د. محمد علي البار، دار القلم ـ الدار الشامية، بيروت ١٩٩٣، ص ١٦٦، ١٦٧.

(٣) نظام وواجبات الطبيب وآداب المهنة ـ رسالة غير منشورة، توزع على الأطباء وأعضاء نقابة الأطباء، القاهرة.

(٤) اسرائيل شاحاك: الديانة اليهودية وتاريخ اليهود ص ١٣٨.

(٥) المصدر السابق ص ٥١ ـ ٥٤.

(٦) انظر «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»، لابن أبي أصيبعة، مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٥، ص ٥٨٢، ٥٨٣.

(٧) روجيه جارودي: الإسلام في الغرب: قرطبة عاصمة الروح والفكر، ترجمة د. محمد مهدي الصدر، دار الهادي، بيروت ١٩٩١، ص ١٤٠ ـ ١٤٥.

(٨) دائرة المعارف البريطانية، الطبعة ١٥، عام ١٩٨٢، الماكروبيديا ج ٣٥٢/١١، ٣٥٣ مادة ميمونيدس.

(٩) جمعنا ذلك من دائرة المعارف الاسلامية ودائرة المعارف البريطانية، والأعلام للزركلي، وطبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، وكتاب القفطي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء.

سارة

تأليف الأستاذ :
عباس محمود العقاد

كتب عن هذه القصة أدباء مرموقون، فقالوا إنها فتح جديد في القصة العربية، وكتب عنها فريق آخر فقالوا إنها تنتسب إلى المقالة النفسية، وليست من القصة فى شيء! فماذا أقول في الوجهتين المختلفتين، وكلتاهما لقوم من ذوي الأصالة والروية، وليسوا أصحاب مراوغة واحتيال.

لقد قرأت سارة، فعرفت أن كلا الفريقين معه عذره الواضح فيما قرر من حكم، فحكاية الحب العاصف بين أديب كبير، وحسناء خالية هي قصة لا نزاع في وصفها، ومبالغة العقاد في تحليل الخلجات والهواجس والنظرات والامتداد في ذلك أحيانا إلى جو يوحي بالمقالة لا القصة يجعل سارة ميدانا للتحليل النفسي أولا قبل أن تكون قصة، فمن يتجه إلى ذلك فقد يعذر!

وفي سارة غرائب كثيرة، فهى لم تبدأ البدء الطبيعى، بذكر ما كان في اللقاء الأول وما أعقبه من مسرات أجاد المؤلف وصفها فيما بعد، ولكنها بدأت بعد قطيعة قاسية عاناها الحبيبان معاناة مرهقة، والتقى العقاد فجأة بصاحبته بعد هذه القطيعة، فقال لها وقالت له، وكان لهذا الموقف من التغلغل في نفس العقاد ما جعله يبدأ به القصة! ولا أظن أن ذلك كان من قبيل التشويق وجذب القراء على عادة من يصطنعون الألغاز في أول القصة لتشغل بال القارئ فيسارع في القراءة ليصل إلى حلّ اللغز، فالمؤلف أكبر من أن يصطنع الحيلة الروائية ليجذب قارئا ما إلى أدبه، وأدب العقاد من قبل ومن بعد ليس متعة لكل قارئ، بل لقارئ ذى حظ كبير من الثقافة، والعقاد يعلم ذلك جيدا فلا يحاول أن يهبط إلى القارئ العادى ليرتفع به! وما أجمله لو فعل ذلك، ولكنه يظل في أفُقه الشاهق يدعو قارئه إلى الصعود إليه غير ملتفت إلى ما قد يعانيه من جهد، ولا حيلة له في ذلك فقد دأب منذ صباه على القراءة الجادة الرصينة، فرسمت له مثلا أعلى في الكتابة، لا أعضده الآن ولكنى أوضحه، وأضعه في موضعه الصحيح، فالقول بأن الافتتاح المفاجئ في مطلع القصة كان أداة تشويق، أبعد ما يكون عن منهج العقاد، وإن قال به ناقدون ذوو شأن!

لقد بدأت القصة حقيقة في الفصل التاسع بعد الصفحة الرابعة والتسعين فيما كتبه العقاد تحت عنوان (من هي) وقد أحس العقاد بأنه يفاجئ القارئ بهذا السؤال حين قال في مقدمة هذا الفصل[١]:

«من هي سارة؟ من هي الفتاة التي مشينا معها هذا الشوط ولا نعرفها، بل رأينا منها خيوطا ولم نر صورة، والتى قرأنا عنها كلمات كثيرة، ولكنها كلمات بينها كثير من الفواصل، وحروفا كثيرة ولكنها حروف يعوزها الإعجام».

وسؤال العقاد محير حقا، لأنه حين يقول إننا قطعنا مع الفتاة شوطاً كبيرا ولا نعرفها، قد ظلم القارئ الواعي، فكل ما تقدم فيما يربو على التسعين من الصفحات أعطى القارئ إلماماً كافيا بصفات سارة، وميولها، وما هى عليه من ذكاء وجمال واحتيال، كما أعطى القارئ فكرة عن (همام) بطل القصة التى شاء العقاد أن يخلع عليه هذا الاسم كما خلع اسم سارة على حبيبته وهي ذات اسم آخر، فعرف طباعه النفسية، ومواقفه المتميزة في الغضب والرضا، والهدوء والانفعال، وإذا كان لم يعرف ما جدَّ بعد ذلك من ظروف اللقاء الأول، وانطباع صورتها الجميلة في نفس العقاد لأول مرة فمعنى ذلك أنه يفتقر إلى الأسماء والملابسات بعد أن عرف ما يختفى تحت الضلوع من خلجات وأهواء.



بقلم: أ. د. محمد رجب البيومي
عضو مجمع البحوث الإسلامية ـ القاهرة

فيما كتبه العقاد تحت عنوان (من هي) وصف تفصيلي رائع لسارة، تلخيصه ينقص من مضمونه، ولكنه يعطى فكرة ما عن فتاة جميلة لا مراء، وجمالها لا يختلط بغيره في ملامح النساء، لونها كالشهد المصفى يأخذ من محاسن الألوان البيضاء والسمراء والحمراء والصفراء في مسحة واحدة، عيناها نجلاوان تخفيان الأسرار ولا تخفيان النزعات، فيها خطفة الصقر ودعة الحمامة، وفمها فم الرضيع لولا ثنايا تخجل العقد النضيد في تناسق وانتظام، وبين وجهها النضير وجسمها الغضير جيد كأنه الحلية الفنية سبكت لتنسجم بينهما، وفقا لتمام الحسن من كليهما، حزمة من أعصاب تسمى امرأة، استغرقتها الأنوثة فليس فيها إلا أنوثة، ولو أنها تفرقت بين أجسام شتى لكانت فيها خميرة أنثى يوشك أن تطغى على جميع تلك الأجسام، شغلتها جواذب الجسد قبل أن تفقه معناها وتسمع باسمها ومسماها، ففيما دون العاشرة وبين جدران مدرسة ليس فيها إلا البنات تزل بُنيَّة لم يكعب ثدياها وتقترف أم الخطايا التى تقترفها النساء والرجال حتى ذعر منها الكاهن عند الاعتراف! وقال لها العقاد حين سمع ذلك أنك اليوم تخطئين وما تعترفين، لا تنظر الى الأديان نظرة الوثنية التى نشأت قبل أن ينشأ الأنبياء، ولها فراسة نفاذة في كل ما بين الجنسين من علاقة، لو حصَّلتها بالتعليم لأنفقت أعمارا طويلة، وكان همام يسمع منها ما قل أن تفهمه امرأة وإن شعرت به، وتمييزها لملامح الرجولة ومظاهرها تمييز لا يخطىء لأنه أشبه بالغريزة التى لم تعرف غير الصواب، تحب التدليل كما تحبه بنت من بنات حواء ولكنها تكره التدليل السخى الفياض، وتحب أن يُقَطَّر لها تقطيرا، وكأنها الطيارة المحلقة، وكأن نزواتها هى القوة الدافعة لها في الفضاء، فإذا دفعتها فهى ناهيك من حركة وصعود وهبوط، وهى وثنية في مقاييس الأخلاق كما هي وثنية في التدين، لا تؤمن بالعصمة الإنسانية في أحد ولا في صنعة، وشديدة الايمان بضعف الإنسان مع أضعف المغريات.

أما مذهبها في الكرامة فمذهب خليق أن يخيف من يحب لها الكرامة، وهي في نظرها كسوة اجتماعية لا يخلعها المرء في المجالس، ولا يلبسها ممزقة مرقعة، ومثل



العقاد مع سارة فى لقطة نادرة

هذه الكرامة لا تمنع صاحبها أن يقارف المنكرات، كلما حلت له وغفلت عنه عين الرقيب».

هذه خلاصة سمات سارة كما رسمها العقاد، وأنا لا أخلي العقاد من غرض هادف في تسجيل ما قال، لأنه أفرط إفراطا زائدا في وصف المحاسن الجسدية، وأفرط إفراطاً مماثلا في وصف المساوىء الخلقية! فماذا يعنى بذلك، أنا أعرف أن الرجل الكريم إذا قضى عهداً سعيدا مع حبيبته تبادله الحب ثم أعقب سعادته شجى الفراق لسبب ما، لا يسهب في تعداد مساوىء إنسانة كانت كل شيء له في الحياة، ولاقى من صدودها ما ينوء

بحمله الصخر الصلد، فلماذا اندفع العقاد في تعداد مساوئها الخلقية هكذا، وأكثر مما ذكرت لأني لخصت صفحات متعددة في صفحة!

إن العقاد حين أسهب في ذكر محاسنها الجسمية يقدم للقارئ عذره في تأكيد العلاقة بها وأنه كان مضطراً الى الهيام بفاتنة تملك هذا الوجه وهذا الشعر وهذا الثغر وهذا القوام، وهو حين أسهب هذا الإسهاب المزعج في وصف حيوانيتها الصارخة كان يريد أن يقدم الأسباب الكافية لإهمالها وطردها من حظيرة نفسه! وصاحبة هذا السلوك الشاذ لابد أن تكون معروفة بسلوكها المنحدر أمام فاحص متمرس كالعقاد، ولكنه تغاضى عنه! وما جاء الهجران لأنها أشركت معه غيره كما تنطق صفحات القصة، ولكن لأنها آثرت غيره عليه ووضعته في مرتبة لا تُرضي كبرياءه العظيمة! هنا اندفع العقاد لتسجيل مثالب كثيرة توقعه في مأخذ خلقي حين ارتضاها، ولا تبرئه في مسلكه حين جافاها! لأنه في الواقع لم يكن صاحب الأمر في الجفاء، بدليل أنه ارتضاها بعد أن اعترفت له بالسقوط عن يقين، وكبرياء العقاد المعهودة تمنعه أن يخالف قول القائل:

وتمتنع الأسود ورود ماء
إذا كان الكلاب ولغن فيه!

وأنا لا أقول إن سارة بريئة: ولكني أقول إن العقاد هو الآخر ليس بريئا، فكيف يقيم الدنيا ويقعدها على أمر شاركها فيه! ألأنها امرأة؟!.

هذا ما أكتبه عن سارة، في ضوء ما كتبه العقاد تحت عنوان (من هي؟) وكنت أود أن يكتب العقاد فصلا آخر تحت عنوان (من هو) ليعرف القارئ طبيعة همّام كما عرف طبيعة سارة، والعقاد الكاتب الأديب الشاعر حقا ليس في حاجة إلى تعريف، ولكننا نريد هنا أن نعرف العقاد العاشق في تجربته العملية لا في تهويمه الشعري! وقد يقول قائل ان فصول القصة تعريف ممتد بالعقاد العاشق، وأنا أقول إن فصول القصة تعريف ممتد بسارة، ومع ذلك احتاجت إلى فصل خاص بها يبرز سماتها الجسدية والنفسية معا، هذا الفصل كنا ننتظر نظيره من العقاد تحت عنوان (من هو؟) وليس يعوزه وهو الكاتب المقتدر أن يتحدث عن نفسه العاشقة بأحسن ما يود أن يعرضه للقارئ، والقارئ بعد ذلك يأخذ من كلامه ما يشاء، ويدع ما لا يراه مطردا في خطه القويم؟

إن أعظم سمات (سارة) أنها مدد زاخر لعلماء النفس، فقد استطاع الكاتب الكبير أن يفسر كل خلجة، وأن يعلل كل لفتة. وأن يشرح بواعث كل نظرة، كما عرف كيف يأخذ النفي من ظواهر الإثبات، والبغض من ظواهر الحب، والكذب من بوارق الصدق. كل ذلك قد برع فيه العقاد براعة تحليلية موفقة، وله صبره المديد على تصوير أزمات النفوس، ومع ما عرف عنه من الإيجاز كثيراً والمساواة دائما في شرح بواطن نفسه، فإنه حين رصد تياره الشعورى في كثير من المواقف كشف اللثام عن خوافي دامسة في عالم اللاشعور، كما صدق القول أمام نفسه في مواقف كثيره، وبخاصة في موقفه التصويرى الرائع لما أعقب لقاء سارة بعد الجفاء، وتحديد الموعد للقاء، أقول لما أعقب ذلك من صراع نفسى هائل صوره العقاد تصويرا أميناً بقلمه الجبار، لقد تواعدا على اللقاء في منزله بعد الجفاء في عصر اليوم المقبل، ومن ساعة هذا الموعد والعقاد في شجون تتناقض وتتباعد، لم يذهبها عنه اللجوء إلى السينما، ولا النوم المتقطع في الليل، لأنه أثناء النوم كان يحلم بها وحدها، وفي الصباح جابه نفسه بهذا السؤال:

أتريد أن تقابلها؟ وهنا دارت في نفسه - نفس العقاد وحده - مناقشة عنيفة طويلة كأعنف ما تكون المناقشة بين رجلين مختلفين، كلاهما مُصرّ على عزمه، وكلاهما يحاول جهده أن يخدع الآخر ويستميله، فقال أحدهما:

- كيف لا تنتظرها؟ أتعطى سيدة موعدا ولا تنتظرها؟ أهذا يليق برجل.

- ولكنها ليست كسائر السيدات، ولا زائرة من زائرات المجالس العامة التى تقع بيننا وبينهن هذه التكاليف!.

- ومم عساك أن تخاف، انتظرها، وقل لها إنك لا تريد أن تراها بعد هذا الموعد!

- عجبا! أتجهل ما أخافه؟ أتجهل هذه الآلام التى لا حيلة فيها لمخلوق، ولا تزال تبتدئ حيث تنتهى، لأنها تبتدئ وتنتهى بالشكوك! وليس للشكوك قرار حاسم ولا مقطع يقين.



- عـلام هـذه الشكوك التى ليس لهـا أول ولا آخـر، اصرفها عنك مرّة واحدة، وافرض أسوأ الفروض، وقدر أنها تخونك، وأنك تلهو بها في ساعات فراغك، ولا يعنيك من شأنها بعد ذلك إخلاص ولا خداع.

- أأنت مخلص فيما تقول؟ كيف تنقلب هذه المرأة التى كانت كل نساء الأرض عندى، وكل ما يخفق له قلبى، فتصبح بين مساء وصباح، وهى لهو ساعة ومتعة فراغ؟ أهذا خداع يجوز على إنسان؟

- لكن الفتاة مليحة مع ذلك، تصور بضاضتها وهى جالسة إلى جانبك في المركبة، وأنفاسها وهى تهب على خدك فتسرى في جميع أوصالك! وقبلتها وهى ترتعش على شفتيك، وحلاوتها وقد زادها النحول في هذه الأشهر حلاوة على حلاوة.

- هذا حق ولكن ماذا؟ انتظرها واللهُ بها ولا تدعها لغيرك ينال منها مالا تنال، ولا تستضعف عزيمتك هذا الاستضعاف المهين.

- عزيمتي! اين هى عزيمتى إن كانت لا تنجدنى في هذا النزاع العنيف؟

- إنها تنجدك ولكن أنت لا تريدها الآن، لا تريد عزيمة الجفاء والقطيعة، ومتى أردتها غداً، فهى في كل ساعة لديك، ومع هذا ألا يشوقك أن تستمع إلى حديثها أيام القطيعة بينكما؟ ألا يجوز أن تفسر لك بعض الغوامض وتريك من البواطن ما ينقض الظواهر؟ وتصف لك من حالها في غيابك عنها ما يهمك ولو من باب الدراسة والاستقصاء!

ومع انتهاء الحوار إلى هذا الرأى، فإن العقاد قد خالفه، وهرب من البيت حين حانت ساعة اللقاء! وذلك في رأيى مستبعد، لأن أسلوب الحوار يصور الاتجاه الى اللقاء، فهل أراد العقاد أن يفاجىء القارىء بما لم يكن؟، أو أن ذلك قد كان ضد طبيعة الأشياء لشاعر امتاز بها العقاد؟.

وتعدد اللقاء، واتضحت حقيقة الغدر كما تصوره العقاد أخيراً، وإن كانت القصة تدل عليه من مبتدئها مما يجعلنى أميل إلى أن قسوة الغدر أخيرا كانت هى القشة التى قصمت ظهر البعير، لا عنصر الغدر في ذاته! ولا أحب أن أتحدث عن (الرقيب) الذى سلطه العقاد على ترصد خطواتها حتى عرف قمة المأساة! فالمسألة لم تكن تحتاج الى رقابة، وظن العقاد الكيد أشبه باليقين.

وفي ساره فصل تحت عنوان (حُبَّان) يتحدث فيه العقاد عن صلة بالآنسة ميّ، وهو حديث دلت رسائل ميّ (التى نشرت أخيرا) إلى جبران أنها كانت بمعزل عن كل ما قيل عن حبها للعقاد أو الرافعى أو ولى الدين يكن أو غيرهم ولكن الأدباء الكبار رأوا في ملاطفتها الاجتماعية التى ترعى حقوق الضيافة في منزلها نوعاً من الود المتبادل، فاعتقدوا ذلك، وألفوا الكتب والقصائد في شأنه! وميٌّ كانت عفيفة صابرة ملتزمة وذات إحساس يمنعها أن تجابه أحداً بموقف يخدش إحساسه، وقد اعترفت في آخر أيامها للأستاذ طاهر الطناحى أنها لم تتبادل الحب الصادق الا مع جبران وبينها وبينه آلاف الأميال! مما يذكرنا بقول الشريف الرضي:

سـهمٌ أصـاب وراميـه بذى سلم
منْ بالعـراق لقـد أبعـدت مـرمـاك!

ويقينى أن البعد الساحق كان الدافع لهذا الحب! ولو كان جبران من شهود ندوتها الأدبية لما زاد حظه عن أنطون الجميل، وهو اذ ذاك شاب مسيحى أديب مكتمل الخلق، لا تقوم الحوائل الدينية بينه وبينها إذا أرادت الاقتران!

ولقصة سارة فضل كبير على أكثر شعر العقاد الغزلي حيث بينت بعض المناسبات العاطفية لهذا الشعر، وبمراجعة ما في القصة، وتطبيقه على هذه القصائد تشرق أضواء كثيرة على المعانى المستترة خلف الإيحاء العام، ومن أشهر هذه القصائد قصيدة «النعيم المفقود» المبتدئة بقوله:

فـيم اجـتنابك ظلهـا الممـدودا
ولم اتقـاؤك يومـهـا الموعـودا
ولأيِّ طارقـه كـرهـت مـزارها
ونممت طالعـه، وكـان حـمـيـدا

وختامها الرائع قوله:

وجـد الجـحـيم بكل أرض من رأى
في حـيث سـار نعيمـه المفقـودا

الفرق بين المداراة والمداهنة

تختلط الألفاظ في كثير من الأحيان مع بعضها، خاصة إذا كان استعمالها قليلا، أو كان مما يتعلق بالحلال والحرام، ولكن مع أن هاتين الكلمتين كثيرتا التداول، وينطق بهما الجم الغفير من الناس، إلا أن هناك التباسا، وتداخلا في معنييهما، مما يستدعي الكشف عن هذا اللبس، وإذا علمنا أن إحدى الكلمتين مندوب إليها والأخرى محرمة، عرفنا شدة الحاجة إلى بيان الفرق؛ ليزول اللبس، وتتكشف حقيقة كل واحدة من الكلمتين.

فنقول:

قال القاضي عياض - وتبعه في ذلك القرطبي - رحمهما الله - والفرق بين المداراة والمداهنة: أن المداراة بذل الدنيا لإصلاح الدنيا، أو بذل الدنيا لإصلاح الدين، أو بذل الدنيا لإصلاح الدين والدنيا، وهي مباحة، وربما استحبت، والمداهنة: ترك الدين لإصلاح الدنيا[١].

قال ابن حجر في فتح الباري[٢] باب المداراة مع النساء: المداراة هو بغير همز بمعنى المجاملة والملاينة، وأما بالهمز فمعناه المدافعة.

(قلت) ومن المهموز قوله تعالى {ويدرأ عنها العذاب أن تشهد} الآية/٣، معناه والله أعلم - يدفع عنها الحد إذا لاعنت بعد لعان زوجها.

وكذلك قوله تعالى عن المؤمنين {ويدرؤن بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار}[٤] وكذلك قوله تعالى {فادرؤا عن أنفسكم الموت}[٥].

فالآية ويدرؤن بالحسنة السيئة. أي يدفعون بالكلام الجميل الطيب الكلام القبيح الصادر من الجهلة، وكذلك يدفعون أعمال الجهلة الحمقى بأعمال حسنة طيبة، وبمعنى الدفع أيضا (فادرؤا عن أنفسكم الموت) أي ادفعوا.

والإمام البخاري[٦] - رحمه الله تعالى - ترجم في صحيحه للمداراة فقال «باب المداراة مع الناس» ثم ذكر قول أبي الدرداء: إنا لنكشرُ في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتعلنهم. وذكر حديث عروة بن الزبير (أن عائشة أخبرته أنه استأذن على النبي {صلى الله عليه وسلم} رجل فقال - أي النبي {صلى الله عليه وسلم}: ائذنوا له فبئس ابن العشيرة، أو بئس أخو العشيرة، فلما دخل ألان له الكلام، فقلت له يا رسول الله، قلت ما قلت، ثم ألنت له القول، فقال: أي عائشة إن شر الناس منزلة عند الله من تركه - أو وَدَعَهُ - الناس اتقاء فحشه».

ثم نقل ابن حجر قول ابن بطال في ذلك فقال:

قال ابن بطال: المداراة من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس، ولين الكلمة وترك الإغلاظ في القول، وذلك من أسباب الألفة.

وظن بعضهم أن المداراة هي المداهنة فغلط، لأن المداراة مندوب إليها، والمداهنة محرمة، والفرق: المداهنة من الدهان وهو الذي يظهرُ على الشيء ويستر باطنه، وفسرها العلماء بأنها معاشرة الفاسق، وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه، والمداراة: هي الرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والانكار عليه بلطف القول والفعل، ولا سيما إذا احتيج إلى تألفه ونحو ذلك[٧].

وذكر ابن حجر - قبل ذلك ما يؤيد استحباب المداراة - حديث جابر عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال (مداراة الناس صدقة) وحديث أبي هريرة «رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس» وبين أن الحديث الأول لا بأس به وأن الثاني سنده ضعيف[٨].

(قلت) يغنى عنهما فعله {صلى الله عليه وسلم}.

ثم ذكر ابن حجر[٩] قول الخطابي في حديث عائشة فقال: قال الخطابي جمع هذا الحديثُ علماً وأدباً وليس في قول النبي {صلى الله عليه وسلم} في أمته بالأمور التي يسميهم بها ويضيفها إليهم من المكروه غيبة، وإنما يكون ذلك من بعضهم في بعض، بل الواجب عليه أن يبين ذلك ويفصح به ويعرف الناس أمره، فان ذلك من باب النصيحة والشفقة على الأمة. ولكنه لما جبل عليه من الكرم، وأعطيه من حسن الخلق أظهر له



بقلم: د. ياسين بن ناصر الخطيب
جامعة ام القرى - مكة المكرمة

البشاشة، ولم يجبهه بالمكروه لتقتدى به أمته في اتقاء شر من هذا سبيله. وفي مداراته ليسلموا من شره وغائلته.

وبذلك عرفنا أن المداراة محمودة مندوب إليها، والمداهنة مذمومة، وأن ضابط المداراة أن لا يكون فيها قدح في الدين، والمداهنة المذمومة، أن يكون فيها تزيين القبيح، وتصويب الباطل ونحو ذلك.

وقد علق سيد قطب رحمه الله تعالى في كتابه الظلال على قوله تعالى {ودُّوا لو تُدْهنُ فيُدْهنُون}[١٠] فقال بعد أن ذكر خُلُق النبي {صلى الله عليه وسلم} وإنك لعلى خُلُق عظيم[١١] ثم بين ما في قوله تعالى {فَسَتُبْصرُ ويُبْصرُون بأيكم المفتون}[١٢] قال.

ثم يكشف له عن حقيقة حالهم - أي حال المشركين - وحقيقة مشاعرهم، وهم يخاصمونه ويجادلونه في الحق الذي معه، ويرمونه بما يرمونه، وهم مزعزعو العقيدة فيما لديهم من تصورات الجاهلية، التى يتظاهرون بالتصميم عليها، إنهم على استعداد للتخلي عن الكثير منها في مقابل أن يتخلى هو عن بعض ما يدعوهم إليه! على استعداد أن يدهنوا ويلينوا، ويحافظوا فقط على ظاهر الأمر لكي يدهن هو ويلين، فهم ليسوا أصحاب عقيدة يؤمنون بأنها الحق، وإنما هم أصحاب ظواهر يهمهم أن يستروها.

{فلا تُطع المكذبين، ودُّوا لو تُدْهنُ فَيُدْهنُون} ثم يعرف سيد قطب المداهنة فيقول: فهي المساومة إذن، والالتقاء في منتصف الطريق، كما يفعلون في التجارة، وفرق بين الاعتقاد والتجارة كبير، فصاحب العقيدة لا يتخلى عن شيء منها، لأن الصغير منها كالكبير بل ليس في العقيدة صغير وكبير، إنها حقيقة واحدة متكاملة الأجزاء، لا يطيع فيها صاحبها أحداً، ولا يتخلى عن شيء منها أبداً.

ولقد وردت روايات شتى فيما كان يدهن به المشركون النبي {صلى الله عليه وسلم} ليدهن لهم ويلين، ويترك سب آلهتهم، وتسفيه عبادتهم، أو يتابعهم في شيء مما هم عليه ليتابعوه في دينه، وهم حافظون ماء وجوههم أمام جماهير العرب!! على عادة المساومين الباحثين عن أنصاف الحلول! ولكن الرسول {صلى الله عليه وسلم} كان حاسماً في موقفه من دينه: لا يدهن لهم ولا يلين، وهو فيما عدا الدين، ألينُ الخلق جانباً، وأحسنهم معاملة، وأبرهم بعشيرة، وأحرصهم على اليسر والتيسير، فأما الدين فهو الدين! وهو فيه عند توجيه ربه (فلا تطع المكذبين).

ثم نقل عن السيرة النبوية لابن هشام مشي جماعة من المشركين إلى أبي طالب ليكف محمداً {صلى الله عليه وسلم} عنهم، ورد النبي {صلى الله عليه وسلم} على ذلك.

ثم عقب سيد قطب يرحمه الله رحمة واسعة على عرض عتبة بن ربيعة على النبي {صلى الله عليه وسلم} أموراً كالمال والسلطة والطب. وكيف رد النبي {صلى الله عليه وسلم} ذلك. فقال.

فهذه صورة أخرى من صور المساومة، وهي كذلك صورة من صور الخُلُق العظيم تبدو في أدبه {صلى الله عليه وسلم} وهو يستمع إلى عتبة حتى يفرغ من قوله الفارغ، الذي لا يستحق الانتباه من مثل محمد {صلى الله عليه وسلم} في تصوره لقيم هذا الكون، وفي ميزانه للحق، ولعرض هذه الأرض، ولكن خُلُقَه يمسك به: لا يقاطع ولا يتعجل ولا يغضب ولا يضجر، حتى يفرغ الرجل من مقالته، وهو مقبل عليه. ثم يقول في هدوء «أقد فرغت يا أبا الوليد؟ زيادة في الاملاء والتوكيد...اهـ.

(قلت) ففعل النبي {صلى الله عليه وسلم} لعتبة بن ربيعة وأدبه معه، بل وتعظيمه، بذكر كنيته - أبي الوليد - مداراة للناس، واستمالة لهم ليقبلوا الحق، وعمل عتبة كان مداهنة وتنازلا عن عقيدته التى يهاجمها النبي {صلى الله عليه وسلم} في أعز شيء فيها وهي أصنامهم وآباؤهم.

وهكذا يتجلى لنا الفرق واضحاً بين المداراة والمداهنة سواء من حيث اللغة أو من حيث الشريعة وحكمها.

الهوامش:

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٠/٤٥٤ (٧٨) كتاب الأدب (٣٨) باب لم يكن النبي {صلى الله عليه وسلم} فاحشا ولا متفاحشا. رقم الحديث (٣١٣٢)، ذكرت كلام عياض بتصرف.

(٢) الفتح ٩/٢٥٢.

(٣) النور الآية/٨.

(٤) الرعد الآية/ ٢٢، وكذلك القصص الآية/٥٤.

(٥) آل عمران الآية /١٦٨.

(٦) ٧/ ٨٠ طبعة استانبول.

(٧) فتح الباري ١٠/٤٥٤.

(٨) نفسه.

(٩) في ظلال القرآن لسيد قطب، دار الشروق ٦/٣٦٥٦ - ٣٦٦١.

(١٠) القلم الآية/٩.

(١١) القلم الآية/٤.

(١٢) القلم الآيتان ٥ - ٦.

تحقيقات عرضية

*** ثلاث رحلات جزائرية الى باريس تقديم وتحقيق خالد زيادة، بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٩ ـ ١٠٩ + ١ص:**

١ ـ الرحلات هي: رحلة السيد سليمان بن صيام ط الجزائر ١٨٥٢. رحلة أحمد ولد قاد ١٨٧٨، رحلة محمد بن الشيخ الفغون القسنطيني (رحلة الوفد الجزائري) ط، الجزائر ١٩٠٢.

٢ ـ يهمنا منها ـ هنا ـ شيء واحد هو رسم «الأرقام» فنحن في الجزائر بين ١٨٥٢ ـ ١٩٠٢ وبين يدينا نصوص أصيلة أي أنها نشرت كما تركها أصحابها الجزائريون أو كما طبعت لأول مرة في الجزائر ويتخللها مقدار كبير من «الأرقام» على شتى أعدادها بين الواحد والعشرة.. كان من محاسن المحقق أن قدم النصوص كما هي دون تدخل أو تعديل.

وليس اهتمامنا هذا إثارة جديدة ـ قديمة لمشكلة رسم الأعداد وما يراه أخواننا في المغرب العربي من ضرورة الالتزام بما هم ملتزمون به في الوقت الحاضر من رسمها هكذا (12345678910).

وحجتهم أن هذا هو الرسم الصحيح وقد اخذته أوربة عن العرب وسمتها الأرقام العربية.

ولا نشك في أن اوربا سمتها وتسميها الأرقام العربية.

ولكن هذه النصوص التى بين أيدينا ونصوصاً أخرى مغربية مناظرة ترينا أن المغرب العربي كان ـ وإلى زمن قريب (هو هنا ـ مثلا ١٩٠٢) يستعمل الرسم الذى يستعمله أهل المشرق وهو ١٠، ٩، ٨، ٧، ٦، ٥، ٤، ٣، ٢، ١ هذا الى ما هو معروف من عودة الرسمين ـ أصلا وعموما ـ الى الهند.

٣ ـ في الرحلات فوائد كثيرة، وفي صدد رسم الحروف رأينا أصحابها يرسمون الـ J مثل الانكليز، الانجليز، يرسمونه ق: الانقليز، ويرسمون الـ J الفرنسية مثل JAGEMENT چوچمه ومثل الـ J الـ GE بثلاث نقاط.

٤ ـ ورد في النص (الفصل الثاني من الرحلة القادمة) ص ٦٨ «عوج بن عنان» ولابد من أن يكون الأصل: عوج بن عناق.

٥ ـ وكلمات لم تكن قد ترجمت مثل الكولون LA COLONE (المستعمرة)

٦ ـ قال المحقق ص ١٠٨ «الحمام الزاجل» وصحيحها: حمام الزاجل.

٧ ـ بذل المحقق جهداً في جلاء النصوص ولا سيما في إعادة الكلمات والمصطلحات الى أصلها الفرنسي. ولكنه قد يقصر في «التعريف» فابن دريد (ص ٥٢) شاعر عربي شهير! لا تكفي في التعريف والإهمال ـ في هذه الحال أولى. وابن دريد لغوي اولا وشاعر ثانيا.

**** المدائح النبوية في الأدب العربي ـ تأليف زكي مبارك، القاهرة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، د.ت، تاريخ الإهداء رجب ١٣٥٤/ اكتوبر ١٩٣٥ ـ ٢٥٣ ـ ١، يصعب أن تكون الطبعة الأولى، وتاريخ الإهداء اولى ـ أو أقرب ـ الى الطبعة الأولى.**

١ ـ ص ٢٠ في الكلام على الأعشى، ترد «منفوخه» ويشرحها: قرية في اليمامة. الصحيح: منفوحه.

٢ ـ يحيل في هذا الخبر (ص ٢٠) وغيره (ص ٢٣) على مهذب الأغاني ١٦٣/١، فلماذا و«الأغاني» نفسه مطبوع؟

٣ ـ ص ٢٨ قال أبو جعفر الألبري: «حدثنى بعض أشياخنا بالاسكندرية» ويحيل على «نفح الطيب ج١ ص ٩٣٢ طبع لندن».

لابد من أن تكون «الألبري» : الألبيري.

بقلم : د. على جواد الطاهر
ـ عليه رحمة الله ـ

** *شجرة البؤس - طه حسين، القاهرة، دار المعارف ١٩٥٨ - ١٨٨ ص ص :*

١ - قال طه حسين في الإهداء: «هذه صورة للحياة في إقليم من أقاليم مصر آخر القرن الماضي وأول هذا القرن، نقلها من صدري الى القرطاس أثناء الرحلة في لبنان» وفي آخرها: بيت مري أغسطس وسبتمبر سنة ١٩٥٤.

٢ - كأنها مقالة طويلة، أو حديث في مجلس .. وهي تبعد بذلك عن أن تكون رواية. واذا حسبتها قصة طويلة فلتلاحظ أن طه حسين يلتزم الحديث أكثر مما يلتزم الفن القصصي.

٣ - جاء فيها ص ٨: «وأظنك في حاجة قبل أن يتقدم هذا الحديث الى أن تعرف شيئا من أمر هذين الرجلين» وص ١١ «ثم امتحنت الأسرة بفقد ابنيها جميعا في خطوب لا أعرض لها الآن»، ص ٢٧ «.. كما سترى»، ص ٥٧ «أما خالد فكدنا نشغل عنه بحديث أبيه» ص ١٦٨ «ومن الحماقة الحمقاء.. أن»، ص ١٨٥ «وجب أن نعترف بـ..» ص ١٨٣ «وفي الانسان خصال بغيضة لم تستطع الحضارة تهذيبها».

٤ - ص ٢٧ « الأعزب» ص ٢٨ «هو أعزب» والفصيح هو «العزب».

٥ - ص ١٢٥ «واستأنفت المعددة غناءها الذي كان يمزق القلوب» يسمي ندب الميت غناء.

٦ - ص ص ١٨٤ «فلست أعرف أعتى من (الإنسان) اذا ازدهاه الغرور» وتكررت - يريد اذا ركبه الغرور فأعجب بنفسه.

والازدهاء من الكلمات المعقدة، وربما كثر استعمالها في الاستخفاف. يزدهيه: يستخفه، كأنها يخيفه. جاء في «أساس البلاغة» وازدهاني كذا استفزني. وفلان لا يزدهيه الوعيد».

وقال الحماسي (جعفر بن علبة الحارثي):

فلا تحسبي أنى تخشعتُ بعدكم
لشيء ولا أني من الموت أفرق
ولا أن نفسي يزدهيها وعيدهم
ولا أنني بالمشي في القيد أخرق

٧ - ص ١٨٠ «لا تجيب على هذا السؤال» عنْ.

** *عبرة وذكرى أو الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده - سليمان البستاني، تحقيق ودراسة خالد زياده، بيروت، دار الطليعة، تشرين الثاني ١٩٧٨ - ٢٥٢ منها ٧١ ص للدراسة.*

١ - احتفظت هذه الطبعة بصورة غلاف الطبعة الأصلية: عبرة وذكرى.. بقلم سليمان البستاني مطبعة الأخبار، اكتوبر سنة ١٩٠٨ - ولنلاحظ «بقلم...» ولم يقل تأليف.

٢ - الكتاب حسن التبويب بين التمهيد (المقدمة) والخاتمة (الإطلالة على المستقبل) وكأنه مقالة طويلة متصلة الفِقَر تدل على سيطرة الكاتب ونضج المادة لديه وعمق الفكرة في نفسه مخلصاً للدستور والآمال المعلقة عليه.

٣ - الدستور المقصود دستور عام ١٩٠٨ ولكن ذكرى مدحت باشا فيه عطرة فهو صاحب دستور عام ١٨٧٦ والى روح مدحت باشا أهدى المؤلف كتابه.

٤ - يعجب الذي يقرأ الكتاب لسلاسة لغته (العربية). ويأتي العجب لدى نظره الى لغة عصر التأليف فاذا هي في العموم على درجة من التعثر، ولدى نظره الى القرون السابقة لها وما تحكم بها من سجع مفتعل مستثقل وركة وعجمة.

ويمكن أن نجد أسباب هذه اللغة المأنوسة السلسة الرصينة لدى المؤلف في ثمرة الجهود القريبة للعمل على النهضة، وفي تمكن المؤلف من التراث ثم في تمكنه من اللغة الأجنبية (الفرنسية مثلا) وليس في اللغة الأوربية سجع أو ركة أو عجمة.

٥ - ص ٨٤ «الدستور» هنا ترجمة لـ CODE (الفرنسية).

٦ - كلمة «البوستة» هي الشائعة ، والمؤلف يستعملها ولكنه قال ص ١١٥ «البرد» يريد البريد.

٧ - قد يستعمل «جلالة» للسلطان كما في ص ١٦٠ «جلالة السلطان»، ص ٨٤.

٨ - عرّف المحقق ص ٧٩ «الكواكبي» ولكنه لم يعرف: سعاوي وسليمان وغانم.



طرائق العبّ في شُ

روى ابن سلام الجمحيّ[١] عن لقائه بشيخه الأصمعيّ[٢] قال: كنتُ يوماً في بيت أستاذي الأصمعي العلامة العبقري والفهامة الألمعي، فقدّم لي «الشاي» السيلاني فقلت: يا أبا سعيد، هل كان العرب يعرفون الشاي في الجاهلية؟!

قال: نعم، كانوا يقدمونه للضيفان صباح مساء، وكانت نيران حاتم الطائي[٣] عامرة بأباريق الشاي، فضُرب به المثل في الجود والكرم!

قلت: وهل ذكر الشعراء الشاي في قصائدهم المشهورة؟

قال: عجباً لك يا ابن سلام، تصنف في «طبقات الشعراء» وتجالس الأمراء والخلفاء، ولم تسمع بفخر عمرو بن كلثوم في معلقته وهو يقول:

ونشربُ إن أردنا «الشاي» صفوا
ويشربُ غيرنا «البيبسي» السَّخينا[٤]

قلتُ: يا أبا سعيد، قد عرفنا الشاي، فما «البيبسي»؟!

قال: هو شراب أسود اللون، ينعش البدن، مرتفع الثمن! ولا يشرب إلا بارداً، ومثله الميرندا، والسفن أب، والفانتا!

قلت: وهل ثمة أثر في أشعار العرب أنها لا تشربُ إلا باردة؟

قال: أجل . لما كنتُ أجمع اللغة رأيت أعرابيا وفي يده صورة لمحبوبته، وفي الأخرى زجاجة «بيبسي» وهو ينشد:

وإني لأهواها وأهوى لقاءها
كما يهوى الصّادي[٥] الشراب المبرّدا!

ولذلك عاب عمرو بن كلثوم على خصومه أنهم يشربونها ساخنة!

قلت: فما بلغ من ضررها؟

قال: إنها تعسّرُ الهضم، وتكدرُ الفهم، ولو شرب منها الخليلُ وسيبويه لما جادت قرائحهم بشيء!



بقلم: د. أحمد عطية السعودي
- الاردن -

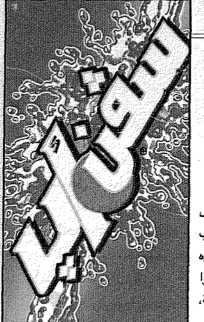
الأحماض من الجذر الثلاثي (حمض) يقال: أحمض القوم: أفاضوا فيما يؤنسهم من الحديث والكلام، فهي مفاكهة ومؤانسة!
وهي لون فكاهيّ فني ساخر، يتناول مظاهر الحياة المعاصرة كالمخترعات والمعاني الحديثة، ويصوغها على ألسنة أدباء العربية القدامى في عصورها الأولى الزاهرة بأسلوب حواري قصصي.

** موضوع الأحماض:*
تتناول عدداً من مظاهر الثورة المعرفية والتقنية في العصر الحديث كالمخترعات والمعاني العصرية مثل: الكهرباء، والثلاجة، والتلفاز، والهاتف، والسيارة، والطائرة، والحاسوب، والمشروبات الغازية، والعولمة، والدكتوراة، والانترنت!

** أسلوب الأحماض:*
يقوم على الحوار، ويفيد من أسلوب المقامات والقصة المعاصرة، ويتسم بالإيجاز والوضوح والرصانة، ويتجاوز حدود الزمان والمكان.

** أهداف الأحماض:*
تهدف إلى إمتاع فؤاد المتلقي، وإدخال السرور على نفسه، وإمداد عقله بشحنات من المعرفة الأدبية من خلال الخطوط التالية:
١ ـ تخيّل مواقف الأدباء القدامى من المخترعات الحديثة وردود أفعالهم لو كانت في زمانهم والتعريض بأدباء هذا العصر الذين لم يحتفوا كثيرا بهذه المخترعات المثيرة في أعمالهم الأدبية.
٢ ـ توجيه النقد السّاخر للمظاهر الزائفة في الحياة المعاصرة.
٣ ـ مناقشة بعض القضايا اللغوية المتعلقة بتعريب هذه المخترعات وأوزانها الصرفية، ومثناها وجموعها.
٤ ـ إثراء لغة الناشئين من المتلقين بالمفردات والتراكيب وأساليب البيان العالية.
٥ ـ تقدير الأدباء الأوائل، واستذكار أعمالهم وجهودهم في نهضة العربية والحفاظ عليها.
٦ ـ ربط الواقع المعاصر بالماضي الأصيل الزاهر للإسهام في البناء الحضاري الشامخ للأمة.

ـرْب السفن أب



ألم تسمع قول الأعرابي الجاهلي وقد حرّمها على نفسه، وحرّم الاستشفاء بها:

فلا والله أشربها حياتي
ولا أشفي بها أبداً سقيماً[٦]

إذا رُجَّتْ زجاجتها رجاً قوياً فارت فوران المرجل، وثارت ثوران البركان،ولقد رأيت غلاما معه زجاجة «سفن أب» قد غلبته، وهو ينادي:

يا أبت، أدرك فاها، غلبني فوها، لاطاقة لي بفيها !

فقلت: والله لقد جمع العربية في ثلاث!

قلت: يا أبا سعيد، وكيف تجمع هذه الأسماء: ببسي، فانتا، سفن أب؟ هل تجمع جمع تكسير أم جمع مؤنث سالماً؟

قال ابن سلام: فحار الأصمعي، وصمت طويلا، وجعل العرق يتصبب على جبينه!

فقلت: يرحمك الله يا أبا سعيد، جمعت اللغة والنوادر، وحفظت ستَّ عشرة ألف أرجوزة، وحظيت بثناء الأئمة والعلماء، والأدباء والشعراء، كالشافعي وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين[٧]، وخالطت الخلفاء والوزراء، وشُبِّه بك الممدوحون بفصاحتك ودقة لفظك، كما قال الشاعر في مدح الأمير أبي الفضل الميكالي:

لك في المفاخر معجزات جمة
أبداً لغيرك في الورى لم تجمع
بحران: بحرٌ في البلاغة شأنه
شعر الوليد وحسن لفظ الأصمعي[٨]!

ولك أكثر من أربعين مصنفا في الإنسان والحيوان والنبات والشجر واللغة والأدب، والألفاظ، والأصوات، والقلب والابدال، والمذكر والمؤنث، ولا تعرف جمع تلك الأسماء؟!!

فالتفت إليّ الأصمعي وقال: وكيف تجمعها أنت؟

قلت: ببسي: ببسوات، وفانتا: فانتوات، وسفن أب: سفن أبات!! فضحك الأصمعي وقال ساخراً: يا بني، هذه المشروبات لا تجمع، وإنما «تُجْمَعُ» زجاجاتها في الصّناديق!!

قلت: فما كان حالُ أبي نُواس[٩] لما رأى «الببسي» أول مرة في أسواق بغداد؟

قال: أقبل عليها يُعبّها عباً، وخصها بقصائد فريدة حلوة اللفظ، قريبة المأتى، متينة الأسر، رقيقة الحواشي، سماها «الببسيات»!

وقد رآه بعض العسس يشرب «الببسي كولا» فظنوه يشرب الخمر، ورفعوا أمره الى الخليفة، فجلده ثمانين جلدة!

قلت: يا أبا سعيد، ألا تضع فيها رسالة ينتفع بها الناس؟

قال: بلى، سأفعل حتى تكون أنفس الكتب وحديث العرب، وسأجعلها في ذيل كتابي «الأصمعيات»! هات القلم والقرطاس.

قال ابن سلام: فجئته بالقلم والقرطاس، فصنّف قبل أن يقوم من مقامه رسالة سماها:

«طرائق العبّ في شُرب السّفن أبْ»!!

الهوامش:

(١) ابن سلام الجمحي: لغوي كبير، تتلمذ على الأصمعي والمفضل الضبي، له «طبقات فحول الشعراء» وقد أخذ عنه الإمام أحمد بن حنبل، وهو ناقد نوّاق، توفي سنة (٢٣٢هـ - ٨٤٦م).

(٢) الأصمعي: أبو سعيد عبد الملك بن قريب، إمام في اللغة، له «الأصمعيات» (توفي ٢١٦هـ - ٨٣١م).

(٣) حاتم الطائي: فارس جواد جاهليّ، ضرب المثل بجُوده، وهو شاعر أيضاً (توفي ٥٧٨م).

(٤) أصله:
ونشربُ إن وردنا الماء صفواً
ويشربُ غيرنا كدراً وطينا

(٥) الصّادي: صدى: صدى: اشتد عطشه، فهو صاد وهي صادية (جمع صُداة وصواد).

(٦) يعني الشاعر الخمرة طبعا، الخليل بن أحمد: إمام في اللغة، ت (١٧٥هـ) سيبويه: صاحب «الكتاب» في النحو، ت (١٨٠هـ).

(٧) هؤلاء من أجل علماء الحديث والفقه.

(٨) البيتان لأبي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) في مدح الأمير أبي الفضل الميكالي. والوليد هو البحتري (ت ٢٨٤هـ).

(٩) أبو نواس: الحسن بن هانيء، شاعر عباسي، له قصائد سماها (الخمريات) كان ماجناً، قيل إنه تزهد في آخر حياته، توفي سنة (١٩٥هـ).



«مجلة الثقافة»

على عتبات عامها السابع

هذه الصفحات تأتي لتسجل تاريخاً مضيئاً مجيداً، لصحافتنا العربية بعامة، والصحافة في المملكة العربية السعودية بخاصة، .. وهي أسطر معدودة تبقى في الذاكرة خصبة معطاءة أبدا.

ودور الصحافة لا يخفى على ذي بصيرة، وهو دور هام جدا لكل مجتمع، ومنذ دخول الصحافة الى العالم العربي ساهمت في تبصير شعوبه بأمور لم يكن يتسنى لهم أن يعرفوها.

ونظرا للدور البناء والمؤثر الذى تقوم به الصحافة في المجالات المختلفة لخدمة المجتمع، وإضاءة الطريق أمام هذا المجتمع للارتقاء والتحضر - فقد حرصت حكومة خادم الحرمين الشريفين الرشيدة على مؤازرة ومساندة الصحافة في المملكة العربية السعودية وتقديم الدعم السخي لها لاستحداث آلاتها والسير مع التقدم التقني العالمي خطوة بخطوة. وذلك تدعيماً لدور هذه الصحافة في تنمية المجتمع وازدهاره.

وفي هذا الباب سنلقي المنهل شهريا الضوء على مطبوعة سعودية أو عربية .. متتبعة نشأتها وتطورها.



غلاف مجلة الثقافة

في مثل هذا الشهر (رمضان) من العام ١٤١٤هـ. كان بين يدي القراء، العدد الأول من مجلة (الثقافية) التي تصدر عن الملحقية الثقافية السعودية بلندن - حيث صدر العدد الأول منها عن شهري رمضان وشوال ١٤١٤هـ الموافقين لشهري مارس وابريل من العام ١٩٩٤م.

ومجلة الثقافية صدرت لتعكس النشاط الأكاديمي بكافة جوانبه العلمية والفكرية لطلبة الدراسات العليا من السعوديين الذين يتلقون العلم في الجامعات البريطانية المختلفة فكانت ميدانا لنشاطاتهم وبحوثهم العلمية التي ينجزونها في مجالاتهم

الأكاديمية المتنوعة، إضافة إلى نشر ما يجد من ابتكارات ونظريات علمية وانجازات فكرية تقوم بها الجامعات والمعاهد في بريطانيا.

ومن الأدوار الهامة لمجلة (الثقافية) حرصها على ابقاء الروابط الوثيقة بين الطلاب السعوديين وبين وطنهم العزيز، فقد واظبت على نشر أخبار المملكة العربية السعودية وكل ما يجدّ فيها من أحداث وما يتحقق من انجازات ومشاريع.

من هذا المنطلق أصبحت (الثقافية) من ناحية أولى حلقة وصل بين الملحقية وبين طلابها السعوديين - بكل ما يتصل بنشاطاتهم وعملهم الأكاديمي ورسائلهم واطروحاتهم الجامعية - ومن ناحية ثانية شكلت (الثقافية) جسراً علمياً وفكرياً بين ما تنتجه حركة التقدم العلمى والثقافي في الغرب وبين عالمنا العربي بكل تطلعاته وطموحاته نحو اكتساب المعرفة العلمية، والاستفادة من أحدث الأفكار والانجازات المتقدمة في العالم أجمع.

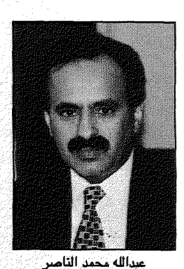
وقد أخذت (الثقافية) في الانتشار، فصار لها الكثير من القراء الذين يتابعون ما ينشر فيها من مواد علمية وفكرية ترضي تطلعاتهم في معرفة الجديد في العالم المعاصر.

ومع الاهتمام المتزايد بالمجلة - داخل بريطانيا وفي العالم العربي - قرر القائمون عليها توسيع مجالاتها لتشمل الفنون الأدبية من شعر وقصة ورواية، ونقد أدبي الى جانب فنون أخرى متنوعة.

وأولت الثقافية اهتماما خاصا لتراثنا العربي وثقافتنا الاسلامية من خلال نشر البحوث والدراسات الفكرية التى تكشف عن الجوانب المشرقة في تاريخنا العريق، مما استوجب استكتاب كتاب وأدباء مميزين، فأمدوها بنتاجاتهم الأدبية والفكرية.

وكان للاستقبال الطيب من القراء، والمساهمة الفاعلة من الكتاب والأدباء أثر كبير فيما وصلت اليه (الثقافية) من تطوير في تحسين مستواها من حيث اختيار المادة والإخراج الفني عدداً إثر عدد وزيادة أعداد النسخ المطبوعة تلبية لحاجة الأعداد المتزايدة من القراء.

والمنهل بكافة منسوبيها تتمنى للزميلة (الثقافية) ولكل القائمين عليها مزيدا من التقدم والازدهار.



عبدالله محمد الناصر
المشرف العام ورئيس التحرير - الملحق الثقافي - السعودي في بريطانيا وإيرلنده.



الانسان والصحة النفسية

١ ـ الانسان كائن اجتماعي:

الانسان جزء من المنظومة الكونية برغم كينونته المتفردة التى تختلف في تفردها عن الآخرين وأي انفصال لتلك الكينونة عن المنظومة الكبرى فيها شقاء الانسان وعذابه النفسي الذى لن يستريح منه الا بعد أن ينتظم مره أخرى في تلك المنظومة، ان الانسان ينمو من خلال تفاعله مع الآخرين وحبه لهم وعطفهم عليه والانسان البائس الناقص في تكوينه النفسى هو الانسان الذاتى الذى ينطوى على ذاته وينفخ فيها فتتورم ويتصدع النحن الجمعى نتيجة لتورم الذات الانويه.

٢ ـ الانسان كائن إيقاعي:

فهو مثل القمر له تحولاته من البدر الى الهلال الى المحاق ومثل تعاقب الفصول وتعاقب الليل والنهار وايقاع الانسان يتمثل في كونه يرضى حينا ويغضب حينا يحزن حينا ويفرح حينا آخر يهدأ ويتوتر ويجوع ويشبع ويحب ويكره وهذا الايقاع شيء طبيعى في حياة الانسان والصحة النفسية تكمن في أنه يجب عليه ان يوظف حالاته الحياتية المختلفة التوظيف الملائم الذى يتناسب مع حالته المزاجية التى قد لا يملك قهرها أو دفعها.

وهناك ايضاً إيقاع صناعى يهدف الى تهدئة التوتر وانسجام الحالة النفسية مع الجسد ويتمثل هذا الايقاع في المشى وقراءة الشعر حيث التفعيلة والقافية ايقاع، وفي الزخرفة حيث الوحدة الهندسية ايقاع وفي سماع الموسيقى الهادئة القديمة.

٣ الانسان كائن ناطق «العلاج باللغة»:

المرض النفسي ينشأ من عدم القدرة على التعبير عن المشاعر والاحاسيس واللغة العربية لغة ثرية تعبر عن وجدان الانسان اجمل تعبير مما يساعد الانسان على تجاوز ازمته النفسيه والكلمة في اللغة العربية على الرغم من بساطتها «فهى بساطة اللون الابيض الذى يحمل في طياته الوان الطيف السبعة» تحمل في ثناياها ما يعبر عن مشاعر واحاسيس متنوعة معقدة تساعد الانسان على ان يعبر مشاكله ويتخطاها ويحولها الى قوة دافعة عبر برزخ اللغة الجميل واللغة العربية تعبر عن سائر انواع العواطف والفضائل والسجايا والمعنويات والمدركات سواء باللفظ المباشر أو بالرمز أو بالكناية والاستعارة والمجاز وطالما الانسان عبر عن نفسه خير تعبير فإنه يهدأ نفسيا ويتفرغ لشئون حياته بنفس راضية وروح مستقرة وجسد مستريح.

٤ ـ الانسان كائن رامز:

مولع بصنع الرموز والطلاسم وحلها، عندما كنا

د. عبدالغني عبدالحميد رجب
- مصر -

اطفالا نلعب في الطمى ونصنع منه اشكالا متعدده تتميز بالبساطة في الشكل والتعقيد في المضمون حيث انها ترمز لآمال كبار تعتمل في نفوسنا البريئة في تلك الأيام الخوالى الجميلة كنا نشعر بالجوع فنهرول الى امهاتنا نطلب منهن الطعام ونحن نقول «عصافير بطوننا تزقزق» ولم نكن نطلب الطعام بصورة مباشرة وانما بصورة رمزية وعندما ذهبت السيدة العربية للأمير تشكو اليه قلة الجرذان اعجب بكنايتها وامر بمدها بما تحتاج اليه من الطعام، وفي تراثنا الشرقى أن كل كنز يحيط به طلسم لابد من حله أولا حتى نصل الى الكنز وكنز النفس أي الصحة النفسية لا يمكن الوصول اليه الا بصنع الرموز وحلها والشعر العربى مملوء بالرمز والكناية والاستعاره والمجاز الذي يساهم في حل ازمة الانسان النفسية وتهدئة خواطره المضطربه واعادة الحياة الى مسارها الطبيعي.

حكايات من مارستان مصر

العطر المراوغ:

إنها فتاتي - ففتاته تتمتع بهذا القسط الوافر من السذاجه مع الخجل الذى يجعلها تتعثر في ظلها وحب شديد للمعرفة يعيد للاذهان فتيات القرن الثامن عشر والتاسع عشر اللاتى كن يحاولن بخفر شديد إن يفتحن كوى للروح للنظر للعالم مع تمسك بالقيم والتقاليد، إنها فتاتى .. ذات الروح المنقبه التى تقابل كل جديد ووافد بالحذر الذى لا يمنعها من ان تفتح نافذه في حجاب روحها لكى تستطلع حتى تقبل أو ترفض وهي في القبول أن الرفض حذره حذر من يخطو أولى خطواته في دروب الحياه الوعره، انها فتاتى.. والعيش اخضر والارواح مساعدة فلم افقد بعد الكثير من اخضرار روحى وعذريتها، انها فتاتى .. فأشعارى التى لا تفهمها تطربها ونثرى الذى لا افهمه يجعلها في نشوة تجعلنى في ملكوت آخر.

كنت اجلس واياها في ظل أيكة في المصحة النفسانية التى اعمل بها طبيباً وتأتى هى للتدريب فيها توطئة لاقتحامها مجال علم النفس التحليلى فأعرض عليها الحالات المرضية التى عليها ان تدرسها واسهب في الشرح مستبقياً حالتى للختام حتى إذا أتى ذلك الختام لا اجرؤ على مفاتحتها وان كانت - باعتبارها - استهلالا لمحلل نفسانى لابد وقد ادركت ما يعتمل في الفؤاد وما يتعارك في النفس وما يتآلف في الروح وما تقوله العيون وما تبرزه الكلمات، كان خوفى كله من يوم تنهى فيه تدريبها فكنت في نهاية كل لقاء اعدها اننى سأعد لها حالات مرضية لم يسبق لها مثيل في اللقاء القادم حتى اثير حبها للمعرفة رغم اننى ساعتها لا يكون في ذهنى تلك الحالات التى اتحدث عنها لكننى كنت اعمل باقي الاسبوع في اكتشاف الحالات النادرة واستطلع نواياها واستكشف خباياها حتى اكون على اهبة الاستعداد واظهر امامها بالمظهر الجدير اللائق.

لكنها لم تأت في الموعد المضروب وكنت انتظرتها طويلا اطول من الف عام مضت في ساعة لم تترك اثراً اهتدى به الا عطر روحها الذى كان يسرع مبتعدا وهو يراوغ كلما امسكت بطرفه أو خلت أنى فعلت بل لابد اننى فعلت واننى يوما ما سأمسك بطرف الخيط وسأهتدى اليها وستهتدى اليّ وإننا كما اجتمعنا لنفترق .. افترقنا لنجتمع.

بواكير الفؤاد:

حاولت أن استعيد لحظة بوح العينين لما التقتا خارج دائرة الزمن وبعيداً عن محيط التاريخ لماذا تأتى تلك اللحظات التى قد تغير مجرى الحياة كموت الفجاءة بلا سابق إنذار أشحذ فيه المقل وأصفى الروح وأجلو صدأ النفس لأجتلى سر عينيها الذى يخفى في اللحظات العادية لكنه يبوح ويفوح بشذا الروح النبيله من اللحظات غير العادية كانت معى وكنت معها فلماذا لم تتصارح العينان بما تكنه روحانا أو لماذا لم ادرك أنا هذا إلا غداة البين وفي لحظة الوداع تلك اللحظة التى اعادت روحى الاسيرة وسلبتها في نفس الوقت اخذتها معها كأنها بعض المتاع الذى هل يسقط منها في قطار الحياة عندما تلحق بقطار الزواج؟.

أثر ازدياد ثاني أكسيد الكربون على النبات

يعتبر بعض العلماء أن زيادة تركيز غاز ثاني أكسيد الكربون (CO_2) تؤدي إلى تفاقم مشكلة تلوث الغلاف الجوي، بينما يعتبره آخرون مورداً اقتصادياً إذا استغل يؤدي الى رفع انتاجية المحاصيل الزراعية ويسهم في حل مشكلة الغذاء التي يعاني منها سكان العالم. فقبل عدة عقود كان CO_2 يعد من الغازات الجوية الثابتة الكمية بحوالي ٣٠٠ جزء لكل مليون جزء (ج م ج) لذلك اقتصر على اعتباره من العناصر الضرورية لاتمام عملية التمثل الضوئي في النبات Photosynthesis وتبين بعد ذلك أن كمية CO_2 تغيرت كثيراً خلال العصور الماضية وأنها الآن في تزايد مستمر، حيث ازدادت من ٣١٤ (ج م ج) عام ١٩٥٨ إلى ٣٤٥ (ج م ج) عام ١٩٨٥، ويتوقع أن تتضاعف كميته الى ٦٠٠ (ج م ج) في حوالي منتصف القرن القادم، والسبب في ذلك يعود إلى نشاط الانسان في المجال الصناعي وقطع الغابات وحرق الوقود. وبما أن تفادي التغيرات البيئية الناجمة عن زيادة CO_2 في الجو أمر صعب، بدأ الباحثون الزراعيون بالاهتمام بتحليل أثر زيادة CO_2 على نمو النبات لايجاد طرق عملية للتكيف مع الظروف البيئية المتغيرة.

أثر ثاني أكسيد الكربون على نمو النبات:

يحصل النبات على ما يحتاجه من الكربون عن طريق امتصاص غاز CO_2 من الجو عبر المسامات الموجودة في أوراقه، فيقوم النبات الأخضر بعملية التمثيل الضوئي حيث يتم تحويل CO_2 والضوء والحرارة والماء والمواد الغذائية الى مركبات عضوية (الكربوهيدرات) ضرورية لنمو النباتات، وبالمقابل تطلق النباتات الاكسجين وبخار الماء الى الجو بعملية النتح Transpiration وأن أي نقص أو زيادة في أحد هذه العناصر يؤثر على معدل عملية التمثيل الضوئي ومن ثم على نمو النباتات، ويحتاج النبات CO_2 للاستمرار في النمو والتكاثر ومن ثم تخزين الكربون الفائض لاستعماله عند الحاجة أو التوقف عن أخذ ثاني أكسيد الكربون عن طريق اغلاق مسامات أوراقه. ولكن النباتات لا تستجيب لازدياد CO_2 بنفس الدرجة أو الطريقة وذلك لاختلاف مقدرة النباتات على التكيف مع الظروف البيئية المتغيرة وكذلك لاختلاف خصائص النباتات الفسيولوجية، ويمكن تقسيم أغلب النباتات إلى المجموعات الثلاث التالية:

١ ـ مجموعة نباتات C3 (Three Carbons) وتشمل أغلب المحاصيل الزراعية التي تنمو في الأقاليم المعتدلة مثل القمح والشعير والقطن وفول الصويا والبطاطا وعباد الشمس وغيرها، وأن درجات الحرارة المثلى لنمو نباتات هذه المجموعة هي بين ٢٠°م ـ ٢٥°م.

٢ ـ مجموعة نباتات C4 (C4 - Dicarboxylic Aid) وتشمل الأعشاب والنباتات المدارية مثل الذرة وقصب السكر والدخن وغيرها. ولا يتأثر نمو نباتات هذه المجموعة بدرجات الحرارة المرتفعة جداً حيث أن درجات الحرارة المثلى لنموها هي بين ٣٠ – ٣٥°م.

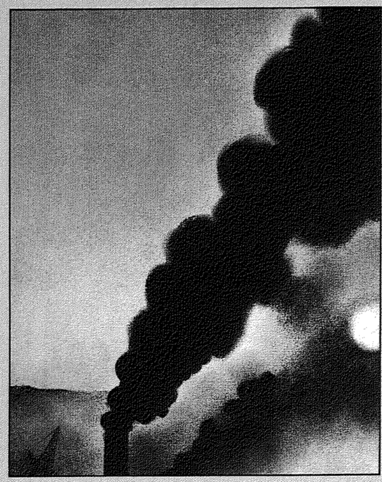
٣ ـ مجموعة نباتات Crassulacean Acid Metabolism) (CAM) وتشمل النباتات الصحراوية وبعض الأشجار المثمرة مثل الأناناس.

إن تأثير زيادة CO_2 على نمو النباتات يتضح من خلال معرفة علاقته بدرجة الحرارة والتمثيل الضوئي والنتح وفعالية استعمال المياه ومكونات التربة المعدنية، وبينت النماذج الرياضية المناخية أن مضاعفة كمية CO_2 في الجو ستزيد من معدل درجة حرارة الأرض بحوالي ٥ر١°م ـ ٥ر٤°م وأكثر من ذلك في العروض العليا. وسيكون لذلك آثار على نمو النباتات

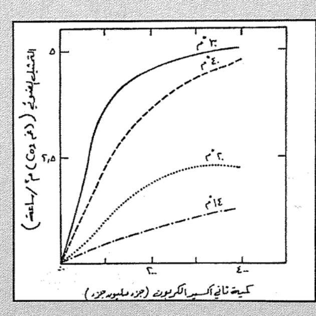
بقلم :د. على أحمد غانم
ـ الجامعة الاردنية ـ

وعلى مقدرتها على التكيف مع الظروف المناخية، فارتفاع معدل درجة الحرارة سيؤدي إلى زحف الأقاليم المناخية نحو الشمال حيث تضطر بعض النباتات لهجرة مناطقها الحالية الى مناطق جديدة تلائم شروط نموها، ولابد من الإشارة هنا إلى أهمية الأشعة الشمسية على نمو النبات والتي قد تفوق أهمية درجة الحرارة، ولقد لوحظ ارتفاع نشاط عملية التمثيل الضوئي في منتصف النهار بالمقارنة مع فترتي الصباح والمساء.

ولقد تم اجراء تجارب ودراسات تفصيلية لأثر ازدياد CO_2 والحرارة على النبات، ولوحظ بشكل عام أن ذلك سيؤدي إلى زيادة الإنتاج النباتي. وأشارت التجارب الزراعية إلى أن زيادة CO_2 ترفع من معدل عملية التمثيل الضوئي لجميع النباتات ولكن بدرجات متفاوتة، فيزيد التمثيل الضوئي في نباتات C3 بدرجة أكبر من نباتات C4، وتعتبر الأعشاب من النباتات الأكثر استجابة لزيادة CO_2. ويبين الشكل (١) العلاقة بين التمثيل الضوئي لنبات الذرة وCO_2 على درجات حرارة مختلفة[١].



مداخن المصانع في البلدان الصناعية تلوث البيئة مما يؤثر على النباتات



شكل (١) العلاقة بين التمثيل الضوئي في نبات الذرة مع كمية ثاني اكسيد الكربون على درجات حرارة مختلفة.

ولوحظ أنه على درجات الحرارة المنخفضة (أقل من ١٥°م) لا يوجد استجابة لنمو النبات مع ازدياد CO_2، فكلما زادت درجة الحرارة زاد نشاط عملية التمثيل الضوئي ومن ثم نمو النبات. ويظهر أن أعلى معدل لعملية التمثيل الضوئي يحدث على درجات الحرارة بين ٣٠° - ٤٠°م مع ازدياد CO_2 الى ٤٠٠ (ج م ج). وكذلك أن ازدياد CO_2 يخفض من عملية النتح في نباتات C4 أكثر من نباتات C3، حيث أن بعض النباتات تقاوم ارتفاع درجة الحرارة عن طريق تصغير أو اغلاق مسامات أوراقها مما يقلل من عملية النتح والتبخر، ويزيد من فعالية استعمال المياه Water Use Effeciency.

وأن مضاعفة كمية CO_2 تؤدي إلى مضاعفة فعالية استعمال المياه عن طريق تقليل كميات المياه التى تستهلك أثناء نمو النبات، وتعرف فعالية استعمال المياه بأنها النسبة بين المادة الصلبة Dry Matter في النبات الناتجة من عملية التمثيل الضوئي وكمية

المياه المستهلكة بعملية النتح والتبخر[١]. وأن فعالية استعمال المياه تزداد في مجموعة نباتات C3 بسبب زيادة معدل التمثيل الضوئي وزيادة انتاج المادة الصلبة، بينما تزداد في مجموعة نباتات C4 بسبب انخفاض النتح والتبخر بسبب انغلاق مسامات الأوراق لمواجهة قساوة الظروف البيئية كارتفاع درجة الحرارة.

فإذا كانت نتائج التجارب الزراعية فاعلة في الظروف الطبيعية، فإن لازدياد فعالية استعمال المياه أهمية كبيرة في المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية التي تقل فيها الزراعة بسبب قلة مواردها المائية. وربما يؤدي ذلك إلى امتداد نمو بعض المحاصيل الزراعية من المناطق شبه الصحراوية الى المناطق الصحراوية، ويعني ذلك أن أراضي واسعة من الصحارى العربية تصبح ملائمة لنمو بعض المحاصيل الزراعية.

وبازدياد معدل عملية التمثيل الضوئي الناتجة عن زيادة CO_2، فإن النباتات تستهلك كميات أكبر من مكونات التربة المعدنية والعضوية، لذلك يفضل تعويض النقص عن طريق اضافة السماد للتربة لكي تفي بحاجة النبات المتزايدة للمواد الغذائية من التربة. وأثبتت التجارب الزراعية أن زيادة ثاني أكسيد الكربون تغير من محتوى النباتات من العناصر العضوية، فوجد أن أوراق نبات فول الصويا، على سبيل المثال، تصبح غنية بالكربون وفقيرة بالنيتروجين[٢]، لذلك يستحسن اضافة سماد النيتروجين للتربة لتفي بحاجة نبات فول الصويات من النيتروجين.

فالنباتات تستجيب لزيادة CO_2 والحرارة عن طريق زيادة انتاجيتها وزيادة المساحة الورقية وزيادة أغصانها بالإضافة الى زيادة عمق وسمك الجذور. فمضاعفة كمية CO_2 إلى ٦٦٠ (ج م ج) ستزيد من انتاجية المحاصيل الزراعية بنسبة (٣٢٪) مع توفر عناصر التمثيل الضوئي الأخرى كالضوء والحرارة والعناصر الغذائية في التربة. فزيادة الانتاج تتم عن طريق زيادة عدد الثمار عند الحصاد ويعود ذلك إلى ازدياد عدد الإغصان[٣].

ويبين الجدول التالي نسب زيادة الانتاج لبعض المحاصيل الزراعية عند مضاعفة كمية ثاني اكسيد الكربون[٤].

المحصول	الزيادة (٪)	المحصول	الزيادة (٪)
الرز	٩	القطن	١٠٤
القمح	٣٨	فول الصويا	١٧
الشعير	٣٦	البندورة	١٣
الذرة	١٦	البرسيم	٤

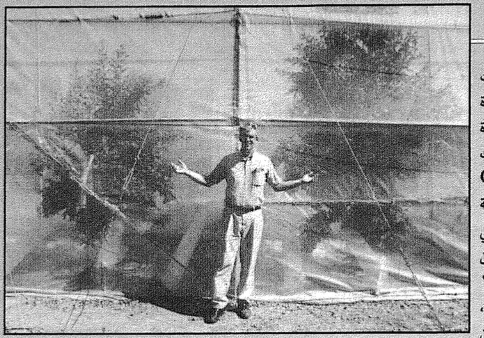
ويرافق زيادة CO_2 أيضاً زيادة في المساحة الورقية Leaf Area بسبب زيادة عدد ومساحة الأوراق[٣]، ونتيجة لاختلاف الظروف البيئية فإن النباتات في المستقبل ستكون أكبر حجماً من نباتات اليوم وتتميز بأغصان أكبر وبجذور أكثر عدداً وأسمك وتمتد إلى أعماق أكبر في التربة. ولوحظ في التجارب الزراعية زيادة في نمو وانتاج الجزر والفجل[٥].

تكيف النبات:

تختلف طريقة تكيف النباتات الحولية عن الأشجار المعمرة، فبما أن تضاعف كمية CO_2 في الجو تحتاج إلى حوالي ٧٠ سنة فإن النباتات الحولية ستمر بأجيال متعددة (فدورة تحسين المحاصيل الزراعية الحولية تستغرق حوالي عشرة أعوام من بداية عملية التحسين حتى تسويق الانتاج) تمكنها من التكيف مع الظروف البيئية المتغيرة عن طريق تغير خصائصها الموروثة لكي تستمر في الانتاج والتكاثر. أما النباتات التي لا تستطيع التكيف فإنها تهجر مناطقها إلى مناطق أخرى حيث تتوفر الظروف الملائمة لنموها، ويحدث ذلك للنباتات التي لا تستفيد كثيراً من ازدياد CO_2 كالبرسيم وفول الصويا والذرة.

ومن النتائج الهامة للتجارب الزراعية أن مضاعفة

CO_2 تزيد من قدرة النبات على الاستمرار في الحياة والنمو على درجات حرارة مرتفعة، بينما تموت على تلك الدرجات تحت ظروف CO_2 العادية، ولقد لوحظ بالتجربة على نبات الأفوكادو أن ثماني شجرات ماتت بعد شهر من زراعتها بتاريخ ١٩٨٦/٧/١ في أريزونا/ الولايات المتحدة، بينما ماتت أربع شجرات من ثماني شجرات زرعت تحت ظروف مضاعفة CO_2 إلى ٦٤٠ (ج م ج)[٦].



الصورة تبين اختلاف حجم الشجرتين .. الشجرة الكبيرة مزروعة في جو ذي كمية مضاعفة من ثاني أكسيد الكربون والشجرة الصغيرة في البيئة العادية

أما النباتات المعمرة كأشجار الغابات والأشجار المثمرة، فإنها تتكيف عن طريق التغير التدريجي في خصائصها بحيث تتلاءم مع الظروف البيئية الجديدة وذلك عن طريق زيادة نمو أعضائها وأوراقها وجذورها. فاستجابة الأشجار المعمرة تعتمد على توفر المياه والنيتروجين وهما العنصران الأساسيان لنمو الأشجار، ولذلك ربما تنمو بعض الأشجار في مناطق جديدة ملائمة لنموها في غير مناطقها الحالية وهذا يؤدي على احداث تغير في توزيع الأشجار والغابات في العالم[٧].

الأضرار:

وينتج أيضا عن ازدياد كمية ثاني أكسيد الكربون في الجو أضرار على النباتات منها:

١ ـ ازدياد نمو الأعشاب الضارة بين المحاصيل الزراعية.

٢ ـ ازدياد أثر الحشرات حيث أنه في حالة نقصان محتوى الأوراق من العناصر (كالنيتروجين) فإن الحشرات تضطر لأكل كميات أكثر من الأوراق حتى تحصل على حاجتها من المواد الغذائية (كبروتين النيتروجين).

٣ ـ ازدياد احتمال حدوث الحرائق في الغابات بسبب ارتفاع درجة الحرارة وتكرار حدوث الجفاف.

المصادر:

(1) Rosenberg, N., Blad, B. & Verma, S. 1983: Microclimatology: The Bilogical Environment, Second edition, John Wiley & Sons, NY.

(2) Strain, B. & Cure, J., 1983: Direct Effect EFFect of Increasing Carbon Dioxide on Vegetation, U.S. Dopartment of Energy, DOE/ER-O238.

(3) Baker, J. et al., 1989: Response of Soybean to Air Temperature and CO2 Concentration, crop sci. 29: 98-105.

(4) Kimball, B. A., 1983: Carbon Dioxide and Agricaltural Yield, U.S. Water Conservation Laboratary, Arisona.

(5) Idoso, S. et al., 1987: Effects of Atmospheric CO2 Entichment on Plant Growth. Agric. Ecosys Environ. 20: 1-10.

(6) Kriendemann, P. et al. 1976: Vine Response to Carbon Dioxide Enrichment During Heat Therapy, Austr. J. Plant Physiol/ 3: 605-18.

(7) Paster, J. & Post. W, 1988: Response of Northern Forest to CO2 Induced Climate Change, Nature, 334. P.58-61.

شذرات الذهب

٤١٧ - شكوى الحيوان:

قصة شكوى الحيوان من الإنسان من أجمل القصص في التراث العربي، إن لم تكن أجمل قصة هادفة انحدرت إلينا من تراث القرن الرابع المليء بأثمن الذخائر، وأعلق النفائس، وكاتبها المجهول أحد إخوان الصفا الذين تركوا أبدع الرسائل الفلسفية الحافلة بما يمثل الذهن المتحضر، ذي الشعاب المختلفة المتنوعة، ولو أتيح للرسائل من يتخصص في تحليلها، ومعرفة أصولها الفلسفية الغائرة في أطباق الفكر الإنساني منذ شهد وجوده في مصر والصين والهند واليونان والرومان إلى حين اكتسحه المد العربي الزاخر بتياره المتموج، لو أتيح لها هذا النفر من المتخصصين لرأينا كيف تفتحت عقولنا الماضية على آفاق تشرق بالنور وتتوهج بالضياء.

أما ظلم الإنسان للحيوان فقد أحسَّه مفكر عملاق من مفكري إخوان الصفا، ولم يشأ أن يعبر عن أحاسيسه في أسلوب علمي يرتب القضايا المنطقية واصلا بها إلى النتائج الصحيحة، بل كان شاعراً عاطفيا في اتجاهه حين تخيل طوائف الحيوان قد فزعت من ظلم الإنسان، ولم تجد منصفاً تشكو إليه ما ينزل بها من الفوادح غير ملك الجن، لأنه قادر على الانتقام من الحيوان والإنسان معاً، ففزعت الطوائف المختلفة من الحيوان والطيور والزواحف والحشرات والهوام إلى الملك العظيم في مملكته الحصينة، لتفضى بشكواها إلى عادل بصير، ومن أجمل اللوحات الفنية التى تعرض في متاحف أوربا، لوحة هذه الشكوى، إذ تأثر بالموضوع فنان حساس فرسم مشهد المحاكمة يتصدره ملك الجن بقرونه الناهضة، وعينه الملتهبة، وحوله حوارييه ممن هم على شاكلته في الجهة اليمنى، وقد وقف ممثلوا الإنسان في الجهة المقابلة.. أما العجيب حقا فهو ما جمعت اللوحة الخالدة من مشاهد الحيوان والطير والزواحف والهوام، وقد اجتمعت في مشهد واحد يقف فيه الظبي جوار الأسد، والعصفور جوار النسر، دون خوف! لوحة رائعة تحتاج إلى فنان مبدع يشرح ما بها من ظلال خالطت الأضواء ووجوه نطقت بأبلغ ما تخفى السرائر، فأين هو؟ ولا أستطيع في هذه الشذرات أن أتتبع كل ما دار في مجلس سيد الجن، ولكنى أكتفى بالتقاط بعض المشاهد دون اختيار، لأنها كلها في مستوى واحد من الإبداع.

٤١٨ - زعيم البهائم:

وقف زعيم البهائم ليقول: أيها الملك، كنا نحن وأباؤنا سكان الأرض قبل خلق آدم قاطنين في أرجائها في رغد من العيش، ثم إن الله خلق آدم وكثرت ذريته، فضيقوا علينا الأماكن، وأخذوا منا

أسارى من الغنم والبقر والخيل والحمير، وسخرونا في الأعمال الشاقة من الحمل والركوب والدوران في الرحى والدواليب بالقهر والعذاب طول أعمارنا، فهرب منا من هرب، وشمر بنو آدم في طلبنا، فمن وقع منا في أيديهم شدوا وثاقه، ثم عذبوه بالذبح والسلخ وشق البطن وقطع المفاصل، ونتف الريش، وادّعْوا أن هذا حق واجب لهم علينا، وأنهم أرباب ونحن عبيد.

سمع الملك هذه الشكوى، وأمر بطوائف الإنس فحضرت لترد على الشكوى، وكانت قاعة المحاكمة تتسع لكل حوار، يجيء بين الشاكي والمشكو، حيث أمر الملك أن يتحدث عن كل طائفة ممثل لها فتكلم الحمار والجمل والفيل والخنزير والثور وأدلى كل بمواجعه الداميات.

٤١٩ - شكوى الكبش:

فمما قال الكبش: أيها الملك لو رأيتنا ونحن أسارى في أيدى بنى آدم، يأخذون صغارنا، فيفرقون بينها وبين أمهاتها ليستأثروا بألبانها لأولادهم، ويجعلوها مشدودة بين أيديها وأرجلها، محمولة الى المذابح والمسالخ جائعة عطشى، تصيح فلا ترحم، ثم نراها مذبوحة مسلوخة مشقوقة أجوافها مفرقة أعضاؤها ورؤوسها وكروشها وأكبادها في دكاكين القصابين، مقطعة بالسواطير، مطبوخة في القدور مشوية في التنور، ونحن سكوت لا نستطيع أن نبكى أو نشكو، فإن شكونا لا نجد من يرحم، لو رأيتنا كذلك أيها الملك لرحمتنا.

٤٢٠ - شكوى الخنزير:

أما الجمل فتكلم قليلا ثم نظر الى الخنزير، وصاح به: قم أيها الخنزير واذكر ما تلقون من جور بنى آدم، وكأن الجمل كان يعلم أن مصاب الخنزير فوق كل احتمال فدعاه للإفصاح.

قال الخنزير: والله ما أقول من كثرة اختلاف القائلين في أمرنا، أما حكماء الجن فالملك يعرف ما لديهم، وأما الإنس فقد كانوا أكثر اختلافا وأبعد اتفاقا، إن المسلمين يقولون إننا ملعونون، ويستقبحون صورنا، ويستقذرون لحومنا، والروم يتنافسون في أكل لحومنا في قرابينهم، واليهود يلعنوننا من غير ذنب منا إليهم، ولكن لعداوة بينهم وبين النصارى، والأطباء من اليونان يتداوون بشحومنا وساسة الدواب، يخالطوننا بدوابهم وعلفها، لأن حالها يصلح بمخالطتنا، فقد تحيرنا لا ندرى لمن نشكو، ومما نشكو ونتظلم، وقام غير الخنزير كثير وكثير.

٤٢١ - تأثر الملك:

وكأن ملك الجان قد تأثر بما سمع، فالتفت إلى جماعة ممن حضروا مجلسه من حكماء الجن وقادتهم وقال: ألا تسمعون شكاية هذه البهائم

والأنعام، وما يصفون من جور بنى آدم عليها وقلة رحمتهم لها؟؟

قال الحكماء من الجن: سمعنا كل ما قالوا، وهو حق، ومن أجل ذلك هربت بنو الجان من بين أيديهم إلى البرارى والقفار، ورءوس الجبال، وبطون الأودية، وسواحل البحار، لما رأوا من قبح أفعالهم وسوء أعمالهم، ومع هذه الخصال كلها لا يتخلصون من سوء ظنهم بالجن، وذلك أنهم يعتقدون أن للجن في الإنسان نزعات وخبطات، وفزعات في صبيانهم ونسائهم وجهالهم، حتى إنهم يتعاوذون من شر الجن بالتعاويذ والرقى والتمائم وما شاكلها، ولم يروا قط جنيا قتل إنسيا، أو جرحه أو سرق متاعه، أو نُقِّب داره، أو فتق جيبه أو بتر كمه، أو قطع على مسافر طريقه، أو خرج على سلطان أو أخذ أسيرا.

سمع الملك كل ذلك فخلا للتشاور مع قضاة الجن، فكلهم أجمعوا على أن يرسل الملك رسلا إلى جميع الحيوانات التى لم تمثل في المحاكمة، فتعرفها الخبر، وتطلب منها أن تبعث كل طائفة ممثلا لديها يصدع بآلامها وآمالها ، وصدر الأمر بتأجيل المحاكمة حتى تأتي الوفود.

٤٢٢ - لقاءات ومشاورات:

صدع المستمعون للأمر، وطافت الرسل بجميع الحيوانات والطيور والهوام والزواحف، فجعل رئيس كل طائفة يبحث الأمر، ويختار من يمثله، وننقل مشهداً من مشاهد الاختيار، حيث وصل رسول الجن الى ملك الجوارح - وهو العنقاء - فعرفه الخبر، فنادى منادى الجوارح سيد النسور والعقبان والصقور والبزاة والشواهين والحدأة والرخم والغربان والبوم والببغاء، وكل طير ذى مخلب مقوس المنقر يأكل اللحم، ثم عرّفها الخبر وما جاء به الرسول، فقال الوزير الخاص بملك الجوارح، ليس فينا أحد يصلح لهذا الأمر غير البوم، قال الملك: ولم ذلك؟ قال الوزير: هذه الجوارح كلها تنفر من الإنس وتفزع منهم، ولا تفهم كلامهم، ولا تحسن مخاطبتهم ولا تجاورهم إلا البوم، فإنه قريب المجاورة لهم في ديارهم الخربة، ومنازلهم الدارسة، وقصورهم البالية، فهو يعرفهم، وينظر الى آثارهم الباقية، ويعتبر بالقرون الماضية.

فسمع البوم ما قيل، فقال للملك: لا يمكن المسير الى مجلس الحكم، لأن بنى آدم يبغضونني، ويتطيرون برؤيتي ويشتمونني من غير ذنب إليهم، ولا أذية منى، فكيف إذا وقفت أمامهم في المجلس، وأظهرت الخلاف ونازعتهم في الكلام والمناظرة؟.

فقال الملك، ومن يصلح؟ فقال البوم: إن ملوك بنى آدم يحبون الجوارح من البزاة والصقور والشواهين ويكرمونها ويحملونها على أكفهم، فلو بعث الملك واحداً منها لكان صوابا، وتعد مشاورة حاسمة، انتهى الأمر باختيار الببغاء لأن بنى آدم يحبونه، فابتسم الببغاء ورحب، وتوجه الى مهمته.

٤٢٣ - مشورة الثعابين:

ومن الطريف أن ملك الهوام وهو الثعبان قد

جمع أبناء جنسه وفيه الأفاعي والحيات والعقارب والضب والحرباء، والخنافس والعناكب والنمل والجنادب والبراغيث والقمل والصراصير وكل ما يتكون في العفونات أو يدب على رءوس الأشجار، وحين رأى ملك الهوام هذه الطوائف قال متألما: من يصلح من هذه الطوائف كي نبعثه للمناظرة وأكثرها صم بكمٌ عمي بلا يدين ولا رجلين ولا جناحين، ولا منقار ولا مخلب، ولا ريش على أبدانها، ولا صوف ولا فلوس، وأكثرها حفاة عراة، مساكين بلا حيلة، ولا حول لها ولا قوة، وقد رق قلب الملك عليها ودمعت عيناه ثم دعا الله أن يكون لها حافظا ومعينا.

أسائل نفسي؟ كيف يتجه المؤلف الفنان بهذه الرحمة الدافقة الى طوائف الثعابين والعقارب والحيات؟ ألم تكن أسراب الحمام، وجماعات العصافير أولى وأحق! إن خطر الثعابين أقوى من خطر الآساد والنمور، فهل أراد المؤلف الفنان أن يبدع فيأتي بما لا يخطر علي بال.

وقد لبت كل طائفة دعاء الملك الجني. وأرسلت من يمثلها، ودار حوار عاصف شمل عدة صفحات رائعة يصعب تلخيصها لأنها من أجمل صفحات البيان العربي، والبيان يفسد بالتلخيص إذْ كل لفظ له مدلول، وكل حرف لا يغنى غناءه سواه!.

وقد انتهت المحاكمة إلى نتيجة رضى عنها طوائف الإنس، لأنها اختارت حكيما فارسيا أبدع الدفاع، وأتى من وسائل الإقناع ما عنت له النفوس، ودل على فضل الإنسان بمالا ينكره غير الجاحد، فمال ملك الجن إليه، وختم المحاكمة بقوله: الآن حصحص الحق، وصدق الله الذى فضل الإنسان على الحيوان وعلى كثير من المخلوقات، فيا أيها الحيوانات أنتم أعوان الإنسان فأطيعوه ولا تعصوا له أمرا، ويا بني آدم أنتم سادة الحيوان، فعاملوه بالرفق، ولا تعتدوا، إن الله لا يحب المعتدين.

٤٢٤ - تعليق نقدي:

ونسأل: هل كان للرسالة (رسالة الانسان والحيوان) هدف غير الدعوة الى الرحمة وحسن المعاملة بين الإنسان والحيوان؟ سؤال يجيب عنه الدكتور زكي مبارك فيقول:

«كاتب الرسالة متفوق في علم الحيوان، ورسالته تجرى مجرى القصص الطريف، ولكن هذا القصص يدور حول محور واحد، وهو شرح طبائع الطير والحيوان، ولذلك نرى الكاتب يبدىء ويعيد في الكلام عن خواص الكائنات الحية التى استبد بها الإنسان، وينطلق فيسرد طبائعها جنسا جنسا، ثم يمضي فينطقها بما أودعت غرائزها من ضروب الأسرار، ولا يزال يمعن في الدرس والبحث حتى يمكِّن القارىء من معارف جمة طريفة تشوق العقل والخيال» فالرسالة كما قال القائل:

من اللائى أمدَّ بهن عقلٌ
وهذَّبهن فكر وانتقا

خشخاش .. مكتشف أمريكا الحقيقي

يخطيء كثير من الكتاب والمفكرين العرب المسلمين عندما يصدقون مزاعم الغرب الذى يدعى ان الذى اكتشف أمريكا هو المكتشف الرحالة كريستوفر كولومبوس وقد قامت البلدان الامريكية وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية قبل سنوات وفي ذكرى وصول كريستوفر كولومبوس وبالتحديد الى جزر البهاما بتكريم ذكراه ولسنا هنا بصدد تقويم شخصية كولومبوس مكتفيا بما ذكر من أخلاقه السيئة مايندى له الجبين وعقله المختل في المؤلفات التى ألفها المترجمون الغربيون أضف الى ذلك هذه الروايات المتناقضة التى تجعل شخصية هذا المكتشف أقرب الى الاساطير من أي شيء آخر، فمن قائل أن هدف الرحلة كانت من أجل تأسيس وطن قومى لليهود ومن قائل غير ذلك.

ولو أردنا مزيدا لأوردنا ما ذكره الباحث لطف الله قارى في ندوة الأندلس عندما قال: «عندما أبحر كولومبوس الى الغرب في رحلته الشهيرة سنة ١٤٩٢م كان معه من الآلات الفلكية بوصلة بحرية من اختراعات ملاحي العرب وتنسب الى الملاح الشهير أحمد بن ماجد وجهاز طوره الفلكي الشهير كمال الدين بن يونس وخرائط بحرية ومزاول شمسية وجداول فلكية وخيوط رصاص لسبر أغوار البحر، وكل هذه الأدوات الأخيرة من اختراعات الأندلسيين المسلمين».

فليس الهدف في مقامنا هذا دراسة رحلة كولومبوس ولكن الهدف هو احقاق الحق وهو أن المكتشف العربي الأندلسي خشخاش هو المكتشف الحقيقي للقارة الأمريكية. وفي تراثنا العربي الإسلامي عشرات الإشارات إلى اكتشاف العرب للقارة الأمريكية.

فقد أورد مؤرخ الاسلام الكبير المسعودى صاحب مروج الذهب اكتشاف العرب المسلمين بقيادة المكتشف العربي العظيم خشخاش، يقول المسعودي:

وقد ذهب قوم إلى أن هذا البحر (اي المحيط الأطلسي) أصل ماء سائر البحار وله أخبار عجيبة قد أتينا على ذكرها في كتابنا «أخبار الزمان» في أخبار من غرر وخاطر بنفسه في ركوبه ومن نجا منهم ومن تلف وما شاهدوا منه وما رأوا وأن منهم رجلا من أهل الأندلس يقال له خشخاش، وكان من فتيان قرطبة وأحداثها، فجمع جماعة من أحداثها، وركب بهم في مراكب استعدها في هذا البحر المحيط فغاب فيه مدة ثم انثنى بغنائم واسعة. وخبره مشهور عند أهل الأندلس».

وقد ذهب كثير من مفكرى ومستشرقى الغرب الى الاعتقاد بصحة هذه الرحلة وفي مقدمتهم المستشرق الروسي أغناطيوس كراتشكوفسكى الذى تحدث عن الرحلة وحاول قدر استطاعته تحديد توقيتها.

وقد قامت محاولة أخرى لمجموعة من الناس اسمهم المغررون برحلة الى أمريكا وقد تناولها الشريف الإدريسي في كتابه «نزهة المشتاق» نترك نقلها خوف الإطالة.

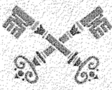
إن على العرب والمسلمين أن يطلعوا على تاريخهم ليعلموا أن أجدادهم قاموا بجهود علمية في ميدان الطب والجبر والهندسة والكشوف الجغرافية مما اضطر علماء أوروبه لدراسة آثارهم .

ما أحوجنا إلى إعادة الاعتبار الى المكتشف العربي الأندلسي خشخاش الذى قام برحلته العظيمة وحق لنا أن نفخر به ونذكره كما يذكر الغربيون كريستوفر كولومبوس.

بقلم : د. طاهر تونسي



مجلة العرب الادبية



تصدر عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي : جدة رمز بريدي ٢١٤٦١ ص.ب ٢٩٢٥ ت : ٦٤٣٢١٢٤ فاكس : ٦٤٢٨٨٥٣

مسابقة أرامكو السعودية السنوية الحادية والعشرون لرسوم الأطفال

دعوة إلى جميع الأطفال بالمملكة

يسر إدارة العلاقات العامة بأرامكو السعودية أن تعلن عن إجراء مسابقتها السنوية الحادية والعشرين لرسوم الأطفال، التي ستكون مخصصة هذا العام لموضوع

بيئتنا وكيف نحافظ عليها

وذلك إسهاماً من الشركة في توعية البنين والبنات في المملكة العربية السعودية بأهمية البيئة والحفاظ عليها، من خلال إبراز مواهبهم وإبداعاتهم الفنية.

ملاحظة مهمّة:

يرجى من جميع الأطفال الراغبين في الاشتراك في المسابقة ومن أولياء أمورهم ومدرسيهم أن يقرأوا نظام وشروط المسابقة بعناية، وأن يتّبعوها بدقة، حتى لا تستبعد رسومهم.

شروط المسابقة:

١- يحق لكل طفل لا يقل عمره عن خمس سنوات ولا يزيد على اربع عشرة سنة ويقيم في المملكة أن يشارك في المسابقة.

٢- يجب على الطفل الالتزام بموضوع المسابقة وهو بيئتنا وكيف نحافظ عليها.

٣- يتقدم كل طفل للمسابقة برسم واحد فقط، على أن يكون الرسم من عمله هو دون أي تدخل أو مساعدة من الوالدين أو المدرسين او غيرهم.

٤- يجب أن يكون الرسم عملاً أصلياً غير منسوخ أو مشارك به في مسابقة أخرى.

٥- يجب أن يكون العمل المقدم رسماً أو ما يشبه الرسم، كأن ينفذ من اوراق القص أو اللصق الملونة، أو قطع القماش، أو ما شابه ذلك، وستستبعد الأعمال المجسمة من مواد بارزة كقطع الخشب، أو قطع البلاستيك، أو الفخار، أو ما شابهها، ويمكن للطفل أن يستخدم أي نوع من الألوان أو الأحبار أو ما يراه مناسباً لرسمه.

٦- يجب أن يكون الرسم نفسه خالياً تماماً من أي دلالة على اسم الطفل أو مدرسته.

٧- يجب أن يكون مقاس الرسم ٣٥سم/٥٠سم وللطفل الحق في الاستفادة من هذه المساحة أفقياً أو عمودياً.

٨- يجب تنفيذ الرسم على الورق المقوّى، أو تثبيته على لوح من الورق العادي أو القماش.

٩- يجب أن يكون الرسم مرتباً ونظيفاً.

١٠- يجب تثبيت القسيمة المرفقة بهذا الإعلان أو صورة منها، على ظهر الرسم، كما يجب ملء جميع البيانات المطلوبة فيها بدقة ووضوح.

١١- عند إرسال الرسوم يجب على مرسليها وضعها في ظروف أو مغلفات متينة تحميها من التلف أثناء نقلها بالبريد.

١٢- تصبح جميع الرسوم المشاركة في المسابقة ملكاً لأرامكو السعودية، سواءً أفازت أم لم تفز وتبقى هذه الرسوم في حيازة إدارة العلاقات العامة التي تحتفظ بحق استخدام أي منها حسبما تراه مناسباً.

١٣- تشكّل إدارة العلاقات العامة بأرامكو السعودية لجنة تحكيم من ذوي الخبرة والمعرفة في الفنون لاختيار الفائزين في المسابقة، ويعد قرار هذه اللجنة نهائياً.

١٤- آخر موعد لتسلّم الرسوم هو يوم ١٠/١١/١٤٢٠هـ الموافق ١٦/٢/٢٠٠٠م، ولن يدخل المسابقة أي رسم يصل بعد هذا التاريخ ما لم يتم التأكد من أن سبب التأخير هو البريد، وذلك عن طريق ختم البريد على الظرف.

١٥- ترسل جميع الرسوم إلى العنوان التالي:

مسابقة رسوم الأطفال الحادية والعشرون
إدارة العلاقات العامة - الغرفة رقم ٢٢٦٤
مبنى الإدارة الشرقي، أرامكو السعودية، الظهران ٣١٣١١

الجوائز:

خصصت الشركة للفائزين في هذه المسابقة مائة وخمسين جائزة قسمت إلى الفئات التالية:

خمسون جائزة للذين تتراوح أعمارهم بين ٥ و ٨ سنوات
خمسون جائزة للذين تتراوح أعمارهم بين ٩ سنوات و ١١ سنة
خمسون جائزة للذين تتراوح أعمارهم بين ١٢ و ١٤ سنة

يمكن توجيه الاستفسارات عن المسابقة إلى إدارة العلاقات العامة على الهاتف رقم ٨٧٣٩٣٠٢ و ٨٧٣٩٩٩٤ مع تمنياتنا للجميع بالتوفيق.



شركة الزيت العربية السعودية
www.saudiaramco.com

يجب ملء هاتين القسيمتين أو صورتيهما وتثبيت إحداهما على ظهر الرسم المشارك به وإرفاق الأخرى منفصلة مع الرسم

مسابقة أرامكو السعودية الحادية والعشرون لرسوم الأطفال
اسم الطفل كاملاً: ....
تاريخ الميلاد: ....
الصف الدراسي: ....
اسم المدرسة: ....
عنوان المدرسة أو العنوان الشخصي كاملاً
ص.ب: .... المدينة: .... الرمز البريدي: ....
الموقع: .... الشارع: ....
الهاتف: .... الفاكس: ....
نوع الخامة أو المادة الفنية المستعملة عند التنفيذ: ....
موضوع أو عنوان الرسم المشارك به: ....
التاريخ: ....

مسابقة أرامكو السعودية الحادية والعشرون لرسوم الأطفال
اسم الطفل كاملاً: ....
تاريخ الميلاد: ....
الصف الدراسي: ....
اسم المدرسة: ....
عنوان المدرسة أو العنوان الشخصي كاملاً
ص.ب: .... المدينة: .... الرمز البريدي: ....
الموقع: .... الشارع: ....
الهاتف: .... الفاكس: ....
نوع الخامة أو المادة الفنية المستعملة عند التنفيذ: ....
موضوع أو عنوان الرسم المشارك به: ....
التاريخ: ....